كتاب

تأويل مختلف الحديث

في الرد على أعداء أهل الحديث، والجمع بين الأخبار التي ادعوا عليها التناقض والاختلاف، والجواب عما أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشكلة بادئ الرأي، تأليف الإمام ابن قتيبة الدينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هجرية

تحقيق

عبد القادر أحمد عطا

يطلب من
دار الكتب الإسلامية لصاحبها توفيق عفيفي عامر
١٤ شارع الجمهورية بعابدين - ت ٩١٦١٠٧

كتاب

تأويل مختلف الحديث

في الردّ على أعداء أهل الحديث، والجمع بين الأخبار التي ادّعوا عليها التناقض والاختلاف، والجواب عمّا أوردوه من الشبه على بعض الأخبار المتشابهة أو المشكلة بادئ الرأي، تأليف الإمام ابن قتيبة الدّينوري

المتوفى سنة ٢٧٦ هجريّة

تحقيق

عبد القادر أحمد عطا

يطلب من

دار الكتب الإسلاميّة لصاحبها توفيق عفيفي عامر

١٤ شارع الجمهورية بعابدين ـ ت ٩١٦١٠٧

الطبعة الأولى

١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

مطبعة حسان
٢٤١ شارع الجيش - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

ابن قتيبة .. وعصره

هكذا سماه شيخ الاسلام ابن تيمية فقال : « ويقال هو لأهل السنة مثل الجاحظ للمعتزلة . فانه خطيب السنة ، كما أن الجاحظ خطيب المعتزلة» .

ويقول عنه كذلك : « أحد الأئمة والعلماء والفضلاء ، أجودهم تصنيفا ، وأحسنهم ترصيفا ، له زهاء ثلاثمائة مصنف ، وكان يميل الى مذهب أحمد واسحاق ، وكان معاصرا لابراهيم الحربى ، ومحمد بن نصر المروذى ، وكان أهل المغرب يعظمونه ويقولون : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة . ويقولون : كل بيت ليس فيه شيء من تصنيفه لا خير فيه » .

وقال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال : « عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد ، صاحب التصانيف ، صدوق قليل الرواية . روى عن اسحاق بن راهويه وجماعته » .

وقال خطيب البغدادى : « كان ثقة دينا فاضلا ، مات فى رجب سنة ست وسبعين ومائتين من هريسة بلعها سخنة فأهلكته » .

وقال ابن خلكان : « أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، وقيل المروذى النحوى . كان فاضلا ثقة . سكن بغداد وحدث بها عن اسحاق بن راهويه ، وأبى اسحاق ابراهيم بن سليمان ابن أبى بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه الزيادى ، وأبى حاتم السجستانى ، وتلك الطبقة . وروى عنه ابنه أحمد ، وابن درستويه الفارسي .

ولقد روى كذلك عن أبى الخطاب ، ومحمد بن يحيى القطعى، وأحمد بن الخليل ، ومحمد بن عبيد ، وأبو مسعود الدارمى ، وحسين ابن الحسن المروذى وغيرهم كثيرون .

ويقال : ان أباه بن « مرو » . أما هو فقد ولد فى بغداد ، وقيل : ولد بالكوفة ، وعلى أى حال فقد أقام فى « الدينور » مدة قاضيا ، فنسب اليهـــا ، وكانت ولادته عام ثلاث عشرة ومائتين ، وتوفى عام سبعين ومائتين على الأصح فى شهر ذى القعدة أو فى شـــهر رجب . فيكون قد عاش سبعا وخمسين عاما كلها خير وبركة على الفكر الاسلامى وحلقات الدرس ، وأجيال المثقفين المسلمين وغير المسلمين .. فقد استمر يقرىء كتبه فى بغداد حتى مات ، وترك ثروة هائلة من الكتب النافعة ما زلنا نرجع اليها فى مختلف فروع المعرفة الاسلامية .

وقد ورث ابنه عنه طموحه العلمى ، وهــو أبو جعفر أحمد بن عبد الله . وكان فقيها ، روى عن أبيه كتبه كلها ، وتولى القضـــاء بمصر ، وكان قد قدمها فى عام احدى وعشرين وثلاثمائة .

وابن قتيبة يعرف فى المصادر كذلك بالقتبى ، أو القيتبى ، وهى تصغير « قتبة » واحد الأقتاب ، وهى ما فى كروش الذبائح من الرئة والكرش والأسقاط . ولا نعلم لماذا نسب اليها .

أما وفاته فقد قالوا فيها : انه أكل هريسة حارة كانت سبب وفاته . وقالوا فى أعراض مرضه : انه صاح صيحة عظيمة ، ثم أغمى عليه الى وقت الظهر ، ثم اضطرب ســاعة ، ثم هدأ ، فمازال يتشــهد الى أن مات فى السحر رحمه الله .

* * *

كانت بغداد فى عصره تموج بمختلف التيارات الفكرية .

فهناك ثقافة يونانية وافدة عن طريق الترجمة ، تريد أن تستعلى على غيرها من الثقافات .

وثقافة فارسية يحاول الفرس أن يثبتوا أركانهـا بين المسـلمين تنفيسا عن الامهم المكبوتة لضياع سلطانهم ، وتعبيرا عن أحقادهم التى تنفث الدخان بين الحين والحين فى صـور أفكار غريبـة ، ومذاهب الحادية ، مستعينين بما لهـم من نفـوذ فى دولة ، وبما يملكون من أموال ، ومن وسائل الغواية والشهوات ، يريدون بذلك أن ينافسوا ثقافة الاسلام الخالصة ، وأن يهزوا أركانه فى قلوب المسلمين ٠

وكان هناك ثقافة عربية مختلطة بغيرها من الثقافات ، تحاول أن تمسك بالأطراف فى محاولة لحل التعارض والتنافس بين مختلف الثقافات ٠

وكان هناك ثقافة اسلامية بحتة تحاول أن تبرر فى وضوح أمام المسلمين لتنقذهم من تلك المتاهات ، وتقودهم الى طريق النور ٠

واختار ابن قتيبة طريقه ، ووقف فى صفوف أهل السنة ، وآثر طريقة أهل الحديث ، وصور عصره من الوجهة الفكرية تصويرا فى غاية الدقة والبراعة فى الفصل الأول من كتابه هذا الذى نقدمه للقراء ٠

صور هجوم أعداء الاسلام على السـنة وما أحـدثه من اضطراب الفكر السنى نفسه ٠٠ فعرض لنـا كيف تلمس الأعداء بعض الشبهات واحتجوا بها على أهل السـنة ، وكيف تلمس معارضـوهم وجوه الرد عليهم من السنة نفسها ٠٠ وبين لنا كيف نشأ فى الفكر السنى ـ بزعم أصحابه ـ ما يسمى بالبداء ، والقدر ، والرفض ، والارجاء البدعى ، والخروج على الجماعة ، والقول بالتجسـيم ، وغير ذلك من نحـل الهوى ٠

وبين لنا كيف سفه أعداء الاسلام مسالك أهل السنة فى تدقيقهم وتحرجهم وعدوها من الحمق الذى يروج به أهل الحديث « فاذا كان المحدث أموق ـ أى أحمق ـ كان عندهم أنفق ، واذا كان كثير اللحن

والتصحيف كانوا به أوثق ، واذا ساء خلقه ، وكثر غضبه ، واشتد حدة وعسرة فى الحديث تهافتوا عليـــه ، ولذلك كان الأعمش يقلب الفرو ويلبسه ، ويطرح على عاتقه منديل الخوان ، وسأله رجـل عن اسـناد حديث ، فأخذ بحلقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا اسناده ۰ وقال : اذا رأيت الشيخ يطلب الفقه أحببت أن أصفعه ، الى حماقات كثيرة تؤثر عنه ، لا نحسبه كان يظهرها الا لينفق بها عندهم ۰

هذا هو رأى أعداء الســنة فى رجال الســنة ۰۰ فاذا ما اضــفنا الهجوم الشرس الذى شنه أصحاب الكلام عليهم ، وما قاله النظام والعلاف وثمامة وعمرو بن عبيـد وغيرهم ، بأن لنـا عمق المعركة واتسـاعها ، وتنوع السلاح وحدته ، وكيف كان صمود أهل السنة عجبا فى تواريخ الفكر الانسانى كلها ۰

ولقد توج عهد بنى العباس هذه المعـارك الفرعيـــة بالمعـــركة الرئيسية التى شنها الفرس فى الحقيقة بقيادة القاضي أحمد بن أبى دؤاد ، ومن وراء ستار الخليفة العربى المأمون بن الرشيد ، والتى اتجهت الى العقيدة مباشرة فى صورة القول بخلق القرآن ۰

كان الهجوم على السنة شرســا ووقحا فى عصر المؤلف وما تلاه من الأعصــار ۰ وكانت العقــلانية غير المجنحة بوعى الـــروح ، وكان الاغراء عنيفا ، فأثر فى الكثيرين من الطلاب وصغار العلمــاء ، ولم يسلم منه الا قلة من أولى العزم اذا اعتبرنا المثالية الاسلامية هى القدوة التى تعرف بالاسلام على حقيقته وكما أراده الله سبحانه وتعالى ۰

ولقد صور الحارث بن أسد المحاسبى الحــالة العلمية فى عصره وهو بعينه عصر ابن قتيبة فقال فى أول كتابه « الوصايا » :

« ونظرت أحوال الأمة ، ونظرت فى مذاهبهــا وأقاويلهــا ، فعقلت من ذلك ما قدر لى ، ورأيت اختلافهم بحرا عميقــا غرق فيــه

ناس كثيرون ، وسلم منه عصابة قليلة ، ورأيت كل صنف منهم يزعم أن النجاة فيمن تبعهم ، وأن الهلاك لمن خالفهم .

ثم رأيت الناس أصنافا ، فمنهم العالم بأمر الآخرة لقاؤه عسير، ووجوده عزيز .

ومنهم الجاهل فالبعد عنه غنيمة .

ومنهم المتشبه بالعلماء ، مشغوف بدنياه ، مؤثر لها .

ومنهم حامل علم منسوب الى العقل والدهاء مفقود الورع والتقى.

ومنهم متوادون ، على الهوى يتفقون ، وللدنيا يتباذلون ، ورياستها يطلبون .

ومنهم شياطين الانس ، عن الآخرة يصدون ، وعلى الدنيا يتكالبون ، والى جمعها يهرعون ، وفى الاستكثار منها يرغبون ، فهم فى الدنيا أحياء ، وفى العرف موتى ، بل العرف عندهم منكر ، والسوء معروف » .

فتفقدت فى الأصناف نفسي ، وضقت بذلك ذرعا .

وفى كتاب « الرعاية لحقوق الله » يحاول المحاسبى أن يصور حالة الاضطراب التى سيطرت على الحركة العلمية والسلوكية فى عصره فيقول :

« .. وكذلك أهل السنة ، لن يدع العدو أن يدعوهم الى البدع عند غفلاتهم ، من حيث لا يشعرون .

« ولولا ذلك ما ابتدع أحد بدعة بعد اعتقاد بالسنة .، فى عبادة

قولا فى غيرها ، لانه قد يدعوه العدو الى الابتداع فى زهده ورضائه وتوكله ، فيخالف زهد الائمة المتقدمين ورضاءهم وتوكلهم ويقينهم بمخالفته للسنة ، واعتقاد البدعة ، وهو يرى أنها سنة • كما اعتقد قوم الزهد بتضييع العيال ، وبترك وجوب حق الوالدين ، والتوكل بترك الاكتساب على الأهل والأولاد ، والخروج الى السفر بلا زاد ، والرضا بالسرور بالبلاء اذا وقع بالمسلمين ، وبتحريم الدواء ، وترك التمنى أن المعاصي لم تكن ، وبالاشتغال بالله عز وجل بترك الفرائض وبترك النوافل ، ودعوى البصائر ، واستنارة القلوب بادعاء علم الغيوب ، من القطع على ضمائر الخلائق وما يسرون ويكتمون ، ويحتجون فى ذلك بآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم : المؤمن ينظر بنور الله » •

« وكل فرقة مما ذكرنا تحتج بالآثار والكتاب والمقاييس ، ولكن يطول ذكرها ، وانما أردنا تحذير جملتها ليعرفها العالم المتثبت بالكتاب والسنة •

« وكذلك الخطرات التى تدعو الى تدين القلوب من غير عبادات بالأعمال كالقدر ورأى جهم والرفض والاعتزال ونحوه ، فلن يميز العبد بين ذلك وبين ما أحب الله عز وجل من الأعمال والسنن الا بشاهد العلم » •

ولو أن كل معسكر من المعسكرات الثقافية التى ظهرت فى ذلك العصر استعصم بتماسكه والتزامه لمبادئه على ما فى الكثير منها من الخطأ لكان الخطب هينا ، وكان العلاج ميسورا ، ولكن الواقع الأليم برز فى أن كل معسكر منها قد اختل فى داخله ، فاهتزت صفوفه ، وتباينت أهواؤه ، حتى رمى كل منها بعضه بعضا بالكفر أو الضلال •

فالمعتزلة قد كفروا منهم « النظام » وهو شيخ من شيوخهم ،

وأعلن القول بتكفيره الجبائى والاسكافى وجعفر بن حرب فى كتب الفوها للرد على ضلالاته ٠

وأهل السنة نبغ من بينهم ضالون تحت ستار القدوة بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم كما فضحهم المحاسبى فى بدعهم السلوكية التى ذكرناها وشيكا ، حتى جاء من رماهم بالكفر حين وصلوا الى القول بما يشبه الحلول والاتحاد ٠٠ والمحاسبى نفسه رماهم بالغلظة والجهل بالأخبار ، كما رماهم بالكذب والافتراء حين ادعى بعضهم مخاطبة الأرواح وترك الصلاة بحجة الصلاة فى مكان آخر مع بقاء الجسد فى مكانه ٠

وهكذا تظهر صورة العصر فى :

١ ـ معسكرين عظيمين : أولهما أهل السنة والجماعة ، وثانيهما أعداء أهل السنة والجماعة ٠

٢ ـ معسكرات فرعية ناشئة عن المعسكرين الرئيسيين ٠

٣ ـ صراع بين المعسكرين الأعظم ، وصراع داخلى بين أنصار كل معسكر ٠

٤ ـ اتجاه جميع القوى نحو الكتاب والسنة لاستنباط الدليل على صحة ما يذهب اليه كل فريق ، وابطال أدلة خصومه ٠

٥ ـ معسكر الشهوات الثائرة الذى يهدد كل فريق ، ويسحق كل معسكر ، ويغشي البصائر عن الالتزام باصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٠

* * *

وبين هذه الأعاصير ظهرت مجموعات من العلماء الأفذاذ

المجاهدين بعقولهم وأقلامهم فى سبيل نصرة الحق ، وتنحية القتام عن وجه الاسلام السمح .. وحفظه من ضلالات التـأويل الفاســد ، والأهواء المدمـرة .. وكان من بين هؤلاء الأفـــذاذ الامام أبو محمد ابن قتيبة . الامام النحوى اللغوى الأديب الخبير بالسنن ومعانيها ، وصاحب التصانيف النافعة ، وخطيب أهل السنة .

ولقد الف ابن قتيبة كتبا فى فروع من المعرفة تدل على شخصية متميزة ، ومنها :

١ - أدب الكاتب
٢ - المعـارف
٣ - غريب القرآن
٤ - غريب الحديث
٥ - عيون الأخبار
٦ - تأويل مشكل القرآن
٧ - تأويل مختلف الحديث
٨ - طبقات الشعراء
٩ - الأشربة
١٠ - اصلاح المنطق
١١ - التفقيه
١٢ - كتاب الخيل .
١٣ - اعراب القرآن
١٤ - كتاب الأنواء
١٥ - كتاب المسائل والجوابات
١٦ - كتاب الميسر والقداح

ومن هذه القائمة من المؤلفات التى تركهـا ابن قتيبة يتبين لنا محيطه الفكرى المتعدد المواهب والاتجاهات .. فهـو أديب صـاحب

ملكة متميزة فى الكتابة ، وهو القوى يلم باشتات اللغة وغرائبها ، وأساليبها ، كما يبدو من ثنايا كتابه هذا الذى جمع فيه قدرا هائلا من الفاظ اللغة غير المتداولة الا على ألسنة الخاصة ممن برعوا فى ذوق اللغة العربية وفى اشتقاقاتها الواسعة الأطراف .

وهو مع ذلك رجل اخبار ونوادر ، ورجل علوم ومعارف شتى يمكن على أساسها أن نسميه رجل ثقافة واسعة ، وليس رجلا مغلقا فى دائرة ضيقة من فرع من فروع المعرفة .

وهو رجل خبير بالنقد الأدبى ودرجات الشعراء العرب ، كما أنه خبير بتقاليد العرب القدامى ، وبما كان يشغلهم من أمور الخيل والميسر والقداح والأنواء وما يتبعها من بذور علم الفلك ، أو الفراسة الجوية .

ومن خلال هذه الثقافة الواسعة من التاريخ والأخبار والتقاليد والشعر والأدب واللغة الف فى غريب القرآن وغريب الحديث ، فكان مصدرا رئيسيا لابن الأثير فى كتابه « النهاية فى غريب الحديث » . ولغيره ممن طرقوا هذا الباب .

كما ألف فى تأويل مشكل القرآن وتأويل مشكل الحديث ومختلفه ، فكان بكل الحق - كما قال الامام ابن تيمية - خطيب أهل السنة ، كما كان الجاحظ خطيب المعتزلة .

كان ابن قتيبة مدافعا بارعا عن الكتاب والسنة فى نطاق أهل السنة ، ولم يكن قط ناشزا عن مذهبهم ، ولا موغلا فى طريق غير طريقهم كما زعم ذلك ابن فورك وكما نقل عنه ابن الجوزى .

حدث ذلك حينما تكلم ابن فورك عن حديث الصورة ، فاتهم ابن قتيبة بأن له فى تفسيره مذهبا قبيحا يزج به فى عداد المجسمة

والمشبهة .. وقفى على أثره ابن الجوزى فى كتابه « دفع شبه التشبيه » .. وهذا كلام الرجل فى كتابه هذا فى هذا الموضع وفى غيره من المواضع ينادى نداء صريحا بأنه على مذهب السلف الذين يؤمنون بالنص كما جاء فى القرآن وفى صحيح السنة ، من غير دخول بالعقل فى تأويله ولا تفسيره .

ولا ندرى من أين جاء هذا الاتهام الخطير ، وان كنا لا نشك فى أن الرجلين ربما وقعا على شيء من ذلك فى مسودات كتب ابن قتيبة ، كما لا نشك فى أنه كان مدسوسا عليه ان كان قد حدث ، فابن قتيبة ليس من اضطراب العقل بحيث يقرر الشيء ونقيضه فى وقت واحد ، بل انه فى ثنايا كتابه هذا دافع عن السنة ذاتها ، وعن كبار العلماء أن يكون فيها أو عندهم الشيء ونقيضه .

وابن قتيبة من مدرسة الامام أحمد بن حنبل ، وكان يميل الى مذهب اسحاق ، وكان معاصرا لابراهيم الحربى ، ولكنه كان يرى أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويل المتشابه على حقيقته .. وهو بهذا القول ينطلق من الدائرة المغلقة التى أغلقت أطرافها حول المتشابه عند أهل السنة ، ولكنه لم ينطلق كما انطلق المعتزلة فى كل اتجاه حتى أباحوا لأنفسهم أن يدخلوا الى حرم الذات الالهية والأفعال الربانية يخضعون كل ذلك للعقل والقول الحر الذى لا يتحرج .

بل انما هو ملتزم ـ رغم قوله هذا ـ بمذهب أهل السنة حينما يكون الكلام فى الذات الالهية ، اذ يقف عند النص لا يتعداه الا حينما يرد على ضلال الفرق الأخرى بتأويل سائغ فى اللغة ، تعارف عليه العرب فى أساليبهم ، أو بدفع الشبهة من الوجهة العقلية ، أما أن يدخل في تفسير مراد الله من المتشابه فهو ما لم يكن منه فيما وقع لنا من النصوص .

هذا هو مذهب السلف ، وان كان الخلف يرون تأويل النص تأويلا

ينسب الى الله تعالى كل وصف حميد ، ويدفع عنه المماثلة والمشابهة لخلقه فى مواجهة المجسمة والمشبهة الذين استشرى خطرهم ، وكادوا يصبحون امتدادا للوثنيات الغابرة فى ظل الاسلام الخاتم .

ولكن يظهر أن ابن قتيبة كان هدفا لأعدائه ، شأنه شـأن كبار العلماء لا يخلون من الحساد الذين يفترون عليهم الكذب ، ويرمونهم بالعظائم .

فابن تيمية يقول عنه : ان أهل المغرب كانوا يعظمونه ويقولون : من استجاز الوقيعة فى ابن قتيبة يتهم بالزندقة .

ومعنى هذا أن هناك من كان يقع فى ابن قتيبـة ، ويسـتجيز الطعن عليه ، ولم يخل من ذلك عالم من العلمـاء ، بل ولا نبى من الأنبياء ، بل ولا رب العزة جل اسمه ، وعز ذكره .



قضية السنة •• وابن قتيبة

المعركة بين السنة وأعدائها قديمة العهد ••

وهذا الكتاب الذى نقدمه فى ثوبه الجديد ثمرة من ثمار تلك المعركة •

وهذه المعركة الرئيسية تريد أن تقر فى العرف الاسلامى أن السنة ليست حجة على المسلمين ، وفى القرآن عنها غنى •• ولا تتخذ المعركة صورة من الصور الا لتسفر فى النهاية عن هذه الحقيقة التى مازالت تريد أن تطل برأسها فى عصرنا الحاضر •

ولقد قيض الله للسنة جنودا من أعظم من عرفت البشرية فى البطولة والعبقرية بحق •• جنودا فى كل الميادين الفرعية •• كالوضع ، والتناقض بين النصوص ، والخلاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتشكيك فى الصحابة •• وكان هذا الكتاب الذى كتبه ابن قتيبة ثمرة من ثمرات الدفاع عن السنة من وجهة النظر المقابلة التى تقول بتناقض النصوص ، ودعوتها الصريحة الى التشبيه والتجسيم فى ذات الله تعالى •

* * *

والمنكرون لحجية السنة ، الذين يردون الأخبار كلها يسمون أنفسهم « القرآنيون » • وهم يقولون : ان السنة ليست بحجة ، لأن القرآن جاء تبيانا لكل شيء ، فاذا جاءت الأخبار بأحكام جديدة لم ترد فى القرآن كان ذلك معارضة من ظنى الثبوت وهى الأخبار لقطعى الثبوت وهو القرآن ، والظنى لا يقوى على معارضة القطعى •• أما ان جاءت مؤكدة لحكم القرآن فانها تكون بيانا للقطعى الذى يكفر من ينكر منه حرفا بظنى لا يكفر من أنكر ثبوته ، وهذا غير جائز •

وهم ينكرون حجية المتواتر ، لأنه عندهم ظنى من جهة آحاده ،

فما زال احتمال الكذب عندهم قائما فى أفراده حتى ولو كانوا جمعا عظيما .

ويؤيد الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها من التشريع الاسلامى » أن بذرة «القرآنية» هذه نبتت فى أرض الاعتزال، وأن المعتزلة هم الذين قادوا الحملة ضد السنة قديما ..

وهو يتابع فى رأيه هذا المرحوم الشيخ محمد الخضرى بك فى كتابه « تاريخ التشريع الاسلامى » . الذى يقول : ان الامام الشافعى صرح فى مناظرته لمن يرد خبر الخاصة منسوب الى البصرة . ومن البصرة نبغ الاعتزال ، فقد نشأ بها كبارهم وكتابهم ، وكانوا معروفين بخصومتهم لأهل الحديث ، وقد أيد الدكتور السباعى ما رآه الشافعى وما ارتضاه من رأيه بما جاء فى « مختلف الحديث » لابن قتيبة من مواقف شيوخ المعتزلة من السنة .

وأنا أقول : نعم .. كل هذا صحيح .. وقد وقفت على مخطوطة لأحد المعتزلة بعنوان « قبول الأخبار ومعرفة الرواة » لم أظفر بمثلها فى حياتى الا فى أم من أمهات كتب الشيعة اسمه « الغدير » طبعوه فى عشر مجلدات .

واتفق الكتابان فى الطعن على الصحابة ، واتهامهم بالكذب وبغيره من العظائم . وانفردت المخطوطة بالاضافة الى الطعن على الصحابة بالطعن على التابعين وتابعيهم حتى لم ينج منهم جميعا أكثر من أفراد قلائل يعدون على الأصابع .

ومن هذا أقول : ان المعركة ضد السنة فى أصلها اعتزالية شيعية . وقد أقر الامام السيوطى باتهام الشيعة فى هذا المضمار فقال فى كتابه « مفتاح الجنة » : « ان من غالية الرافضة من ذهبوا الى

انكار الاحتجاج بالسنة ، والاقتصار على القرآن ، لأنهم يعتقدون أن النبوة لعلى ، وأن جبريل أخطأ فى نزوله الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم » .

ولو أن الامام السيوطى عاش حتى طبع كتاب « الغدير » لأدخل غير الغلاء من الرافضة فى الاتهام بعداء السنة بعد أن يستوعب فى هذا الكتاب أحط ما أنتجته الغوغائية من التسفل فى مناقشة القضايا العلمية .

واستمرت هذه المعركة الى عصرنا الحديث حيث تبناها المرحوم الشيخ رشيد رضا ، والمرحوم الأستاذ أحمد أمين ، وجمع من المستشرقين على رأسهم « جولدزيهر » ومن نحا نحوه من « متفرنجة» المفكرين المنتسبين الى الاسلام .

* * *

ولقد رد الامام الشافعى رضي الله عنه على القدامى فى كتابه « جماع العلم » ردا قاطعا لخصه الدكتور مصطفى السباعى فقال :

١ - ان الله أوجب علينا اتباع رسوله ، وهذا أمر عام لمن كان فى زمنه ، وكل من يأتى بعده .. ولا سبيل الى ذلك لمن لم يشاهد الرسول الا عن طريق الأخبار .. فيكون الله قد أمرنا باتباع الأخبار وقبولها .. لأن مالا يتم الواجب الا به فهو واجب .

٢ - لابد من قبول الأخبار لمعرفة أحكام القرآن نفسه ، فان الناسخ والمنسوخ منه لا يعرفان الا بالرجوع الى السنة .

٣ - هناك أحكام متفق عليها من الجميع ، حتى الذين يردون الأخبار ، ولم يكن من سبيل الى معرفتها الا عن طريق الأخبار .

٤ - أن الشرع قد جاء بتخصيص القطعى بالظنى ، كما فى الشهادة

على القتل والمال بشاهدين ، مع أن حرمة المال والدم مقطـوع بهما ، وقد قبلت فيهما شهادة الاثنين ، وهى ظنية بلا جدال ٠

٥ ـ أن الأخبار وان كان فيها احتمال الخطأ والوهم والكذب ، لكن هذا الاحتمال بعد التثبت والتاكد من عدالة الراوى ، ومقابلة روايته بروايات أقرانه من المحدثين ، أصبح أقل من الاحتمال الوارد فى الشهادات ، خصوصا اذا عضد الرواية نص من كتاب أو سنة ، فان الاحتمال يكاد يكون معدوما ٠

* * *

أما تلك الحملة الضارية ضد الصحابة خاصـة ، ورجال الحديث بوجه عام ، والتى قادها الشـيعة والمعتزلة قديما وحديثـا ، وتابعهم عليها هواة الشهرة الـكاذبة ممن تهجمـوا على أبى هريرة رضي الله عنـه ، وأفردوه بالتاليف فيـكفى أن نسـوق اليهم قول أبى حاتم عن الصحابة ٠ قال :

فان قلت : فكيف جـرحت من بعـد الصـحابة ، وأبيت ذلك فى الصحابة ؟ والسهو والخطأ موجود فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجد فيمن بعدهم من المحدثين ؟

قلنا له : ان الله عز وجل نزه أقدار أصحاب رسوله عن ثلب فادح، وصان أقدارهم عن وقيعة منتقص ، وجعلهم كالنجوم يقتدى بهم ، وقد قال الله جل وعلا : **« ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهـــذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين »**(١) ٠ ثم قال : **« يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه »**(٢) ٠

ممن أخبر أنه لا يخزيه يوم القيامة فقد شهد له باتباع ملة أبيـــه ابراهيم حنيفا ، لا يجوز أن يجرح بالكذب ٠ لأنه يستحيل أن يقول الله جل وعلا : **« يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه »** ثم يقـــول :

(١) آل عمران : ٦٨ (٢) التحريم : ٨

« من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » فيطلق الرسول النار لمن أخبر الله عز وجل أنه لا يخزيه فى القيامة . بل الخطاب وقع على من بعد الصحابة .

وأما من شــهد له التنزيل وصحب الرســول فالثلب لهــم غير حلال ، والقدح فيهم ضد الايمان ، والتنقيص لأحدهم نفس النفاق ، لأنهم خير الناس قرنا بعد رسول الله صلى الله عليــه وسلم بحــكم من لا ينطق عن الهوى ، وان من تولى رسول الله ايداعهم ما ولاه الله بيانه للناس لبالحرى ألا يجرح ، لأن رسول الله لم يودع أصحابه الرســالة ، وأمرهم أن يبلغ الشاهد الغائب ، الا وهم عنده صادقون .

ولو لم يكونوا كذلك لم يأمرهم بتبليغ من بعدهم ما شهدوا منه ، لأنه لو كان كذلك لكان قدحا فى الرسالة .. وكفى بمن عدله رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفا .

وان من بعد الصحابة ليسوا كذلك .. لأن الصحابى اذا أدى الى من بعده يحتمل أن يكون المبلغ اليه منافقا ، أو مبتدعا ضالا ، ينقص من الخبر أو يزيد عليه ، ليضل به العالم من النــاس . فمن أجــل ذلك فرقنا بين الصحابة وبين من بعدهم ، اذ صان الله عز وجــل أقــدار الصحابة عن البدع والضلال . جمعنا الله واياهم فى مستقر رحمته .

* * *

وأما مكانة السنة من التشريع . فان رســول الله صلى الله عليــه وسلم مفوض من الله تعالى بابتداعه التشريع من عنده للأمة بالاضافة الى بيــان القرآن وتفســيره ، وكشــف مراميــه .. قال الله تعــالى : **« وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »**(١) . وقال : **« من يطع الرسول فقد أطاع الله »**(٢) . وقال : **« ان كنتم تحبــون الله فاتبعونى يحببكم الله»**(٣) .

---

(١) الحشر : ٧ — (٢) النساء : ٨٠

(٣) آل عمران : ٣١ .

ويقول ابن حزم فى كتاب « الاحكام » :

« لما بينا أن القرآن هو الأصل المرجوع اليه فى الشرائع ، نظرنا فوجدنا فيه ايجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجدناه عز وجل يقول فيه واصفا رسوله : « **وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى** »(١) . فصح لنا بذلك أن الوحى ينقسم من الله عز وجل الى رسوله على قسمين :

احدهما : وحى متلو مؤلف تاليفا معجز النظام ، وهو القرآن .

والثانى : وحى مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو، لكنه مقروء ، وهو الخبر الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المبين عن الله عز وجل مراده منا ، قال تعالى : « **لتبين للناس ما نزل اليهم** »(٢) .

ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثانى كما أوجب طاعة القسم الأول الذى هو القرآن ولا فرق فقال تعالى : « **اطيعوا الله وأطيعوا الرسول** »(٣) . فكانت الأخبار التى ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التى الزمنا طاعتها فى الآية الجامعة لجميع الشرائع . أولها عن آخرها . وهى قوله تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله** »(٣) . فهذا أصل ، وهو القرآن « **وأطيعوا الرسول** »(٣) فهذا ثان ، وهو الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « **وأولى الأمر منكم** »(٣) فهذا ثالث، وهو الاجماع المنقول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمه » ا.

وقال ابن حزم أيضا :

« فلم يسع مسلما يقر بالتوحيد أن يرجع عند التنازع الى غير القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يأبى عما وجد فيهما ، فان فعل ذلك بعد قيام الحجة عليه فهو فاسق ، وان استحل

(١) النجم : ٣ ، ٤ .
(٢) النحل : ٤٤
(٣) النساء : ٥٩

الخروج عن أمرهما وموجبهما لطاعة أحد دونهما فهو كافر لا شك عندنا فى ذلك » ..

« ولو أن امرءا قال : لا نأخذ الا ما وجدنا فى القرآن لكان كافرا بإجماع الأمة ، ولكان لا يلزمه الا ركعة بين دلوك الشمس الى غسق الليل ، وأخرى عند الفجر ، لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم الصلاة، ولا حد للأكثر فى ذلك .

وقائل هذا مشرك حلال الدم والمال . وانما ذهب الى هذا بعض غالية الرافضة ، ممن اجتمعت الأمة على كفرهم » .

* * *

وقد تلمس أعداء السنة بعض الأحداث الواردة فى الأخبار ، فاتخذوا منها سندا واهيا لدعواهم . فقالوا ان عمر بن الخطاب منع الصحابة من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كانت السنة أصلا واجب الاتباع لما منعهم منها .. ومنهم من قال : انما منعهم لأنهم كانوا يزيدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث، ويروون ما لم يقل .

أما الشبهة الثانية فقد بطلت بما قال أبو حاتم ونقلناه آنفا .

والذى حدث فيما يرويه رجال الحديث عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : بعث عمر بن الخطاب الى عبد الله بن مسعود وأبى الدرداء وأبى مسعود الانصارى فقال : ما هذه الأحاديث التى تروون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحبسهم فى المدينة حتى استشهد . وفى رواية أخرى عن سعد بن ابراهيم زاد عقبة بن عامر .

وهذه الرواية قد اثبتها ابن حبان فى مقدمة كتابه «المجروحون» وأولها بان عمر لم يفعل ذلك اتهاما للصحابة ، ولا ردا لهم عن تبليغ

ما سمعوا من رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم وقد علم أنه قال : « ليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وأنه لا يحل لهم كتمان ما سمعوا به ولكنه علم ما يكون بعده من التقول على رسول الله صـلى الله عليـه وسلم ، لانه عليه السلام قال : « ان الله نزل الحق على لسان عمـر وقلبه » . وقال : « ان يكن فى هذه الامة محدثون فعمر منهم » .

فعد عمر من الثقات المتقين ، الذين شهدوا الوحى والتنزيل ، فانكر عليهم كثرة الرواية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لئلا يجترىء من بعدهم ممن ليسوا فى الاسلام محله كمحلهم فيكثر الرواية ، فينزل فيها ، أو يقول فيها متعمدا عليه صلى الله عليه وسلم لنوال الدنيا .

وتبع عمر على هذا على بن أبى طالب باستحلاف من يحدثه عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم وان كانوا ثقاة مامونين ، ليعلم بهم توقى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرتدع من لا دين له عن الدخول فى سخط الله جل وعلا .

وهذا الخبر مروى عن سـعد بن ابراهيم بن عبـد الرحمن بن عوف عن أبيه عن عمر . وابراهيم لم يسمع من عمر كما قال ابن حزم والبيهقى ، لانه مات سنة تسع وتسعين أو خمس وتسعين وعمره خمس وسبعون عاما ، فيكون قد ولد عام عشرين من الهجرة ، اى فى أواخر خلافة عمر ، فلا يعقل منه سماع فى هذا العمر المبكر جدا .

ويبدو أن ابن حيان يثبت لابراهيم سماعا من عمر ، لانه اثبت الرواية ودافع عنها ، ولم يطعن فى سندها بالانقطاع .

وعلى اية حال فنحن لا نميل الى تصديق هذه الرواية مطلقا ، لان عمر رضي الله عنه أجـل من أن يتنـاقض مع نفسـه فى عمل من الاعمال .

فعبد الله بن مسعود أرسله عمر الى العراق معلما للدين ، وقال

لأهل العـراق : « ولقـد آثرتكم بعبـد الله على نفسي » . كمـا كان أبو الدرداء معلم أهل الشام فى عهده أيضا ، فكيف يحبسهما فى المدينة وهما فى العراق والشام يعلمون الناس الأحكام ، وهى مأخوذة من الكتاب والسنة جميعا » ؟

والخبيث الذى ألف كتاب « الغـدير » من الشـيعة يرى هـذا الحادث من مثالب عمر رضي عنه ، وأنه كان معاديا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ناقما على من يكثرون عنه الرواية .

وعلى أى حال فان تعليل ابن حبان للرواية سـائغ مقبـول ان صحت عنده على أنه وسيلة ايضاح لغير الصحابة من رواة الحديث أن يتثبتوا فى الرواية حتى لا يدخل فى السنة ما ليس منها .

ونفس العلة تنسحب على فعل عمر فى بعض الحـالات حينما طلب شاهدا مع أبى سعيد فى حديث الاستئذان : اذا استاذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع . وطلب أبى بكر شاهدا مع المغيرة بن شعبة فى حديثه عن ميراث الجدة . وتحليف على لمن يروى له حديثا من الصحابة .

* * *

ومع هذا التوقى الشديد من الـكذب على رسـول الله صلى الله عليه وسلم من الأجيال التالية لجيل الصحابة ، فقد وقع ما كان يحذره الشيخان وعلى رضي الله عنهم ، فدخل الكذب فى الروايات ، وكان لذلك أسباب كثيرة أهمها حركة التشيع كما أشار الى ذلك ابن أبى الحـديد فى شرح نهج البلاغة حيث قال : « اعلم أن أصـل الكذب فى أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة » .

وقال حماد بن سلمة : « حدثنى شيخ لهم - يعنى الرافضـة - فقال : كنا اذا اجتمعنا فاستحسنا شيئا جعلناه حديثا » .

وقال الشافعي : « ما رأيت فى أهل الأهواء قوما أشهد بالزور من الرافضة » .

وقال مالك عنهم : « لا تكلمهم ولا ترو عنهم فانهم يكذبون » .

وقال شريك القاضي وكان شيعيا معتدلا كما يقولون : « احمل عن كل من لقيت ، الا الرافضة ، فانهم يضعون الحديث ويتخذونه دينا».

والسبب الثانى للكذب فى الحديث « الزندقة » . كانوا يتشبهون باهل العلم ويدخلون المدن ويضعون الحديث على العلماء ليوقعوا الشك والريب فى قلوبهم .

قال ابن لهيعة : دخلت على شيخ وهو يبكى . فقلت : ما يبكيك ؟ قال : وضعت أربعمائة حديث أدخلتها فى بارنامج الناس ، فلا أدرى كيف أصنع ؟

وقال ابراهيم النخعى : اياكم والمغيرة بن سعيد وأبا عبدالرحيم، فانهما كذابان .

والسبب الثانى : استفزاز الشيطان لبعض الناس بفضائل الأعمال. قال ابن مهدى لميسرة بن عبد ربه : من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب بها الناس .

والسبب الثالث : تعمد الوضع جرأة واستحلالا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أمثال أبى البخترى وسليمان بن عمرو والحسين بن علوان واسحق بن نجيح الملطى وأبى داود النخعى ، ومحمد بن زياد الجوزي .

والرابع : مجاملة الحكام والأمراء مثل غياث بن ابراهيم حين دخل على المهدى وأمامه حمام فقال : «لا سبق الا فى خف أو حافر أو جناح».

فزاد « أو جناح » فأمر له المهدى ببدرة ، فلما خرج قال : أشهد أن قفاك قفا كذاب .

وهناك أنواع أخرى من الوضع كثيرة ، ولكن الذى يتصل بموضوعنا هنا نوعان هما : الابتداع والقصص .

والابتداع والمبتدعون أشر أنواع العداء للسنة ، قال عمرو بن النضر : مررت بعمرو بن عبيد فجلست اليه فذكر شيئا فقلت : ما هكذا يقول اصحابنا . قال : ومن أصحابك ؟ قلت : أيوب ، ويونس ، وابن عون ، والتيمى . قال : أولئك أنجاس أرجاس ، أموات غير أحياء.

وقال ابن عيينة : كنت عند جابر الجعفى يوما فى بيت فتكلم بكلام نظرنا الى السقف فقلنا : الساعة يسقط علينا .

وأما القصاص فيكفينا فى شانهم هذه القصة .

قال جعفر بن أبى عثمان الطيالسي : صلى أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قائم فقال : حدثنا أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين قالا : حدثنا عبد الرزاق . عن معمر عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا اله الا الله يخلق من كل كلمة منها طير ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ، واخذ فى قصته نحوا من عشرين ورقة .

فجعل احمد ينظر الى يحيى ويحيى ينظر الى احمد ويقول : أنت حدثته بهذا ؟ قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة .

فسكتوا جميعا حتى فرغ من قصصه ، وأخذ قطاعه . فاشار اليه يحيى بن معين بيده ، فجاء متوهما لنوال ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال يحيى بن معين وأحمد بن حنبل . فقال : أنا يحيى بن معين وهذا أحمد بن حنبل . ما سمعنا بهذا . فقال له :

أنت يحيى بن معين ؟ قال : نعم . قال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ما علمته الا الساعة . قال : وكيف علمت أنى أحمق ؟ قال : كأن ليس فى الدنيا يحيى وأحمد غيركما ، كتبت عن سبعة عشر أحمد ابن حنبل غير هذا . فوضع أحمد كمه على وجهه وقال : دعه يقوم . فقام كالمستهزىء بهما .

ولكن أهل السنة قاموا بعملية تحقيق لم يسبق لها مثيل فى تواريخ الثقافات العالمية حققوا السنة ووضعوا المصطلح ، ووضعوا ضوابط الصحة والفساد ، وجمعوا رجال الحديث ، ونبهوا على أقدارهم من حيث التوثيق والتوهين فى عمل بطولى مازال مفتوحا أمام الباحثين الى الآن .

* * *

مع ابن قتيبة فى كتابه

واجه ابن قتيبة هجوم فصائل أعداء السنة من الخوارج والمرجئة والرافضة والقدرية والقائلين بالبداء والمعتزلة وأخصهم عمرو بن عبيد والنظام والعلاف والجاحظ ٠

والذى أبرزه ابن قتيبة فى كتابه هو أصحاب الكلام وأصحاب الرأى واتخذ من المعتزلة أساسا لأصحاب الكلام وللحنفية أساسا لأصحاب الرأى فأفاض فى سرد فضائح المعتزلة وافتراءاتهم على الصحابة وتكذيبهم لهم ، واستهزائهم بهم ٠

ودافع عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى بكر وعمر وعلى ضد افتراءات المعتزلة الذين شوهوا صورة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ورد على كل ما أورده هؤلاء جميعا من اتهامات فردية وجماعية لأهل الحديث وللصحابة وللتابعين ٠٠ ثم وقف عند ما اعترضوا عليه من نصوص الحديث التى يوهم ظاهرها الاختلاف والتعارض ، أو يوهم القول بالتشبيه والتجسيم ٠ فأفرد له هذا الكتاب ، فأفاض فى القول حتى أوفى على المراد من نصرة الحديث النبوى وتبرئته من التعارض والاختلاف ، بالجمع بين الروايات على صورة منطقية ليس فيها شيء من التعسف ولا الاستكراه ، ونادرا ما كان يبطل أحد النصين المتعارضين ويبقى الآخر بلا منازع مما فيه مظنة التعارض والاختلاف ٠

وهو يلجأ الى اللغة والعرف العربى فى التعبير يستلهمه الحكم الفاصل فى قضايا هذا الكتاب ، ويورد من الشعر أعذبه يستشهد به على استعمالات اللغة ، فجاء كتابه جامعا بين عقل العالم وذوق الأديب فائقا فى بابه ٠

وبحكم ثقافته اللغوية الواسعة فقد احتشد كتابه بحشد هائل من

الفاظ اللغة الغريبة مما يعطى كتابه بعدا ثالثا هو أنه موسوعة ثقافة لغوية الى جانب الثقافة الحديثية والأدبية ٠

ولكنه جار وأجحف بحق الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه ٠

حمل عليه حملة ضارية كما حمل عليه غيره تماما ٠٠ وكنا نود أن يكون ابن قتيبة كمعلمه رزينا فى اصدار الأحكام هكذا ٠٠ ثم لا يناقض نفسه وهو يقول عن أبى حنيفة : انه كان فى الفتيا ولطف النظر واحد زمانه ٠

والحقيقة أن أبا حنيفة سيء الحظ عند الناس ، فقد كان كثير من المعتزلة يرتادون حلقته ، ولا ذنب له فى ذلك مطلقا ، فظن الناس انه معتزلى ، وأنه مرجىء ، وأنه زنديق ، بل ان ابن حبان وهو يحمل عليه هو الآخر روى عن بعض رواته أن أبا حنيفة قال : لو كان رسول الله حيا لأخذ بكثير من أقوالى ٠٠ وهذا ما لا يجوز على عقول الصبيان فضلا عن عقل ابن حبان لولا الحقد الأسود ٠

وليس أبو حنيفة وحده الذى رمى بذنب غيره ٠٠ فالامام احمد نسبت اليه أقوال من المتاخرين لا يمكن أن تصدر عنه مهما حاول المرجفون أن يثبتوا أقوالهم ٠ يروى عنه الذهبى فى الجزء الخامس عشر من تاريخ الاسلام (مخطوط) أنه قال عن المحاسبى : لا توبة لحارث ، يشهدون عليه بالشيء ويحجد ٠ وكان من جحد شهادة الشهود لا توبة له فى رأى الامام أحمد ٠

واحمد الذى كان يتحرج السنة والسنتين حتى يصدر حكما على راو من الرواة بانه لا تجوز منه الرواية يصدر هكذا وبيساطة حكما باغلاق باب التوبة عن انسان قبل أن يغرغر ٠ وهو الامام الحجة الثبت فى السنة وفقه السنة مهما أرجف المرجفون ٠

والشافعى اتهموه بانه يقـول باباحة وطء الزوجة فى الدبر ، وهكذا اتهموا الامام مالك حتى قالوا انه كتب فى هـذا كتابا سـماه (السر) .

لم يسلم امام من الائمة الاربعة من الارجاف والبهتان .. وكانها مؤامرة لتدمير كل عظيم فى الاسلام ، وهـدم كل قمة من قمم الفقه والفكر والعلم ، حتى يخلو الجو لأوشاب لا تبدىء ولا تعيد فى دنيا العلم .

ومن العجيب أن يغيب عن ابن قتيبة وعن ابن حبان وأمثالهما من العلماء الكبار أن الرواة الذين رووا الأخبار فى ثبت أبى حنيفـة كلهم مجروحون وأعجب العجيب أن ابن حبان أثبت هؤلاء المجروحين فى كتابه فى الوقت الذى اعتمد عليهم فى نقـل الأخبـــار فى ثبت أبى حنيفة ، واليك أيها الأخ الكريم نموذجا من جرح ابن حبان لبعض هؤلاء الرواة لتقيس عليه باقيهم :

١ ــ سفيان بن وكيع بن الجراح . ابتلى بوراق سوء كان يدخل عليه الحديث ، وكان يثق به فيجيب فيما يقرأ عليه ، وكان ابن خزيمة يحدث عنه ويقول : حدثنا من أمسك عن ذكر اسمه ، وما كان يحدث الا بالحرف بعد الحرف . وقال أبو زرعـــة : كان يتهـم بالكذب .

٢ ــ داود بن الزبرقان . كان نخاسا بالبصرة ، قال ابن معين : ليس بشيء . وقال أبو حاتم : شيخ صالح كان يهم فى المذاكرة ويغلط فى الرواية اذا حدث من حفظه ، وياتى عن الثقات بما ليس من حديثهم . فلما نظر يحيى الى تلك الأحاديث انكرها وأطلق عليه الجرح بها .

٣ ــ أبو البخترى. وهب بن وهب القاضي. يروى عن هشام بن عروة ، وجعفر بن محمد . كان يضع الحديث على الثقات . ولا تجـوز

الرواية عنه الا على سبيل التعجب . ولا يجوز كتابة حديثه ، كذبه أحمد وغيره .

٤ - يوسف بن أسباط . قال أبو هاشم : لا يحتج به ، يغلط كثيرا .

٥ - نعيم بن حماد . قال النسائى : ليس بثقة . وقال الدارقطنى : كثير الوهم . وقال العباس بن مصعب . وضع كتبا فى الرد على أبى حنيفة . وقال أبو داود : وضع أحاديث لا أصل لها . وقال الأزدى : كان يضع أحاديث فى تقوية السنة ، وحكايات مزورة فى ثلب أبى حنيفة كلها كذب .

٦ - على بن عاصم . ضعفوه ، وكان مكثرا . ويخطىء ويصر على الخطأ ، رمى بالتشيع .

٧ - حجاج بن أرطاه . تركه ابن معين وابن حنبل وابن مهدى وغيرهم.

٨ - ابراهيم بن طهمان . ضعفه محمد بن عبدالله بن عمار والجوزجانى يرمى بالارجاء .

٩ - أحمد بن الوليد الكرخى . قال الذهبى : لا يساوى فلسا .

وعلى هذه الوتيرة من روى عن أبى حنيفة قصصا وأخبارا تنتقص من مقامه كامام مجتهد .

وأبو حنيفة لا ينكر الحديث كما اتهمه الناس . وانما له فى فقه الحديث وجهة نظر قد تختلف مع وجهة نظر غيره .

ومثال ذلك حديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » . قالوا : ما لم يتفرقا بالأجساد . وقال أبو حنيفة : ما لم يتفرقا بالاجساد أو يتفرقا بالكلام ، بان يأخذا فى كلام غير الكلام عن صفقة البيع . وهاج

الناس وقالوا : نازع أبو حنيفة الحديث . وأفتى بالخيار لمن لم يتفرقا مفتريا على السنة .

ولكنه لما سئل عن الحديث قال : نعم . أرأيت ان كانا مسافرين متلازمين كيف يتفرقان ؟ أرأيت ان كانا فى سجن كيف يتفرقان ؟ لابد اذن من المصير الى القول بالتفرق بالكلام حتى يستوعب الحديث احكامه ومحتملاته . وليس فى هذا انكار للحديث ، بل هـــو اثراء لمعنى الحديث وفقهه .

لم يكن أبو حنيفة مقلا فى الحديث ، ولا معارضا له كما توهم ابن قتيبة وغيره ، ولكن كانت له شروط دقيقة شديدة فى قبول أحاديث الأحكام . ظن الناس معها انه قليل البضاعة أو مناهض للحديث .

* * *

وبعد .. فقد رأينا أن هذا الكتاب الذى نقدمه للقراء فى ثوبه الجديد هو خير ما نقدمه للقراء فى عصرنا وقد ارتفعت الأصـــوات الناشزة بتلك النغمة البغيضة وهى نغمة الاكتفاء بالقرآن دون السنة ، والتشكيك فى السنة حتى اضطرب الناس وظنوا بالسنة الظنون .

والكتاب شامل لأحاديث الصفات المتشـابهة . وللأحاديث التى ظن الناس فيها التعارض والتناقض . ومن هنا فانه يتفوق على كتاب ابن فورك فى أنه تعرض للأحاديث المتعارضة فى الظاهر ، من حيث اقتصر ابن فورك على احاديث الصفات ، ثم على الرد على ما جـــاء فى كتاب التوحيد لابن خزيمة .

وابن فورك ينقل عن ابن قتيبة كلامه حرفيا ولا ينسبه اليه . وقد نبهنا على ذلك فى الهوامش . ولا ندرى لماذا سلك هذا المسلك المعيب .

والكتاب مطبوع نشرته دار الكتاب العربى فى لبنان . وطبعته فى مصر مكتبة الكليات الأزهرية .

وقد راجعنا النسخة اللبنانية على النسخة المصرية فلم نجد بينهما فرقـا .

ثم راجعناها على المخطوطة التى كتبت فى عام ٦٤٠ هجرية بدار الكتب المصرية . وهى نسخة جيدة وثيقة عليها سماعات سوف نثبتها فى آخر هذه المطبوعة . وهى برقم ٦٥٤١ حديث ج بدار الكتب المصرية .

وقد اثبتنا الفروق التى لا نرتضيها فى الهوامش ، وأبقينا ما اخترناه فى الصلب . وراجعنا ما اتفق فيه كتاب ابن فورك مع كتاب ابن قتيبة ونبهنا على مواضع الاقتباس التى أشرنا اليها .

وفيما نجد أهمية خاصة لتحرى سنده من الأحاديث راجعنا الأسانيد على كتب الرجال ، وأثبتنا الضعيف منهم فى الهوامش .

وشرحنا وجهة نظر المؤلف حين تدق على الأفهام البادئة ، حتى يكون الكتاب ميسور الفهم لجميع الفئات .

وخرجنا آيات القرآن الكريم وضبطناها . كما ضبطنا الغريب من كلمات الكتاب وما اكثرها ، وضبطنا الشعر حين يحتاج الى ضبط .

ونرجو أن ينفع الله به المسلمين ، وأن يكون اضافة الى الفكر الاسلامى فى عصرنا يدعم السنة بقوة ذاتية نرجوها ونسالها الله تعالى، انه سميع قريب مجيب .

عبد القادر احمد عطا

القاهرة المحرم ١٤٠١ هـ

نوفمبر ١٩٨١ م

تأويل مختلف الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الامام ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالي:

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، وآله الطيبين الطاهرين ·

أما بعد ·· أسعدك الله تعالى بطاعته ، وحاطك بكلاءته ، ووفقك للحق برحمته ، وجعلك من أهله ، فانك كتبت الى تعلمنى ما وقفت عليه من ثلب أهل الكلام أهل الحديث وامتهانهم ، واسهابهم فى الكتب بذمهم ، ورميهم بحمل الكذب ، ورواية المتناقض ، حتى وقع الاختلاف ، وكثرت النحل ، وتقطعت العصم ، وتعادى المسلمون، وأكفر بعضهم بعضا ، وتعلق كل فريق منهم لمذهبه بجنس من الحديث ·

* فالخوارج(١) تحتج بروايتهم : ضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم أبيدوا خضراءهم · ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم خلاف من خالفهم · ومن قتل دون ماله فهو شهيد ·

* والقاعد يحتج بروايتهم : عليكم بالجماعة ، فان يد الله عز وجل عليها · ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، واسمعوا وأطيعوا وان تامر عليكم عبد حبشي مجدع الأطراف(٢) · وصلوا خلف كل بر وفاجر · ولابد من امام بر أو فاجر · وكن حلس(٣) بيتك فان دخل عليك فادخل مخدعك ، فان دخل عليك فقل بؤ باثمى واثمك · وكن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ·

---

(١) هم الذين خرجوا على على ومعاوية بعد التحكيم ، وحكموا بكفرهما ويكفر من اشترك فى التحكيم ·

(٢) مجدع الأطراف · أى مقطع الأطراف ·

(٣) حلس بيتك : جليس بيتك لا تفارقه ·

* والمرجىء(٤) يحتج بروايتهم : من قال لا اله الا الله فهو فى الجنة · قيل : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق · ومن قال لا اله إلا الله مخلصا دخل الجنة ، ولم تمسه النار · وأعددت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى ·

* والمخالف له يحتج بروايتهم : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن · ولم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه(٥) · ولم يؤمن من لم يأمن المسلمون من لسانه ويده · ويخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره(٦) · ويخرج من النار قوم قد امتحشوا(٧) فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل(٨) السيل أو كما تنبت التغاريز(٩) ·

* والقدرى(١٠) يحتج بروايتهم : كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهوذانه أو ينصرانه · وبأن الله تعالى قال : خلقت عبادى جميعا حنفاء ، فاجتالتهم(١١) الشياطين عن دينهم ·

* والمفوض(١٢) يحتج بروايتهم : اعملوا فكل ميسر لما خلق له · أما من كان من أهل السعادة فهو يعمل للسعادة ، ومن كان من أهل الشقاء فيعمل للشقاء ·· وان الله تعالى مسح ظهر آدم فقبض قبضتين فأما القبضة اليمنى فقال : الى الجنة برحمتى ، والقبضة اليسرى

(٤) المرجئة : المبتدعة الذين يرجئون الاعمال بلا حكم عليها ·
(٥) البوائق : الشرور والآثام ·
(٦) الحبر والسبر بكسر الحاء والسين : الهيئة والجمال ·
(٧) امتحشوا بالبناء للفاعل أو المفعول : احترقوا ·
(٨) الحبة بكسر الحاء : البذرة من البقول أو الرياحين · وحميل السيل : ما يحمله السيل من الطين ·
(٩) التغاريز : فسائل النخل اذا قطعت من امهاتها وغرزت فى مكان آخر ·
(١٠) القدرية الذين ينكرون تقدير الله للأشياء وينسبون للعبد فعل نفسه ·
(١١) اجتالتهم : جعلتهم يجولون معهم فى الضلال ·
(١٢) المفوض : الذين يجعلون الامر كله لله يتصرف فيه كيف يشاء ·

فقال : الى النار ولا أبالى ، والسعيد من سعد في بطن أمه ، والشقى من شقى فى بطن أمه . هذا وما أشبهه .

* والرافضة(١٣) تتعلق فى اكفارها صحابة رسـول الله صلى الله عليه وسلم برواياتهم : ليردن على الحوض أقوام، ثم ليختلجن(١٤) دونى ، فأقول : أى ربى ، أصيحابى أصيحابى . فيقال (١٥) : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منـذ فارقتهم . ولا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض .

* ويحتجون فى تقديم على رضي الله تعـالى عنـه برواياتهم : انت منى بمنزلة هارون من موسي غير أنه لا نبى بعدى . ومن كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه . وأنت وصيى .

* ومخالفوهم يحتجون فى تقـديم الشـيخين رضي الله عنهما برواياتهم : اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر . ويابى الله ورسوله والمسـلمون الا أبا بكـر . وخير هـذه الأمـة بعـد نبيهـا ابو بكر (وعمر) (١٦) .

* ويتعلق مفضلو الغنى برواياتهم : اللهم انى أسألك غناى وغنى مولاى . اللهم انى أعوذ بك من فقر مرب أو ملب(١٧) .

* ويتعلق مفضلو الفقر برواياتهم : اللهم أحينى مسـكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين . والفقر بالرجـل المؤمن احسن من العذار الحسن على خد الفرس .

---

(١٣) الرافضة : من يرفض الشيخين أبى بكر وعمر .
(١٤) يختلجن : بالبناء للمجهول : اى يجذبون ويقتطعون .
(١٥) فى المطبوعتين : فيقول .
(١٦) سقطت من المطبوعتين .
(١٧) مرب أو ملب . بضم أوله وكسر ثانيه فيهما . وهما بمعنى الدائم الذى لا ينقطع .

* ويتعلق القائلون بالبداء(١٨) بروايتهم : صلة الرحم تزيد في العمر ، والصدقة تدفع القضاء المبرم . ويقول عمر : اللهم ان كنت كتبتني في أهل الشقاء فامحني واكتبني في أهل السعادة . هذا مع زوايات كثيرة في الاحكام اختلف لها الفقهاء في الفتيا حتى افترق الحجازيون والعراقيون في أكثر أبواب الفقه ، وكل يبني على أصل من روايتهم .

قالوا : ومع افترائهم على الله تعالى في أحاديث التشبيه كحديث عرق الخيل ، وزغب الصدر ، ونور الذراعين(١٩) ، وعيادة الملائكة ، وقفص الذهب (٢٠) على جمل أورق عشية عرفة(٢١) ، والشاب القطط(٢٢) ودونه فراش الذهب ، وكشف الساق يوم القيامه(٢٣) اذا كادوا يباطشونه(٢٤) . وخلق آدم على صورته ، ووضع يده بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثندوتي(٢٥) وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله تعالى .

* ومع روايتهم كل سخافة تبغث على الاسلام الطاعنين ، وتضحك منه الملحدين ، وتزهد من الدخول فيه المرتادين ، وتزيد في شكوك المرتابين . كروايتهم في عجيزة الحوراء أنها ميل في ميل ،

---

(١٨) البداء : القول بان الله يرجع في احكامه بعد ان يبرمها . واول من قال به المختار والثقفي .

(١٩) اشارة الى احاديث موضوعة هي خلق الله نفسه من عرق الخيل ، وخلق الملائكة من شعر ذراعيه وصدره .

(٢٠) قفص الذهب .

(٢١) اشارة الى حديث موضوع هو أن الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق فيصافح الركبان ويعانق المشاة ، وهو من اعظم الكذب .

(٢٢) اشارة الى حديث موضوع هو انه رأى ربه في صورة شاب رجلاه في خضرة ، فيهما نعلان من ذهب وسيأتي بتمامه .

(٢٣) اشارة الى حديث فيه ان الله يتعرف الى خلقه يوم القيامة فلا يعرفونه الا بعد أن يكشف ساقه .

(٢٤) يباطشونه : هكذا .. ولعل معناها : كادوا يصارعونه . كما روى في التوراة أن يعقوب صارع الرب .

(٢٥) الثندوتان للرجل كالثديين للمرأة .

وفيمن قرأ سورة كذا وكذا ، ومن فعل كذا وكذا أسكن من الجنة سبعين الف قصر ، فى كل قصر سبعون الف مقصورة ، فى كل مقصورة سبعون الف مهاد ، على كل مهاد سبعون الف كذا . وكروايتهم فى الفأرة أنها يهودية ، وأنها لا تشرب ألبان الابل ، كما أن اليهود لا تشربها ، وفى الغراب أنه فاسق ، وفى السنور أنها عطسة الأسد ، والخنزير أنه عطسة الفيل ، وفى الاربيانة(٢٦) أنها كانت خياطة تسرق الخيوط فمسخت ، وأن الضب كان يهوديا عاقا فمسخ ، وأن سهيلا كان عشارا باليمن ، وأن الزهرة كانت بغيا عرجت الى السماء باسم الله الأعظم(٢٧) فمسخها الله شهابا ، وأن الوزغة كانت تنفخ النار على ابراهيم ، وأن العظاية(٢٨) تمج الماء عليه ، وأن الغول كانت تأتى مشربة أبى أيوب كل ليلة ، وأن عمر رضي عنه صارع الجنى فصرعه ، وأن الأرض على ظهر حوت ، وأن أهل الجنة يأكلون من كبده أول ما يدخلون ، وأن ذئبا دخل الجنة لأنه أكل عشارا ، واذا وقع الذباب فى الاناء فامقلوه ، فان فى أحد جناحيه سما وفى الآخر شفاء ، وأنه يقدم السم ويؤخر الشفاء ، وأن الابل خلقت من الشيطان مع أشياء كثيرة يطول استقصاؤها(٢٩) .

قالوا ومن عجيب شأنهم أنهم ينسبون الشيخ الى الكذب ، ولا يكتبون عنه ما يوافقه عليه المحدثون بقدح(٣٠) يحيى بن معين وعلى بن المدينى وأشباههما ، ويحتجون بحديث أبى هريرة فيما لا يوافقه عليه أحد من الصحابة ، وقد أكذبه عمر وعثمان وعائشة(٣١) ويحتجون بقول فاطمة بنت قيس وقد أكذبها عمر وعائشة وقالوا :

---

(٢٦) الاربيانة : سمك صغير كالدود . وهو بكسر الهمزة والباء .
(٢٧) فى المطبوعتين : الأكبر .
(٢٨) العظاية : سام أبرص . المعروف عند العامة (البرص) .
(٢٩) ستأتى هذه الأحاديث فى ثنايا الكتاب حين يرد عليها أو عنها المؤلف . وفى المخطوطة (اقتصاصها) بدل (استقصائها) .
(٣٠) فى المخطوطة (لقدح) .
(٣١) ستأتى الأحاديث التى اعترضها عمر وعائشة رضي الله عنهما .

لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة . ويبهرجون(٣٢) الرجل بالقدر فلا يحملون عنه كغيلان ، وعمرو بن عبيد ومعبد الجهنى ، وعمرو بن فائد ، ويحملون عن أمثالهم من أهل مقالتهم كقتادة ، وابن أبى عروبة وابن أبى نجيح ومحمد بن المنكدر وابن أبى ذئب ؛ ويقدحون فى الشيخ يسوى بين على وعثمان أو يقدم علياعليه ويروون عن أبى الطفيل عامر بن واثلة صاحب راية المختار ، وعن جابر الجعفى وكلاهما يقول بالرجعة(٣٣) قالوا وهم مع هذا أجهل الناس بما يحملون وأبخس الناس حظا فيما يطلبون وقالوا فى ذلك :

زوامل(٣٤) للأشعار لاعلم عندها بجيدها الا كعلم الأباعر
لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا باحماله أو راح ما فى الغرائر

* قد قنعوا من العلم برسمه ، ومن الحديث باسمه ، ورضوا بأن يقال(٣٥) : فلان عارف بالطرق ، ورواية للحديث ، وزهدوا فى أن يقال : عالم بما كتب ، أو عامل بما علم .

* قالوا وما ظنكم برجل منهم يحمل عنه العلم وتضرب اليه أعناق المطى خمسين سنة أو نحوها ، سئل فى ملأ من الناس عن فارة وقعت فى بئر فقال البئر جبار(٣٦) . وآخر سئل عن قوله تعالى :« ريح فيها صر » (٣٧) فقال هو هذا الصرصر يعنى صراصر الليل . وآخر حدثهم عن سبعة وسبعين ويريد شعبة وسفيان . وآخر روى لهم ستر المصلى مثل آجرة الرجل يريد مثل آخرة الرجل . وسئل آخر متى يرتفع هذا الأجل ؟ فقال الى قمرين . يريد الى شهرى هلال . وقال

---

(٣٢) يبهرجون الرجل بالقدر : يرفضونه ويطرحونه بسبب قوله بالقدر .
(٣٣) الرجعة : الرجوع الى الحياة فى الدنيا بعد الموت .. وهو مذهب شيعى .
(٣٤) زوامل جمع زاملة ، وهى البعير الذى يحمل عليه المتاع .
(٣٥) فى المطبوعتين (يقولوا) .
(٣٦) البئر جبار . بضم الجيم أى : بريئة من النجاسة .
(٣٧) آل عمران : ١١٧ .

آخر يدخل يده فى فيــه فيقضمها قضم الفجل ، يريد قضم الفصـل ، وقال آخر أجد فى كتابى الرسول ولا أجد الله ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المستملى : اكتبوا : وشك فى الله تعالى . مع أشياء يكثر تعدادها .

* قالوا وكلما كان المحدث أموق(٣٨) كان عندهم أنفق(٣٩) ، واذا كان كثير اللحن والتصحيف كانوا به أوثق ، واذا ساء خلقه وكثر غضبه واشتد حدة وعسرة (٤٠) فى الحديث تهافتوا عليــه . ولذلك كان الأعمش يقلب الفرو ويلبسه ويطرح على عاتقه منديل الخوان . وساله رجل عن اسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده الى الحائط وقال : هذا اسناده . وقال اذا رأيت الشيخ لم يطلب الفقه أحببت أن أصفعه ، مع حماقات كثيرة تؤثر عنه لا نحسبه كان يظهرها الا لينفق (٤١) بها عندهم .

* (قال أبو محمد) هــذا ما حكيت من طعنهم على أصحاب الحديث ، وشكوت تطاول الأمر بهم على ذلك من غير أن ينضح عنهم ناضح ، ويحتج لهــذه الأحاديث محتج ، أو يتأولهــا متــأول ، حتى أنسوا بالعيب ، ورضوا بالقذف ، وصــاروا بالامســاك عن الجـواب كالمسلمين ، وبتلك الأمور معترفين .

* وتذكر انك وجدت فى كتابى المؤلف فى غريب الحديث بابا ذكرت فيه شيئا من المتناقض عندهم ، وتأولته ، فأملت بذلك أن تجد عندى فى جميعه مثل الذى وجدته فى تلك من الحجج ، وسألت أن أتكلف ذلك محتسبا للثواب ، فتكلفته بمبلغ علمى ، ومقدار طاقتى ،

---

(٣٨) الأموق : الأحمق الغبى .
(٣٩) انفق : أى رائج البضاعة مشهور بالعلم .
(٤٠) فى المخطوطة : واشتد حرده وعثر . يريد : نفاره وسقطه .
(٤١) ينفق بها : يروج بها ويشتهر .

وأعدت ما ذكرت فى كتبى من هذه الاحاديث ، ليكون الكتاب تاما جامعا للفن الذى قصدوا الطعن به .

* وقدمت قبل ذكر الاحاديث وكشف معانيها وصف أصحاب الكلام وأصحاب الحديث بما أعرف به كل فريق ، وأرجو أن لا يطلع ذو النهى منى على تعمد لتمويه ، ولا ايثار لهوى ، ولا ظلم لخصم ، وعلى الله أتوكل فيما أحاول وبه أستعين .



(باب ذكر أصحاب الكلام وأصحاب الرأى)

(قال أبو محمد) وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون عى الله مالا يعلمون ، ويعيبون (١) الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى فى عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع(٢) ويتهمون غيرهم فى النقل ولا يتهمون آراءهم فى التأويل .

ومعانى الكتاب والحديث وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأبنية(٣) .

ولو ردوا المشكل منهما الى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاتباع ، واعتقاد الاخوان بالمقالات ، والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا . ولو ظهر من يدعى النبوة مع معرفتهم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، أو من يدعى الربوبية ، لوجدنا على ذلك أتباعا واشياعا . وقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس واعداد آلات النظر أن لايختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون؛ لأن آلتهم لا تدل الا على عدد واحد ، والا على شكل واحد ، وكما لا يختلف حذاق الأطباء فى الماء وفى نبض العروق لأن الأوائل قد وقفوهم من ذلك على أمر واحد ، فما بالهم أكثر الناس اختلافا لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على أمر واحد فى الدين . فابو الهذيل العلاف يخالف النظام، والنجار يخالفهما ، وهشام بن الحكم يخالفهم ، وكذلك ثمامة ومويس وهاشم الأوقص وعبيد الله بن الحسن وبكر العمى (وحفصون) (٤)

---

(١) فى المطبوعتين : وينفتنون . وما اثبتناه أوضح .

(٢) تطرف على الأجذاع . يعنى تغمض على جذوع النخل . يريد ما هو أبشع من القذى الذى عابوا به غيرهم .

(٣) يعنى أن علم الكتاب والسنة لا يدرك بمصطلحات المتكلمين من الطفرة وما بعدها من الكلمات .

(٤) سقطت من المطبوعتين .

وحفص (وصالح) (٥) وقبة وفلان وفلان ، ليس منهم واحد الا وله مذهب فى الدين يدان برأيه ، وله عليه تبع .

قال أبو محمد ولو كان اختلافهم فى الفروع والسنن لاتسع لهم العذر عندنا ، وان كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم ، كما اتسع لأهل الفقه ووقعت لهم الاسوة بهم ، ولكن اختلافهم فى التوحيد وفى صفات الله تعالى وفى قدرته ، وفى نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، وعذاب البرزخ وفى اللوح وفى غير ذلك من الامور التى لا يعلمها نبى الا بوحى من الله تعالى ، ولن يعدم هذا من رد مثل هذه الأصول الى استحسانه ونظره وما أوجبه القياس عنده ، لاختلاف الناس فى عقولهم وارادتهم واختياراتهم ، فانك لا تكاد ترى رجلين متفقين حتى يكون كل واحد منهما يختار ما يختاره الآخر ، ويرذل ما يرذله الآخر الا من جهة التقليد .

والذى خالف بين مناظرهم وهيآتهم والوانهم ولغاتهم واصواتهم وخطوطهم وآثارهم حتى فرق القائف بين الأثر والأثر ، وبين الأنثى والذكر ، هو الذى خالف بين آرائهم . والذى خالف بين الآراء هو الذى أراد الاختلاف لهم ، ولن تكمل الحكمة والقدرة الا بخلق الشيء وضده ، ليعرف كل واحد منهما بصاحبه ، فالنور يعرف بالظلمة ، والعلم يعرف بالجهل ، والخير يعرف بالشر ، والنفع يعرف بالضر ، والحلو يعرف بالمر ، لقول الله تبارك وتعالى : « **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن انفسهم ومما لا يعلمون** »(٦) . والأزواج الأضداد والأصناف ، كالذكر والأنثى ، واليابس والرطب ، وقال تعالى : « **وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى** » (٧) .

ولو أردنا رحمك الله ان ننتقل عن اصحاب الحديث ، ونرغب

---

(٥) سقطت من المطبوعتين .

(٦) يس : ٣٦ . (٧) النجم : ٤٥ .

عنهم الى أصحاب الكلام ، ونرغب فيهم ، لخرجنا من اجتماع الى تشتت ، وعن نظام الى تفرق ، وعن أنس الى وحشة ، وعن اتفاق الى اختلاف ، لأن أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ(٨) لا يكون ، وعلى أنه خالق الخير والشر ، وعلى أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وعلى أن الله تعالى يرى(*) يوم القيامة، وعلى تقديم الشيخين ، وعلى الايمان بعذاب القبر ، لا يختلفون فى هذه الأصول ، ومن فارقهم فى شيء منها نابذوه وباغضوه وبدعوه وهجروه .

وانما اختلفوا فى اللفظ بالقرآن ، لغموض وقع فى ذلك ، وكلهم مجمعون على أن القرآن بكل حال مقروءا ومكتوبا ومسموعا ومحفوظا غير مخلوق ، فهذا الاجماع .

وأما الايتساء(٩) فبالعلماء المبرزين ، والفقهاء المتقدمين ، والعباد المجتهدين ، الذين لا يجارون ولا يبلغ شأوهم ، مثل سفيان الثورى ، ومالك بن أنس ، والأوزاعى ، وشعبة ، والليث بن سعد . وعلماء الأمصار ، وكابراهيم بن أدهم ، ومسلم الخواص ، والفضيل بن عياض ، وداود الطائى ، ومحمد بن النضر الحارثى، وأحمد بن حنبل، وبشر الحافى ، وأمثال هؤلاء ممن قرب من زماننا . فأما المتقدمون فأكثر من أن يبلغهم الاحصاء ويحوزهم العدد ثم بسواد الناس ودهمائهم(١٠) وعوامهم فى كل مصر وفى كل عصر فان من أمارات الحق اطباق قلوبهم على الرضاء به ــ ولو أن رجلا قام فى مجامعهم وأسواقهم بمذاهب أصحاب الحديث التى ذكرنا اجماعهم عليها ما كان فى جميعهم لذلك منكر ، ولا عنه نافر . ولو قام بشيء مما يعتقده أصحاب الكلام مما يخالفه ما ارتد اليه طرفه الا مع خروج نفسه(١١) .

(٨) فى المخطوطة (وما لا يشاء)

(*) يرى : بضم الياء وفتح الراء .

(٩) الايتساء يعنى : الأسوة والقدوة .

(١٠) الدهماء : العدد الكثير من الناس .

(١١) يعنى : لا يدعونه يعيش حتى يقتلوه .

فاذا نحن أتينا أصحاب الـكلام لما يزعمون أنهم عليـه من معرفة القياس ، وحسن النظر ، وكمـال الأداء (١٢) وأردنا إن نتعلق بشيء من مذاهبهم ، ونعتقد شيئا من نحلهم ، وجـدنا النظام شـاطرا من الشطار(١٣) . يغـدو على سـكر ويروح على سـكر ، ويبيت على جرائره(١٤) ويدخل فى الأدناس ، ويرتكب الفواحش والشائنات وهو القائل :

مـا زلت آخـذ روح الـزق فى لـطف
واسـتبيح دمـا مـن غيـر مجـروح
حتى انثنيت ولـى روحـان فى جسـدى
والـزق مطـرح جسـم بـلا روح

ثم نجد أصحابه يعدون من خطئه قوله : إن الله عز وجل يحدث الدنيا وما فيها فى كل وقت من غير افنائها . قالوا : فالله فى قوله يحدث الموجود — ولو جاز ايجاد الموجود لجاز اعدام المعدوم . وهـذا فاحش فى ضعف الرأى وسوء الاختيار . وحكوا عنـه أنه قال : قد يجـوز أن يجمع المسلمون جميعا على الخطأ . قال: ومن ذلك اجماعهم على أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة دون جميع الأنبياء ، وليس كذلك ، وكل نبى فى الأرض بعثه الله تعالى فالى جميع الخلق ، بعثه لأن آيات الأنبياء لشهرتها تبلغ آفاق الأرض ، وعلى كل من بلغه ذلك أن يصدقه ويتبعه ، فخالف الرواية عن النبى صلى الله عليـه وسلم انه قال : « بعثت الى النـاس كافة ، وبعثت الى الأحمر والأسـود ، وكان النبى يبعث الى قومه » . وأول الحديث وفى مخالفة الرواية وحشة ، فكيف بمخالفة الرواية والاجماع لما استحسن(١٥) .

---

(١٢) فى المطبوعتين : الاداء .

(١٣) الشطار : جمع شاطر ، وهو من اعيا اهله دهاء وخبثا .

(١٤) فى المطبوعتين : جرائرها .

(١٥) والنظام قد هاجمه المعتزله انفسهم .. فقد ذكر البغدادى فى كتابه (الفرق بين الفرق ص ١٩٢) أن اكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام . ولم يتبعه فى ضلاله الا نفر قليل كالاسوارى ، وابن حائط ، وفضـل الحـدثى ، والجاحظ ، مع مخالفتهم له فى بعض ضلالاته .. وقد قال بتكفيره اكثر شيوخ المعتزلة فى كتب ألفوها للرد عليه ، منهم ابو الهذيل ، والاسكافى ، وجعفـر ابن حرب .

* وكان يقول فى الكنايات عن الطلاق كالخلية ، والبرية ، وحبلك على غاربك ، والبتة ، وأشباه ذلك لأنه لا يقع بها طلاق نوى الطلاق أو لم ينوه . فخالف اجماع المسلمين ، وخالف الرواية لما استحسن . وكذلك كان يقول : اذا ظاهر بالبطن أو الفرج لم يكن مظاهرا ، واذا آلى بغير الله تعالى لم يكن موليا ، لأن الايلاء مشتق من اسم الله تعالى .

* وكان يقول : اذا نام الرجل أول الليل على طهارة مضطجعا أو قاعدا أو متوركا أو كيف نام الى الصبح لم ينتقض وضوؤه ، لأن النوم لا ينقض الوضوء . قال : وانما أجمع الناس على الوضوء من نوم الضجعة لأنهم كانوا يرون أوائلهم اذا قاموا بالغداة من نوم الليل تطهروا ، لأن عادات الناس الغائط والبول مع الصبح ، ولأن الرجل يستيقظ وبعينه رمص وبفيه خلوف(١٦) وهو متهيج الوجه فيتطهر للحدث والنشرة(١٧) ، لا للنوم . وكما أوجب كثير من الناس الغسل يوم الجمعة لأن الناس كانوا يعملون بالغداة فى حيطانهم ، فاذا أرادوا الرواح اغتسلوا ، فخالف بهذا القول الرواية والاجماع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان أمتى لا تجتمع على خطأ » .

* وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو كان هذا الدين بالقياس لكان باطن الخف أولى بالمسح من ظاهره . فقال : كان الواجب على عمر العمل بمثل ما قال فى الأحكام كلها ، وليس ذلك بأعجب من قوله : أجرؤكم على الفتيا(١٨) أجرؤكم على النار . ثم قضي فى الجد بمائة قضية مختلفة .

* وذكر قول أبى بكر رضي الله تعالى عنه حين سئل عن آية من

---

(١٦) الرمص وسخ العين . والخلوف : تغير رائحة الفم .
(١٧) النشرة معناها هنا : الانتشار والنشاط .
(١٨) فى المطبوعتين : (على الجد) . وهذا من قول عمر رضي الله عنه .

كتاب الله تعالى فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى أم أين أذهب أم كيف أصنع اذا أنا قلت فى آية من كتاب الله تعالى بغير ما اراد الله . ثم سئل عن الكلالة فقال : أقول فيها برأيى ، فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمنى . هى ما دون الولد والوالد . قال وهذا خلاف القول الأول ومن استعظم القول بالرأى ذلك الاستعظام لم يقدم القول بالرأى هذا الاقدام ، حتى ينفذ عليه الأحكام .

* وذكر قول على كرم الله وجهه حين سئل عن بقرة قتلت حمارا فقال : أقول فيها برأيى ، فان وافق رأيى قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فذاك ، والا فقضائى رذل فسل . قال وقال : من أحب أن يتقحم جراثيم جهنم فليقل فى الجد ثم قضى فيه بقضايا مختلفة .

* وذكر قول ابن مسعود فى حديث بروع بنت واشق : أقول فيها برأيى ، فان كان خطأ فمنى ، وان كان صوابا فمن الله تعالى . قال : وهذا هو الحكم بالظن ، والقضاء بالشبهة . واذا كانت الشهادة بالظن حراما ، فالقضاء بالظن أعظم .

قال : ولو كان ابن مسعود بدل نظره فى الفتيا نظر فى الشقى كيف يشقى ، والسعيد كيف يسعد ، حتى لا يفحش قوله على الله تعالى، ولا يشتد غلطه ، لقد كان أولى به .

* قال وزعم أن القمر انشق وأنه رآه ، وهذا من الكذب الذى لا خفاء به ، لأن الله تعالى لا يشق القمر له وحده ولا لآخر معه ، وانما يشقه ليكون آية للعالمين ، وحجة للمرسلين ، ومزجرة للعباد ، وبرهانا فى جميع البلاد ، فكيف لم تعرف بذلك العامة ، ولم يؤرخ الناس بذلك العام ، ولم يذكره شاعر ، ولم يسلم عنده كافر ، ولم يحتج به مسلم على

ملحد (١٩) . قال ثم جحد من كتاب الله تعالى سورتين ، فهبه لم يشهد قراءة النبى صلى الله عليه وسلم بهما ، فهلا استدل بعجيب تاليفهما ، وأنهما على نظم سائر القرآن المعجز للبلغاء أن ينظموا نظمه ، وأن يحسنوامثل تاليفه ؟

قال : وما زال يطبق فى الركوع الى أن مات ، كأنه لم يصل مع النبى صلى الله عليه وسلم أو كان غائبا ، وشتم زيد بن ثابت بأقبح الشتم لما اختار المسلمون قراءته ، لأنها آخر العرض ، وعاب عثمان رضي الله عنه حين بلغه أنه صلى بمنى أربعا ، ثم تقدم فكان أول من صلى أربعا ، فقيل له فى ذلك فقال : الخلاف شر والفرقة شر . وقد عمل بالفرقة فى أمور كثيرة ، ولم يزل يقول فى عثمان القول القبيح منذ اختار قراءة زيد . ورأى قوما من الزط فقال : هؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن ، ذكر ذلك سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى ، وذكر داود عن الشعبى عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال ما شهدها منا أحد .

* وذكر حذيفة بن اليمان فقال : جعل يحلف لعثمان على أشياء بالله تعالى ما قالها ، وقد سمعوه قالها ، فقيل له فى ذلك فقال : انى أشترى دينى بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله . رواه مسعر بن كدام عن عبد الملك بن ميسرة عن النزال بن سبرة .

* ذكر أبا هريرة فقال أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة رضوان

---

(١٩) حديث انشقاق القمر أخرجه البخارى عن ابن مسعود والترمذى عن انس وجبير بن مطعم . وفيه أن كفار مكة سالوا النبى آية فانشق القمر . فقالوا : سحرنا محمد . فقال بعضهم : لئن سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم ، فاسالوا من يأتيكم من بلد آخر ، فسالوا فاخبروهم أنهم رأوا مثل ما رأوا . وهكذا ذكر القاضي عياض فى الشفاء . وكله مصداق لقوله تعالى : « وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر » (القمر : ٢) انظر (عيون الأثر ١١٤/١) .

الله عليهم(٢٠) ، وروى حديثا فى المشي فى الخف الواحد ، فبلغ عائشة فمشت فى خف واحد وقالت : لأخالفن أبا هريرة ، وروى أن الكلب والمرأة والحمار تقطع الصلاة ، فقالت عائشة رضي الله عنها : ربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وسط السرير وأنا على السرير معترضة بينه وبين القبلة . قال : وبلغ عليا أن أبا هريرة يبتدىء بميامنه فى الوضوء وفى اللباس ، فدعا بماء فتوضأ فبدأ بمياسره وقال: لأخالفن أبا هريرة . وكان من قوله حدثنى خليلى ، وقال خليلى ، ورأيت خليلى . فقال له على : متى كان النبى خليلك يا أبا هريرة ؟ قال وقد روى : من أصبح جنبا فلا صيام له . فأرسل مروان فى ذلك الى عائشة وحفصة يسألهما فقالتا : كان النبى صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من غير احتلام ثم يصوم . فقال للرسول اذهب الى أبى هريرة حتى تعلمه فقال أبو هريرة : انما حدثنى بذلك الفضل بن العباس . فاستشهد ميتا ، وأوهم الناس أنه سمع الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسمعه .

* (قال أبو محمد) : هذا قوله فى جلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ، كأنه لم يسمع بقول الله عز وجل فى كتابه الكريم : « **محمد رسول الله والذين معه** »(٢١) . الى آخر السورة ولم يسمع بقوله تعالى : « **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم** »(٢٢) . ولو كان ما ذكرهم به حقا لا مخرج منه ولا عذر فيه ولا تأويل له الا ما ذهب اليه لكان حقيقا بترك ذكره ، والاعراض عنه ، اذ كان قليلا يسيرا مغمورا فى جنب محاسنهم ، وكثير مناقبهم ، وصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلهم مهجهم وأموالهم فى ذات الله تعالى(٢٣) .

---

(٢٠) الفتح : ٢٩ . (٢١) الفتح : ١٨ .

(٢٢) كذب ابو رية فى كتابه الذى زعم فيه انه يدافع عن السنة فنسب هذا القول الى ابن قتيبة نفسه ، بينما هو يرويه عن النظام . وهذا أرخص الكذب وأدونه .

(٢٣) ويقول البغدادى : انه استثقل احكام الشريعة فى فروعها ، ولم يجسر =

* (قال أبو محمد) : ولا شيء أعجب عندى من ادعائه على عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أنه قضي فى الجد بمائة قضية مختلفة ، وهو من أهل النظر وأهل القياس ، فهلا اعتبر هذا ونظر فيه ، ليعلم أنه يستحيل أن يقضي عمر فى أمر واحد بمائة قضية مختلفة ، فأين هذه القضايا ، وأين عشرها ونصف عشرها ؟ أما كان فى حملة الحديث من يحفظ منها خمسا أو ستا ؟ ولو اجتهد مجتهد أن يأتى من القضاء فى الجد بجميع ما يمكن فيه من قول ومن حيلة ما كان يتيسر له أن يأتى فيه بعشرين قضية ، وكيف ولم يجعل هذا الحديث اذ كان مستحيلا مما ينكر من الحديث ويدفع مما قد أتى به الثقات ، وما ذاك الا لضغن يحتمله(٢٤) على عمر رضي الله عنه وعداوة .

* (قال أبو محمد) : وأما طعنه على أبى بكر رضي عنه بانه سئل عن آية من كتاب الله تعالى فاستعظم أن يقول فيها شيئا ، ثم قال فى الكلالة برأيه ، فان أبا بكر رضي الله عنه سئل عن شيء من متشابه القرآن العظيم الذى لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم ، فأحجم عن القول فيه مخافة أن يفسره بغير مراد الله تعالى ، وأفتى فى الكلالة برأيه ، لأنه أمر ناب المسلمين واحتاجوا اليه فى مواريثهم . وقد أبيح له اجتهاد الرأى فيما لم يؤثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه شيء ، ولم يأت له فى الكتاب شيء كاشف ، وهو امام المسلمين ومفزعهم فيما ينوبهم ، فلم يجد بدا من أن يقول . وكذلك قال عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم حين سئلوا ، وهم الأئمة والمفزع اليهم عند النوازل ، فماذا كان ينبغى لهم أن يفعلوا عنده ، أيدعون النظر فى الكلالة وفى الجد الى أن يأتى هو وأشباهه فيتكلموا فيهما ؟

=على اظهار رفعها ، فابطل أدلتها ولذلك أنكر حجية الاجماع والقياس فى الفروع الشرعية ، وأنكر الحجية من الأخبار التى لا توجب العلم الضرورى ، ولما كان الصحابة مجمعون على الاجتهاد فى الفروع طعن عليهم بما يقرؤه غدا فى صحيفة مخازيه . وطعن فى فتاوى أعلام الصحابة ، وجميع فرق الأمة .

(٢٤) وفى نسخة يتحمله .

* ثم طعنه على عبد الله بن مسعود رضي عنه بقـولـه : ان القمر انشـق وانه رأى ذلك ، ثم نسبه فيـه الى الكـذب وهذا ليس باكذاب لابن مسعود ولكنه بخس لعلم النبوة ، واكذاب للقرآن العظيم ، لأن الله تعالى يقول : « **اقتربت الساعة وانشق القمر** »(٢٥) . فان كان القمر لم ينشق فى ذلك الوقت ، وكان مراده سينشق القمر فيما بعد ، فما معنى قوله : « **وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** »(٢٦) يعقب هذا الكلام ؟ أليس فيه دليل على أن قوما رأوه منشقا فقالوا : هذا سحر مستمر من سـحره ، وحيلة من حيله ، كمـا قد كانوا يقولون فى غير ذلك من أعلامه ؟ وكيف صارت الآية من آيات النبى صلى الله عليه وسلم والعلم من أعلامه لا يجوز عنده أن يراها الواحد والاثنان والنفر دون الجميع ؟ أو ليس قـد يجـوز أن يخبـر الواحـد والاثنـان والنفـر الجميـع ؟ كما أخبر مكلم الذئب بان ذئبا كلمه ، وأخبر آخر بأن بعيرا شكا اليه ، وأخبر آخر أن مقبورا لفظته الأرض ؟

* وطعنه عليه لجحده سورتين من القرآن العظيم يعنى المعوذتين فان لابن مسعود فى ذلك سـببا ، والناس قد يظنون ويزلون ، واذا كان هذا جائزا على النبيين والمرسلين فهو على غيرهم أجوز . ــ وسببه فى تركه اثباتهما فى مصحفه أنه كان يرى النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ بهما الحسن والحسين ، ويعوذ غيرهما ، كما كان يعوذهما بأعوذ بكلمات الله التامة ، فظن انهما ليستا من القـرآن ، فلم يثبتهما فى مصحفه . وبنحو هذا السبب أثبت أبى بن كعب فى مصحفه افتتاح دعـاء القنوت وجعله سورتين ، لأنه كان يرى رسـول الله صلى الله عليه وسلم يدعـو بهما فى الصلاة دعاء دائما ، فظن أنه من القرآن .

وأما التطبيق(٢٧) فليس من فرض الصلاة ، وانما الفرض الركوع والسجود ، لقول الله عـز وجل : « **اركعوا واسجدوا** »(٢٨) فمن طبـق

---

(٢٥) القمر : ١ . (٢٦) القمر : ٢ .

(٢٧) التطبيق : ان يجمع المصلى بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والسجود .

(٢٨) الحج : ٧٧ .

فقد ركع ، ومن وضع يديه على ركبتيه فقد ركع ، وانما وضع اليدين على الركبتين أو التطبيق من آداب الركوع ، وقد كان الاختلاف فى آداب الصلاة ، فكان منهم من يقعى ، ومنهم من يفترش ، ومنهم من يتورك ، وكل ذلك لا يفسد الصلاة وان اختلف .

* وأما نسبته اياه الى الكذب فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم « الشقى من شقى فى بطن أمه والسعيد من سعد فى بطن أمه » فكيف يجوز أن يكذب ابن مسعود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مثل هذا الحديث الجليل المشهور ويقول : حدثنى الصادق المصدوق ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون ، ولا ينكره أحد منهم ؟ ولأى معنى يكذب مثله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر لا يجتذب به الى نفسه نفعا ، ولا يدفع عنه ضرا ، ولا يدنيه من سلطان ولا رعية ، ولا يزداد به مالا الى ماله ؟ وكيف يكذب فى شيء قد وافقه على روايته عدد منهم : أبو أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضي القضاء ، وتم القدر بتحقيق الكتاب وتصديق الرسل بالسعادة لمن آمن واتقى والشقاء لمن كذب وكفر . وقال عز وجل : « ابن آدم بمشيئتى كنت أنت الذى تشاء لنفسك ما تشاء ، وبارادتى كنت أنت الذى تريد لنفسك ما تريد ، وبفضلى ورحمتى أديت الى فرائضي ، وبنعمتى قويت على معصيتى » . وهذا الفضل ابن عباس بن عبد المطلب يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له : « ياغلام احفظ الله يحفظك ، وتوكل عليه تجده أمامك ، وتعرف اليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وأن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة » .

* وكيف يكذب ابن مسعود فى أمر يوافقه عليه الكتاب يقول الله تعالى : « **أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه** »(٢٩) أى جعل فى قلوبهم الايمان كما قال فى الرحمة : « **فسأكتبها للذين يتقون**

---

(٢٩) المجادلة : ٢٢ .

ويؤتون الزكاة »(٣٠) الآية أى سأجعلها . ومن جعل الله تعالى فى قلبه الايمان فقد قضي له بالسعادة ، وقال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم : « **انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء** »(٣١) ولا يجوز أن يكون انك لا تسمى من أحببت هاديا ، ولكن الله يسمى من يشاء هاديا ، وقال : « **يضل من يشاء ويهدى من يشاء** »(٣٢) . كما قال : « **واضل فرعون قومه وما هدى** »(٣٣) . ولا يجوز أن يكون سمى فرعون قومه ضالين وما سماهم مهتدين وقال : « **فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء** »(٣٤) . وقال : « **ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** »(٣٥) وأشباه هذا فى القرآن والحديث يكثر ويطول ، ولم يكن قصدنا في هذا الموضع الاحتجاج على القدرية فنذكر ما جاء فى الرد عليهم ، ونذكر فساد تأويلاتهم واستحالتها ، وقد ذكرت هذا فى غير موضع من كتبى فى القرآن .

* وكيف يكذب ابن مسعود فى أمر توافقه عليه العرب فى الجاهلية والاسلام قال بعض الرجاز :

يا أيها المضمر هما لا تهم ... انك ان تقدر لك الحمى تحم
ولو علوت شاهقا من العلم(٣٦) ... كيف توقيك وقد جف القلم

وقال آخر :

هى المقادير فلمنى أو فذر ... ان كنت أخطات فما أخطأ القدر

وقال لبيد :

ان تقوى ربنا خير نفل(٣٧) ... وبأمر الله ريثا وعجل

---

(٣٠) الأعراف : ١٥٦ .
(٣١) القصص : ٥٦ .
(٣٢) النحل : ٩٣ .
(٣٣) طه : ٧٩ .
(٣٤) الأنعام : ١٢٥ .
(٣٥) السجدة : ١٣ .
(٣٦) العلم : الجبل .
(٣٧) **النفل : الغنيمة . والجمع أنفال .**

من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وقال الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعى لما غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنة فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار
ولو ضنت يداى بها ونفسي لكان على للقدر الخيار

وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هوا ه شيئا اذا هو لم يكتب

* وكيف يكذب ابن مسعود رضي الله عنه فى أمر توافقه عليه كتب الله تعالى وهذا وهب بن منبه يقول : قرأت فى اثنين وسبعين كتابا من كتب الله تعالى اثنان وعشرون منها من الباطن وخمسون من الظاهر أجد فيها كلها أن من أضاف الى نفسه شيئا من الاستطاعة فقد كفر . وهذه التوراة فيها أن الله تعالى قال لموسي : اذهب الى فرعون فقل له : أخرج الى بذى بكرى بنى اسرائيل من أرض كنعان الى الأرض المقدسة ليحمدونى ويمجدونى ويقدسونى ، اذهب اليه فابلغه وانا أقسي قلبه حتى لا يعقل(٣٨) .

(قال أبو محمد) بكرى : أى هو لى بمنزله (أول)(٣٩) أولاد الرجل للرجل ، وهو بكرى أى أول من اخترته . وقال حماد ، راوية مقاتل : قال لى عمرو بن فائد : يأمر الله بالشيء ولا يريد أن يكون ؟ قلت : نعم ، أمر ابراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه وهو لا يريد أن يفعل . قال : ان تلك رؤيا . قلت : الم تسمعه يقول : « **يأابت افعل ما تؤمر** »(*) ؟ وهذه أمم العجم كلها تقول بالاثبات ، والهند تقول فى كتاب كليلة ودمنة وهو من جيد كتبهم القديمة : اليقين بالقدر لا يمنع الحازم

(٣٨) فى المطبوعتين : لا يفعل .
(٣٩) سقطت من المطبوعتين .
(*) الصافات : ١٠٢ .

توقى المهالك(٤٠) ، وليس على أحد النظر فى القدر المغيب ولكن عليه العمل بالحزم ٠

(قال أبو محمد) ونحن نجمع تصديقا بالقدر وأخذا بالحزم ٠

(قال أبو محمد) وقرأت فى كتب العجم : أن هرمز سئل عن السبب الذى بعث فيروز على غزو الهياطلة ، ثم الغدر بهم ، فقال : ان العباد يجرون من قدر ربنا ومشيئته فيما ليس لهم صنع معه ، ولا يملكون تقدما ولا تأخرا عنه ، فمن كانت مسألته عما يسأل عنه وهو مستشعر للمعرفة بما ذكرنا من ذلك لا يقصد بمسألته الا عن العلة التى جرى بها المقدور(٤١) ، على من جرى ذلك الأمر عليه ، والسبب الظاهر الذى أدركته الأعين منه ، متبعا لما جرى عليه الناس فى قولهم : ما صنع فلان ؟ وهم يريدون : ما صنع به ؟ أو صنع على يديه ؟ وكذلك قولهم : مات فلان أو عاش فلان ، وانما يريدون فعل به ٠ فذلك القصد من مسألته ، ومن تعدى ذلك كان الجهل أولى به ، وليس حملنا ما حملنا على المقادير فى قصته(٤٢) ، تحريا لمعذرته ، ولا طلبا لتحسين أمره ، ولا انكارا أن يكون ما قدر على المخلوق من آثاره ، وان لم يكن يستطيع دفع مكروهها ، ولا اجتلاب محمودها الى نفسه هو السبب الذى يجرى به ما غيب عنا من ثوابه وعقابه ، مما حتم به عدل المبتدىء لخلقه ٠

وأما حديثه الآخر الذى نسبه فيه الى الكذب فقال : رأى قوما من الزط فقال : هؤلاء أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن ، ثم سئل عن ذلك فقيل له : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ فقال : ما شهدها منا أحد ٠ فادعى فى الحديث الأول أنه شهدها ، وأنكر ذلك فى الحديث الآخر ، وتصحيحه الخبرين عنه ٠

فكيف يصح هذا عن ابن مسعود مع ثاقب فهمه ، وبارع عمله ،

---

(٤٠) يعنى : أن الايمان بان المقدور لابد ان ياتى ، لا يجوز ان يكون سببا مانعا للعاقل من الحيطة ، والعمل على دفع المكاره ٠ فنحن مامورون بهذا الاعتقاد وبالعمل على دفع المكاره ٠

(٤١) فى المطبوعتين (المقدار) ٠

(٤٢) الكلام لهرمز ٠

وتقدمه فى السنة(٤٣) على الذين انتهى اليهم العلم بها ، واقتدت بهم الأمـة ، مـع خاصته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولطف محله . وكيف يجوز عليه أن يقر بالكذب هذا الاقرار ، فيقول اليوم : شهدت ، ويقول غدا : لم أشهد . ولو جهد عدوه أن يبلغ منـه ما بلغه من نفسه ما قدر ، ولو كان به خبل أو عته أو آفة ما زاد على ما وسم بـه نفسه . وأصحاب الحديث لا يثبتون حديث الزط ، وما ذكر من حضوره مـع رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ، وهم القـدوة عندنا فى المعرفة بصحيح الأخبار وسقيمها ، لأنهم أهلها ، والمعتنون بها(٤٤) ، وكل ذى صـناعة أولى بصناعته ، غيـر أنا لا نشـك فى بطلان أحـد الخبرين ، لأنـه لا يجوز على عبد الله بن مسعود أن يخبر الناس عن نفسه بأنه قد كذب ، ولا تسقط عندهم مرتبته(٤٥) ، ولو فعـل ذلك لقيل له : فلم خبرتنا أمس بأنك شهدت ، فان كان الأمـر على ما قال أصحاب الحديث فقـد بطـل(٤٦) الخبر الأول ، وان كان الحديثان جميعا صحيحين فلا أرى الناقل للخبر الثانى الا وقد أسقط منه حرفا وهو (غيرى) ، يدلك على ذلك أنـه قال : قيـل له : أكنت مـع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ فقال : ماشهدها أحـد منـا غيرى ، فاغفل الراوى (غيرى) اما بانه لم يسمعه ، أو بأنه سمعه فانسيه(٤٧) أو بأن الناقل عنه أسقطه . وهذا وأشباهه قد يقع ولا يؤمن .

* ومما يدل على ذلك أنه قال له : هل كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ فقال : ما شهدها أحد منا . وليس هـذا جوابا لقوله : هل كنت مع النبى صلى الله عليه وسـلم ليلة الجن ؟ واذا كان قول السائل : هـل كنت مـع النبى صلى اللـه عليه وسلم ليـلة الجن ؟ حسن(٤٨) أن يكون الجواب : ما شهدها أحد منا غيرى . يؤكد ذلك ما

---

(٤٣) سقطت من المطبوعتين .

(٤٤) فى المخطوطة (والمعنيون بها) .

(٤٥) رأى محقق البيروتية أن العبارة خطأ ، ولكنها صحيحة مستقيمة .

(٤٦) فى المطبوعتين : سقط .

(٤٧) فى المطبوعتين فنسيه . بالبناء للمجهول .

(٤٨) يرى محقق البيروتية أن فى الكلام سقطا ، وهـو رأى مجـانب للصواب . والعبارة مستقيمة ومعناها : اذا كان سؤال السائل : هل كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن . فقد يحسن أن يكون الجواب كذا .

كان من متقدم قوله (٤٩) .

* وأما ما حكاه عن حذيفة أنه حلف على أشياء لعثمان ما قالها. وقد سمعوه قالها ، فقيل له فى ذلك ، فقال : انى أشترى دينى بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله ، فكيف حمل الحديث على أقبح وجوهه ولم يتطلب له العذر والمخرج ؟ وقد أخبر به ، وذلك قوله : أشترى دينى بعضه ببعض . أفلا تفهم عنه معناه وتربد قوله ؟ ولكن عداوته لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما احتمله من الضغن عليهم حال بينه وبين النظر . والعداوة والبغض يعميان ويصمان ، كما أن الهوى يعمى ويصم .

* واعلم رحمك الله أن الكذب والحنث فى بعض الأحوال أولى بالمرء وأقرب الى الله من الصدق فى القول والبر فى اليمين . ألا ترى أن رجلا لو رأى سلطانا ظالما وقادرا قاهرا يريد سفك دم امرىء مسلم أو معاهد بغير حق ، أو استباحة حرمه ، أو احراق منزله ، فتخرص قولا كاذبا ينجيه به ، أو حلف يمينا فاجرة ، كان مأجورا عند الله ، مشكورا عند عباده ؟

ولو أن رجلا حلف لا يصل رحما ، ولا يؤدى زكاة ، ثم استفتى الفقهاء لأفتوه جميعا بألا يبر فى يمينه ، والله تعالى يقول : «**ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس**»(٥٠) . يريد لا تجعلوا الحلف بالله مانعا لكم من الخير اذا حلفتم أن لا تاتوه ، ولكن كفروا وأتوا الذى هو خير ، وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حلف على شيء فرأى غيره خيرا منه فليكفر وليأت الذى هو خير » وقد رخص فى الكذب فى الحرب لأنها خدعة ، وفى الاصلاح بين الناس ، وفى ارضاء الرجل أهله ، ورخص له أن يورى فى يمينه الى شيء اذا ظلم أو خاف على نفسه .

والتورية : أن ينوى غير ما نوى مستحلفه . كان كان معسرا

---

(٤٩) ومتقدم قوله هو ما جاء فى حديث الزط من قوله : « هو أشبه من رأيت بالجن ليلة الجن » .

(٥٠) البقرة : ٢٢٤ .

احلفه رجل عند حاكم على حق له عليه فخـاف الحبس ، وقد أمر الله تعالى بانظاره ، فيقول : والله ما لهذا على شيء ويقول فى نفسه : يومى هذا · أو يقول واللاه ، يريد من اللهو ، الا أنه حذف الياء وأبقى الكسرة منها دليلا عليها ، كما قال الله تعالى : « **ياعبادى الذين آمنوا** »(٥١) و « **يوم يدع الداع** » (٥٢) و « **يناد المناد** »(٥٣) · أو يقول : كل ما لا أملكه صدقة ، يريد كل ما لن أملكه ، أى ليس أملكه ، وأن يحلفه رجـل الا يخرج من باب هذه الدار ، وهو له ظالم ، فيتســور الحائط ويخرج متأولا بأنه لم يخرج من باب الدار · وان كانت نية المستحلف ألا يخرج منها بوجه من الوجوه ، فهذا وما أشبه من التورية ·

* وجاءت الرخصة فى المعارضين · وقيل ان فيها عن الكذب مندوحة فمن المعاريض قول ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى امرأته : انها أختى ، يريد أن المؤمنين اخوة · وقوله « **بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون** »(٥٤) أراد بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فجعل النطق شرطا للفعل ، وهو لا ينطق ولا يفعل ، وقوله : « **انى سقيم** »(٥٥) يريد سأسقم ، لأن من كتب عليه الموت والفناء فلابد من أن يسقم · قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « **انك ميت وانهم ميتون** »(٥٦) · ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ميتا فى وقته ذلك ، وانما أراد أنك ستموت وسيموتون ، فأين كان تطلب المخـرج لـه من وجـه من هذه الوجوه ؟ وقـد نبهــه على أن لــه مخرجا بقوله : أشــترى دينى بعضه ببعض ، فـان أحببت أن تعـلم كيف يـكون طـلب المخـرج خبـرناك بأمثال ذلك ·

فمنها : أن رجلا من الخوارج لقى رجـلا من الروافض فقال له : والله لا أفارقك حتى تبرأ من عثمان وعلى أو اقتلك · فقال : أنا والله من على ومن عثمان برىء · فتخلص منه · وانما أراد : أنا من على ، يريد أنه يتولاه · ومن عثمان برىء ، فكانت براءته من عثمان وحده ·

---

(٥١) العنكبوت : ٥٦ ·
(٥٢) القمر : ٦ ·
(٥٣) سورة ق : ٤١ ·
(٥٤) الأنبياء : ٦٣ ·
(٥٥) الصافات : ٨٩ ·
(٥٦) الزمر : ٣٠ ·

* ومن ذلك : ان رجلا من أصحاب السلطان سأل رجلا كان يتهمه ببغض السلطان والقدح فيه عن السواد(٥٧) الذى يلبسه أصحاب السلطان ، فقال له : النور والله فى السواد ٠ فرضي بذلك ، وانما أراد : أن نور العين فى سواد الحدقة ٠ فلم يكن فى يمينه آثما ولا حانثا ٠

* ومنها : أن عليا رضي الله عنه خطب فقال : لئن لم يدخل الجنة الا من قتل عثمان لا أدخلها ، ولئن لم يدخل النار الا من قتل عثمان لا أدخلها ٠ فقيل له : ما صنعت يا أمير المؤمنين ، فرقت الناس ٠ فخطبهم وقال : انكم قد أكثرتم على فى قتل عثمان ، الا ان الله تعالى قتله وأنا معه ، فأوهمهم أنه قتله مع قتل الله تعالى له ، وانما أراد أن الله تعالى قتله وسيقتلنى معه ٠

* ومنها : أن شريحا دخل على زياد فى مرضه الذى مات فيه ، فلما خرج بعث اليه مسروق يسأله : كيف تركت الأمير ؟ قال : تركته يأمر وينهى ٠ فقال : ان شريحا صاحب عويص ، فاسألوه فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء ٠ وسئل شريح عن ابن له وقد مات فقالوا: كيف أصبح مريضك يا أبا أمية ؟ فقال : الآن سكن علزه(٥٨) ، ورجاه أهله ٠ يعنى رجوا ثوابه ٠ وهذا أكثر من أن نحيط به ٠

* وليس يخلو حذيفة فى قوله لعثمان رضي الله عنه ما قال من تورية الى شيء فى يمينه وقوله ، ولم يحك لنا الكلام فنتأوله ، وانما جاء مجملا ، وسنضرب له مثلا ، كأن حذيفة قال ـ والناس يقولون عند الغضب أقبح ما يعلمون ، وعند الرضا أحسن ما يعلمون ـ ان عثمان خالف صاحبيه ، ووضع الأمور (فى)(٥٩) غير مواضعها ، ولم يشاور أصحابه فى أموره ، ودفع المال الى غير أهله ، هذا وأشباهه ، فوشي به الى عثمان رضي عنه واش ، فغلظ القول(٦٠) وقال : ذكر انك تقول

---

(٥٧) فى المخطوطة (على السواد) ٠ وعلى الهامش (للسواد) من نسخة ثانية ٠

(٥٨) علزه ٠ بفتح العين واللام : قلقه ووجعه وهلعه ٠

(٥٩) سقطت من المطبوعتين ٠

(٦٠) فى المخطوطة (فاغلظ القول) ٠

انى ظالم خائن ، هذا وما اشبهه ، فحلف حذيفة بالله تعالى ما قال ذلك ، وصدق حذيفة انه لم يقل ان عثمان خائن ظالم ، وأراد بيمينه استلال سخيمته (٦١) واطفاء سورة غضبه ، وكره أن ينطوى على سخطه عليه ، وسخط الامام على رعيته كسخط الوالد على ولده ، والسيد على عبده ، والبعل على زوجه ، بل سخط الامام أعظم من ذلك حوبا (٦٢) فاشترى الأعظم من ذلك بالأصغر وقال : أشترى بعض دينى ببعض .

وأما طعنه على أبى هريرة بتكذيب عمر وعثمان وعلى وعائشة له ، فان أبا هريرة صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاث سنين ، وأكثر الرواية عنه ، وعمر بعده نحوا من خمسين سنة ، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ، وفيها توفيت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، وتوفيت عائشة رضي الله عنها قبلهما بسنة ، فلما أتى من الرواية عنه ما لم يأت بمثله (٦٣) من صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين اليه اتهموه وأنكروا عليه ، وقالوا : كيف سمعت هذا وحدك ؟ ومن سمعه معك ؟

* وكانت عائشة رضي الله عنها أشدهم انكارا عليه لتطاول الأيام بها وبه ، وكان عمر أيضا شديدا على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر فى الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك الا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابى .

* وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم كأبى بكر والزبير وأبى عبيدة والعباس بن عبد المطلب يقلون

---

(٦١) السخيمة : السخط . (٦٢) الحوب : الاثم .
(٦٣) فى المخطوطة (بما لم يات بمثله) .

الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروى شيئا كسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة(٦٤) .

* وقال على رضي الله عنه : كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء منه ، واذا حدثنى عنه محدث استحلفته ، فان حلف لى صدقته ، وان ابا بكر حدثنى وصدق أبو بكر ، ثم ذكر الحديث .

* أفما ترى تشديد القوم فى الحديث وتوقى من امسك كراهية التحريف أو الزيادة فى الرواية أو النقصان ؟ لأنهم سمعوه عليه السلام يقول : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وهكذا روى عن الزبير أنه رواه . وقال : انهم(٦٥) يزيدون فيه (متعمدا » والله ما سمعته قال : متعمدا » .

* وروى مطرف بن عبدالله أن عمران بن حصين قال : والله ان كنت لأرى أنى لو شئت لحدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومين متتابعين ، ولكن بطأنى عن ذلك أن رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا كما سمعت ، وشهدوا كما شهدت ، ويحدثون أحاديث ما هى كما يقولون ، وأخاف أن يشبه لى كما شبه لهم ، فاعلمك انهم كانوا يغلطون لا أنهم كانوا يتعمدون، فلما أخبرهم أبو هريرة بأنه كان ألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم لخدمته وشبع بطنه ، وكان فقيرا معدما ، وأنه لم يكن ليشغله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس الودى(٦٦) ولا الصفق بالأسواق ، يعرض أنهم كانوا يتصرفون فى التجارات ، ويلزمون الضياع فى أكثر الأوقات،

---

(٦٤) فى المخطوطة (المسمين للجنة) .

(٦٥) فى المطبوعتين (أراهم) .

(٦٦) الودى بتشديد الياء جمع ودية بالتشديد أيضا . وهى صغار الفسائل من النخيل .

وهو ملازم له لا يفارقه ، فعرف ما لم يعرفوا ، وحفظ ما لم يحفظوا ، امسكوا عنه .

وكان مع هذا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، وانما سمعه من الثقة عنده فحكاه ، وكذلك كان ابن عباس يفعل ، وغيره من الصحابة ، وليس فى هذا كذب بحمد الله ، ولا على قائله ان لم يفهمه السامع جناح ان شاء الله .

* وأما قوله : قال خليلى ، وسمعت خليلى ، يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن عليا رضي الله عنه قال له : متى كان خليلك ؟ فان الخلة بمعنى الصداقة والمصافاة ، وهى درجتان احداهما الطف من الاخرى ، كما أن الصحبة درجتان ، احداهما الطف من الاخرى ، الا ترى أن القائل أبو بكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يريد بهذا القول معنى صحبة أصحابه له ؟ لانهم جميعا صحابة ، فاية فضيلة لابى بكر رضي الله عنه فى هذا القول ، وانما يريد انه أخص الناس به ، وكذلك الاخوة التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، هى الطف من الاخوة التى جعلها الله بين المؤمنين ، فقال : « **انما المؤمنون اخوة** » (٦٧) . وهكذا الخلة . فمن الخلة التى هى أخص قول الله تعالى : « **واتخذ الله ابراهيم خليلا** » (٦٨) . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كنت متخذا من هذه الامة خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » . يريد لاتخذته خليلا كما اتخذ الله ابراهيم خليلا .

وأما الخلة التى تعم فهى الخلة التى جعلها الله تعالى بين المؤمنين فقال : « **الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين** » (٦٩) . فلما سمع على أبا هريرة يقول : قال خليلى ، وسمعت خليلى ، وكان سيىء

---

(٦٧) الحجرات : ١٠ . (٦٨) النساء : ١٢٥ .
(٦٩) الزخرف : ٦٧ .

الرأى فيــه ، قال : متى كان خليلك ؟ يذهب الى الخلة التى لم يتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهتها خليــلا ، وأنه لو فعــل ذلك باحد لفعله بابى بكر رضي الله عنه ، وذهب ابو هريرة الى الخلة التى جعلها الله تعالى بين المؤمنين ، والولاية ، فان رســول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الجهة خليل كل مؤمن ، وولى كل مسلم .

* والى مثل هذا يذهب فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كنت مولاه فعلى مولاه » . يريد أن الولاية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المؤمنين الطف من الولاية التى بين المؤمنين بعضهم مع بعض فجعلها لعلى رضي الله عنه . ولو لم يرد ذلك ما كان لعلى فى هذا القول فضــل ، ولا كان فى القــول دليــل على شيء ، لان المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، ولأن رســول الله صلى الله عليــه وسلم ولى كل مسلم ، ولا فرق بين ولى ومولى ، وكذلك قول الله تعالى : « **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا** »(٧٠) . وقول النبى صلى الله عليه وسلم(٧١) « أيما امرأة نكحت بغير أمر مولاها فنكاحها باطل باطل » .

* فهذه أقاويل النظام قد بيناها ، وأجبناه عنها ، وله أقاويل فى أحاديث يدعى عليها ، انها مناقضة للكتاب ، وأحاديث يستبشعها(٧٢) من جهة حجة العقل ، وذكر أن جهة حجة العقل قد تنســخ الأخبار ، وأحاديث ينقض بعضها بعضا ، وسنذكرها فيما بعد ان شاء الله .

* (قال أبو محمد) ثم نصير الى قول أبى الهــذيل العــلاف ، فنجده كذابا أفاكا ، وقد حكى عنه رجل من أهل مقالته انه حضر عند محمد بن الجهم وهو يقول له : يا أبا جعفر ، ان يدى صــناع(٧٣) فى

---

(٧٠) فى المطبوعتين : (أية امرأة) .
(٧١) محمد : ١١ .
(٧٢) فى المخطوطة (يستشنعها) .
(٧٣) **صناع بفتح الصاد : الرفيقة الماهرة بالعمل .**

الكسب ، ولكنها فى الانفاق خرقاء . كم من مائة ألف درهم قسمتها على الاخوان ، أبو فلان يعلم ذلك ، سألتك بالله يا أبا فلان هل تعلم ذلك ؟ قلت : يا أبا الهذيل ما أشك فيما تقول . قال : فلم يرض أن حضرت حتى استشهدنى ، ولم يرض اذ استشهدنى(٧٤) حتى استحلفنى .

* قال وكان ابو الهذيل أهدى دجاجة الى مويس بن عمران ، فجعلها مثلا لكل شيء وتاريخا لكل شيء ، فكان يقول : فعلت كذا وكذا قبل أن أهدى اليك تلك الدجاجة . وكان كذا بعد أن أهديت اليك تلك الدجاجة . واذا رأى جملا سمينا قال : لا والله ولا تلك الدجاجة التى أهديتها اليك . وهذا نظر من لا يقسم على الاخوان عشرة أفلس ، فضلا عن مائتى ألف .

* وحكى من خطئه فى الاستطاعة أنه كان يقول : ان الفاعل فى وقت الفعل غير مستطيع لفعل آخر . وذلك أنهم ألزموه الاستطاعة مع الفعل بالاجماع فقالوا : قد أجمع الناس على أن كل فاعل مستطيع فى حال فعله ، فالاستطاعة مع الفعل ثابتة ، واختلفوا فى أنها قبله ، فنحن على ما أجمعوا عليه ، وعلى من ادعى انها قبل الفعل الدليل ، فلجأ الى هذا القول .

* وسئل عن عدم صحة البصر فى حال وجود الادراك ، وعن عدم الحياة ان كانت عرضا فى حال وجود العلم ، فلا هو فرق ، ولا هو رجع .

* وزعم انه يستحيل أن يفعل فى حال بلوغه بالاستطاعة التى أعطيها فى حال البلوغ ، وانما يفعل بها فى الحال الثانية ، فاذا قيل له : فمتى فعل بها ، فى الحال التى سلبها ، أم فى حال البلوغ ، والفعل فيها عندك محال ، وقد فعل بها ، ولا حال الا حال البلوغ والحال

---

(٧٤) فى المخطوطة (شهدت) .

الثانية ، قال قولا مرغوبا عنه ، مع اقاويل كثيرة فى فناء نعيم أهل الجنة وفناء عذاب أهل النار(٧٥) ٠

* (ثم نصير الى عبيد الله بن الحسن) وقد كان ولى قضاء البصرة ، فتهجم من قبيح مذاهبه ، وشدة تناقض قوله على ما هو أولى بأن يكون تناقضا مما أنكروه ٠ وذلك أنه كان يقول ان القرآن نزل على الاختلاف ، فالقول بالقدر صحيح ، وله أصل فى الكتاب ، والقول بالاجبار صحيح ، وله أصل فى الكتاب ٠ ومن قال بهذا فهو مصيب ، ومن قال بهذا فهو مصيب ، لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين ، واحتملت معنيين متضادين ٠

* وسئل يوما عن أهل القدر وأهل الاجبار فقال : كل مصيب ، هؤلاء قوم عظموا الله ، وهؤلاء قوم نزهوا الله ٠

* قال : وكذلك القول فى الأسماء ، فكل من سمى الزانى مؤمنا فقد أصاب ، ومن سماه كافرا فقد أصاب ، ومن قال هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب ، ومن قال هو كافر مشرك فقد أصاب ، لأن القرآن قد دل على كل هذه المعانى ٠

---

(٧٥) أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف (ت ٢٣٥هـ)٠ كفره أصحابه من المعتزلة ، وقد الف فيه المرداد ، والحيائى ، وجعفر بن حرب من رؤساء الاعتزال كل واحد منهم كتابا فى ذكر فضائحه وتكفيره ، وذكر البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ٧٧ عنه انه يقول : ان الحجة من طريق الاخبار فيما غاب عن الحواس من آيات الأنبياء وفيما سواها لا تثبت باقل من عشرين نفسا فيهم واحد من أهل الجنة ، ولم يوجب باخبار الكفرة والفسقة حجة اذا لم يكن فيهم واحد من أهل الجنة ، ثم قال البغدادى : وما أراد بالعشرين الا تعطيل الأخبار الواردة فى الأحكام من فوائدها ، لأنه اراد بالواحد من اهل الجنة واحدا على نحلته فى الاعتزال والقدر وفناء مقدورات الله تعالى ، لان من لم يقل بذلك لا يكون عنده مؤمنا ، ولم يقل ببدعته أحد قبله حتى تكون رواية فى جملته العشرين على شرطه ٠

* قال وكذلك السنن المختلفة ، كالقول بالقرعة وخلافه ، والقول بالسعاية وخلافه ، وقتل المؤمن بالكافر ولا يقتل مؤمن بكافر ، وبأى ذلك أخذ الفقيه فهو مصيب . قال ولو قال قائل : ان القاتل فى النار كان مصيبا ، ولو قال هو فى الجنة كان مصيبا ، ولو وقف فيه وأرجأ أمره كان مصيبا ، اذ كان انما يريد بقوله أن الله تعالى تعبده بذلك ، وليس عليه علم المغيب . وكان يقول فى قتال على لطلحة والزبير وقتالهما له : ان ذلك كله طاعة لله تعالى . وفى هذا القول من التناقض والخلل ما ترى ، وهو رجل من أهل الكلام والقياس وأهل النظر .

* (قال أبو محمد) ثم نصير الى بكر صاحب البكرية ، وهو من أحسنهم حالا فى التوقى ، فنجده يقول : من سرق حبة من خردل ثم مات غير تائب من ذلك فهو خالد فى النار مخلد أبدا مع اليهود والنصارى . وقد وسع الله تعالى للمسلم أن يأكل من مال صديقه وهو لا يعلم ، ووسع لداخل الحائط(٧٦) أن يأكل من ثمره ولا يحمل ، ووسع لابن السبيل اذا مر فى سفره بغنم وهو عطشان أن يصيب من رسلها (٧٧) فكيف يعذب من أخذ حبة من خردل لا قدر لها ، ويخلده فى النار أبدا ، وأى ذنب هو أخذ حبة من خردل ، حتى يكون منه توبة أو يقع به اضرار (٧٨) . وقد يأخذ الرجل الخلال من حطب أخيه ، والمدر من مدره ، ويشرب الماء من حوضه ، وهذا أعظم قدرا من الحبة .

وكان يقول : ان الأطفال لا تألم ، فاذا سئل فقيل له : فما باله يبكى اذا قرص أو وقعت عليه شرارة ؟ قال : انما ذلك عقوبة لأبويه ، والله تعالى أعدل من أن يؤلم طفلا لا ذنب له . فاذا سئل عن البهيمة والمها وهى لا ذنب لها قال : انما آلمها الله لمنفعة ابن آدم لتنساق ولتقف

---

(٧٦) الحائط : البستان .

(٧٧) رسلها . بكسر الراء وسكون السين : لبنها .

(٧٨) فى الأصول (فيه اضرار) . وما أثبتناه أوضح .

ولتجرى اذا احتاج الى ذلك منها ، وكان من العدل عنده أن يؤلمها لنفع غيرها ، وربما قال بغير ذلك وقد خلطوا فى الرواية عنه .

* وكان يقول شرب نبيذ السقاء الشديد من السنة ، وكذلك اكل الجدى ، والمسح على الخفين .

والسنة انما تكون فى الدين لا فى الماكول ، والمشروب ، ولو أن رجلا لم ياكل البطيخ بالرطب دهره وقد أكله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو لم ياكل القرع وقد كان يعجب النبى صلى الله عليه وسلم ، لم يقل انه ترك السنة .

* (قال أبو محمد) ثم نصير الى هشام بن الحكم ، فنجده رافضيا غاليا ، ويقول فى الله تعالى بالأقطار والحدود والأشبار وأشياء يتحرج من حكايتها وذكرها ، لاخفاء على أهل الكلام بها . ويقول بالاجبار الشديد الذى لا يبلغه القائلون بالسنة .

وساله سائل فقال : أترى الله تعالى مع رأفته ورحمته وحكمته وعدله يكلفنا شيئا ثم يحول بيننا وبينه ويعذبنا ؟ فقال : قد والله فعل ، ولكنا لا نستطيع أن نتكلم . وقال رجل : يا أبا محمد ، هل تعلم أن عليا خاصم العباس فى فدك(٧٩) الى أبى بكر ؟ قال : نعم . قال : فأيهما كان الظالم ؟ قال : لم يكن فيهما ظالم . قال : سبحان الله ، وكيف يكون هذا ؟ قال : هما كالملكين المختصمين الى داود عليه السلام، لم يكن فيهما ظالم ، انما أرادا أن يعرفاه خطاه وظلمه ، وكذلك أراد هذان أن يعرفا أبا بكر خطاه وظلمه .

* ومما يعدهاصحاب الكلام من خطئه قوله : ان حصاة يقلبها الله

---

(٧٩) فدك بفتح الأول والثانى : بلد على يومين من المدينة كانت مما افاء الله على رسوله ، وقد تنازعها على والعباس .

تعالى جبلا فى رزانته وطوله وعرضه وعمقه ، فتطبق من الارض فرسخا بعد ان كانت تطبق اصبعا ، من غير ان يزيد فيها عرضا او جسما ، أو ينقص منها عرضا أو جسما .

﴿ (قال أبو محمد) ثم نصير الى ثمامة(٨٠) فنجده من رقة الدين وتنقص الاسلام والاستهزاء به ، وإرساله لسانه على ما لا يكون على مثله رجل يعرف الله تعالى ويؤمن به . ومن المحفوظ عنه المشهور : انه رأى قوما يتعادون يوم الجمعة الى المسجد لخوفهم فوت الصلاة ، فقال : (لرفيق له) : انظر الى البقر ، انظر الى الحمير . ثم قال لرجل من اخوانه : ما صنع هذا العربى(٨١) بالناس ؟

(ثم نصير الى محمد بن الجهم البرمكى) فنجد مصحفه كتب أرسطاطاليس فى الكون والفساد والكيان وحدود المنطق ، بها يقطع دهره ، ولا يصوم شهر رمضان ، لأنه فيما ذكر لا يقدر على الصوم .

﴿ وكان يقول: لا يستحق أحد من أحد شكرا على شيء فعله به ، أو خيرا أسداه اليه ، لأنه لا يخلو أن يكون فعل ذلك طلبا للثواب من الله تعالى فالى نفسه(٨٢) قصد ، أو يكون فعله للمكافاة فانه الى الربح ذهب ، أو يكون فعله للذكر والثناء ففى حظه سعى ، وفى حبله حطب(٨٣) ، أو فعله رحمة له ورقة وقعت فى قلبه فانما سكن بتلك العطية علته ، وداوى بها من دائه .. وهذا خلاف قول النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

﴿ وذكر رجل من أصحاب الكلام عنه أنه أوصي عند وفاته فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الثلث والثلث كثير » وأنا

---

(٨٠) ثمامة بن اشرس، وهو الذى قاد القول بخلق القرآن فى عهد المأمون. انظر فضائحه فى الفرق بين الفرق ص ١٠٤ .

(٨١) فى المطبوعتين القرشى .

(٨٢) فى المطبوعتين (فانما الى نفسه) .

(٨٣) فى حبله حطب .. اى فى نصرة نفسه سعى .

اقول ان ثلث الثلث كثير ، والمساكين حقوقهم فى بيت المال ان طلبوه طلب الرجال اخذوه ، وان قعدوا عنه قعود النساء حرموه ، فلا رحم الله من يرحمهم .

* (قال أبو محمد) وحدثنى رجل سايره فنفرت به دابته فقال: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اضربوها على العثار ولا تضربوها على النفار » . وأنا أقول : لا تضربوها على العثار ولا على النفار .

* (قال أبو محمد) ولست أدرى أيصح هذا عن رسول الله (٨٤) صلى الله عليه وسلم أم لا يصح ، وانما هو شيء حكى عنه ، وقد أخطأ ، والصواب فى القول الأول ، لأن الدابة تنفر من البئر او من الشيء تراه ولا يراه الراكب . فتتقحم ، وفى تقحمهـا الهلكة ، فنهى عن ضربها على النفار وأمـر بضربها على العثار لتجد فـلا تعثر ، لأن العثرة لا تكاد تكون الا عن توان .

* (قال ابو محمد) ثم نصـير الى اصحاب الرأى ، فنجدهم أيضا يختلفون ويقيسون ، ثم يدعون القيـاس ويستحسنون ، ويقولون بالشيء ويحكمون به ثم يرجعون .

* حدثنى سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعى عن حماد بن زيد قال : سمعت يحيى بن مخنف قال : جاء رجل من أهـل المشرق الى أبى حنيفة بكتاب منه بمكة عاما أول فعرضه عليه مما كان يسأل عنه ، فرجع عن ذلك كله ، فوضع الرجل التراب على رأسه ثم قال : يا معشر الناس ، أتيت هذا الرجل عاما أولا فأفتانى بهذا الكتاب ، فاهرقت به الدماء ، وأنكحت به الفروج ، ثم رجع عنه العام .

* حدثنى سهل بن محمد قال حدثنا المختار بن عمرو أن الرجل قال له : كيف هذا ؟ قال : كان رأيا رأيته فرأيت العـام غيره . قال : فتأمننى الا ترى من قابل شيئا آخر قال : لا أدرى كيف يكون ذلك . فقال له الرجل : لكنى أدرى أن عليك لعنة الله .

---

(٨٤) فى المخطوطة (من قول رسول الله) .

* وكان الأوزاعى يقول : انا لا ننقم على أبى حنيفة انه رأى ، كلنا يرى ، ولكننا ننقم عليه انه يجيئه الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فيخالفه الى غيره .

*حدثنى سهل بن محمد قال : حدثنا الأصمعى عن حماد بن زيد قال : شهدت أبا حنيفة سئل عن محرم لم يجد ازارا فلبس سراويل ، فقال : عليه الفدية . فقلت : سبحان الله . حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى المحرم اذا لم يجد ازارا لبس سراويل واذا لم يجد نعلين لبس خفين . فقال : دعنا من هذا ، حدثنا حماد عن ابراهيم انه قال عليه الكفارة(٨٥) .

* وروى أبو عاصم عن ابى عوانة قال كنت عند أبى حنيفة فسئل عن رجل سرق وديا(٨٦) فقال : عليه القطع . فقلت له : حدثنا يحيى ابن سعيد عن محمد بن يحيى بن حبان عن رافع بن خديج قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا قطع فى ثمر ولا كثر »(٨٧) فقال : ما بلغنى هذا . قلت له : فالرجل الذى افتيته رده . قال : دعه

---

(٨٥) رحم الله الامام ابن قتيبة فهو يلفق الخبر ويزوره ليوافق هواه فى ابى حنيفة . وهذه الواقعة رواها ابن حبان وهو اشد منه حقدا على ابى حنيفة ، وليس فيها : دعنا من هذا . حدثنا حماد عن ابراهيم .. الخ .. وانما هذه الاضافة التى اضافها ابن قتيبة مروية فى واقعة اخرى هى رفع اليدين عند الركوع والرفع منه .. قال الأوزاعى لأبى حنيفة : حدثنى الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه . فقال ابو حنيفة : حدثنى حماد عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن عبد الله انه صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه . فقال الأوزاعى : أحدثك عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر وتقول حدثنا حماد عن ابراهيم (يريد مقارنته فرد بفرد فى السندين) . فقال : ابراهيم افقه من سالم وحماد افقه من الزهرى ولولا فضل الصحبة لقلت ان علقمة افقه من ابن عمر . وعبد الله هو عبد الله (محاسن المساعى ص ٦٧ وعقود الجواهر المنيفة ٦١/١ وفتح القدير ٢١٩/١ وحجة الله البالغة ٣٣/١) .

(٨٦) سبق تفسيره .

(٨٧) الكثر بفتحتين : جمار النخيل .

فقد جرت به البغال الشهب قال أبو عاصم : أخاف أن تكون انما جرت بلحمه ودمه .

* وقال على بن عاصم(٨٨) حدثت أبا حنيفة بحديث عبد الله فى الذى قال من يذبح للقوم شاة أزوجه أول بنت تولد لى ، ففعل ذلك الرجل فقضي ابن مسعود أنها امرأته وأن لها مهر نسائها . فقال أبو حنيفة : هذا قضاء الشيطان .

* ولم أر أحدا ألهج بذكر أصحاب الرأى وتنقصهم(٨٩) والبعث على قبيح أقاويلهم والتنبيه عليها من اسحق بن ابراهيم الحنظلى المعروف بابن راهويه . وكان يقول : نبذوا كتاب الله تعالي وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم ولزموا القياس . وكان يعدد من ذلك أشياء . منها قولهم ان الرجل اذا نام جالسا واستثقل فى نومه لم يجب عليه الوضوء . ثم أجمعوا على أن كل من أغمى عليه منتقض الطهارة . قال : وليس بينها فرق . على أنه ليس فى المغمى عليه أصل فيحتج به فى انتقاض وضوئه . وفى النوم غير حديث . منها قول النبى صلى الله عليه وسلم : « العين وكاء السه . فاذا نامت العين انفتح الوكاء » . وفى حديث آخر : « من نام فليتوضأ » . قال : فأوجبوا فى الضجعة الوضوء اذا غلبه النوم وأسقطوه عن النائم المستثقل راكعا أو ساجدا . قال : وهاتان الحالان فى خشية الحدث أقرب من الضجعة فلاهم اتبعوا أثرا ولا لزموا قياسا .

* قال وقالوا : من تقهقه بعد التشهد أجزائه صلاته وعليه الوضوء لصلاة أخرى . قال فأى غلط أبين من غلط من يحتاط لصلاة لم تحضر

---

(٨٨) على بن عاصم .. ضعفوه وكان مكثرا (المغنى ٤٥٠/٢) . ويخطىء ويصر (هامش المغنى) . وقال البخارى : ليس بالقوى عندهم ونقل عن الحذاء : كذاب فاحذروه (التاريخ الكبير ٢٩٠/٦) وكان ممن يخطىء ويقيم على خطئه ، فاذا بين له لم يرجع . كان شعبه يقول : افادنى على بن عاصم عن خالد الحذاء باشياء سالت خالدا عنها فانكرها .. وقال يزيد بن زريع : افادنى على بن عاصم عن هشام بن حسان باشياء ، فاتيت هشاما فسالته ، فانكره وما عرفه (كتاب المجروحين ١١٣/٢) .

(٨٩) فى المخطوطة (ببغضهم) .

ولا يحتاط لصلاة هو فيها . قال وقالوا فى رجل توفى وترك جده أبا أمه وبنت بنته ـ المال للجد دون بنت البنت وكذلك هو عندهم مع جميع ذوى الأرحام قال : فأى خطأ افحش من هذا ؛ لأن الجد يدلى بالأم فكيف يفضل على بنت البنت وهى تدلى بالبنت ، الا أن يكون شبهوا أبا الأم بأبى الأب اذا اتفق أسماؤهما .

* (قال أبو محمد) وحدثنا اسحاق وهو ابن راهويه قال حدثنا وكيع أن أبا حنيفة قال : ما باله يرفع يديه عند كل رفع وخفض أيريد أن يطير فقال له عبدالله بن المبارك : ان كان يريد أن يطير اذا افتتح فانه يريد أن يطير اذا خفض ورفع . قال هذا مع تحكمه فى الدين كقوله اقطع فى الساج والقنا ولا اقطع فى الخشب والحطب واقطع فى النورة ولا اقطع فى الفخار والزجاج فكأن الفخار والزجاج ليسا مالا وكأن الأبنوس ليس خشبا .

وقال اسحق بن راهويه وسئل ـ يعنى أبا حنيفة ـ عن الشرب فى الاناء المفضض فقال: لا بأس به انما هو بمنزلة الخاتم فى اصبعك فتدخل يدك الماء فتشربه بها وكان يعدد من هذا أشياء يطول الكتاب بها .

وأعظم منها مخالفة كتاب الله كأنهم لم يقرأوه وكان أبو حنيفة لا يدى لولى المقتول عمدا الا أن يعفو أو يقتص ، وليس له أن يأخذ الديه والله تبارك وتعالى يقول : « **كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ، ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** »(٩٠) يريد فمن عفا عن الدم فليتبع بالدية اتباعا بالمعروف أى يطالب مطالبة جميلة لا يرهق المطلوب وليؤد المطالب المطلوب أداء باحسان لا مطل فيه ولا دفاع عن الوقت . ثم قال : « **ذلك تخفيف من ربكم ورحمة** » يعنى تخفيفا عن المسلمين مما كان بنو اسرائيل ألزموه فانه لم يكن للولى الا أن يقتص أو يعفو . ثم قال: «**فمن اعتدى بعد ذلك**»(٩٠) أى بعد أخذ الدية فقتل « **فله عذاب اليم** »(٩٠) قالوا يقتل ولا تؤخذ منه الدية وقال رسول الله

---

(٩٠) البقرة : ١٧٨ .

صلى الله عليه وسلم : «لا اعافى احدا قتل بعد أخذ الدية» وهذا واشباهه من مخالفة القرآن لا عذر فيه ولا عذر فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد العلم بقوله . فاما الرأى فى الفروع فاخف أمرا وان كان مخارج أصول الأحكام ومخارج الفرائض والسنن على خلاف القياس وتقدير العقول .

* حدثنى الزيادى قال حدثنا عيسي بن يونس عن الأعمش عن أبى اسحاق عن عبد خير قال : قال على بن أبى طالب ما كنت أرى أن أعلى القدم أحق بالمسح من باطنها حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على أعلى قدميه .

* وحدثنى أبو حاتم عن الأصمعى قال سمعت زفر بن هذيل يقول فى رجل أوصي لرجل بما بين العشرة الى العشرين قال يعطى تسعة ليس له ذلك العقد ولا هذا العقد كما تقول له ما بين الاسطوانتين فله ما بينهما ليست له الأسطوانتان . فقلنا له : فرجل معه ابن له محظوظ قيل له : كم لابنك ؟ قال : ما بين الستين الى اثنين وستين . فهذا فى قياسكم ابن سنة . قال استحسن فى هذا الموضع .

* وحدثنا عن مالك فى الموطا عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : سألت سعيد بن المسيب : كم فى اصبع المرأة ؟ قال : عشر من الابل. قلت : فكم فى اصبعين ؟ قال : عشرون من الابل . قلت : فكم فى ثلاث أصابع ؟ قال : ثلاثون من الابل . قلت : فكم فى أربع أصابع ؟ قال : عشرون من الابل . قلت حين عظم جرحها واشتدت مصيبتها نقص عقلها(٩١) قال هى السنة يا ابن أخى .

* (قال أبو محمد) وكان أشد أهل العراق فى الرأى والقياس الشعبى وأسهلهم فيه مجاهد . حدثنى أبو الخطاب قال حدثنى مالك ابن سعيد قال حدثنا الأعمش عن مجاهد انه قال : افضل العبادة الرأى الحسن . وحدثنى محمد بن خالد بن خداش قال حدثنى مسلم بن قتيبة

---

(٩١) العقل : الدية .

قال حدثنا مالك بن مغول قال قال لى الشعبى - ونظر الى اصحاب الرأى - ما حدثك هؤلاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فاقبله وما خبروك به عن رأيهم فارم به فى الحش ، وكان يقول : اياكم والقياس فانكم ان اخذتم به حرمتم الحلال وأحللتم الحرام .

* (قال ابو محمد) حدثنى الرياشي قال حدثنا الأصمعى عن عمر ابن ابي زائدة قال : قيل للشعبى ان هذا لا يجيء فى القياس . فقال : اير فى القياس . وحدثنى الرياشي عن ابى يعقوب الخطابى عن عمه عن الزهرى أنه قال الحديث ذكر يحبه ذكور الرجال ويكرهه مؤنثوهم .

* (قال ابو محمد) وكيف يطرد لك القياس فى فروع لا يتفق اصولها والفرع تابع للأصل وكيف يقع فى القياس أن يقطع سارق عشرة دراهم ويمسك عن غاصب مائة الف درهم ويجلد قاذف الحر الفاجر ويعفى عن قاذف العبد العفيف وتستبرأ أرحام الاماء بحيضة ورحم الحرة بثلاث حيض ويحصن الرجل بالعجوز الشوهاء السوداء ولا يحصن بمائة أمة حسناء ويوجب على الحائض قضاء الصوم ولا يوجب عليها قضاء الصلاة ويجلد فى القذف بالزنا اكثر من الجلد فى القذفه بالكفر ويقطع فى القتل بشاهدين ولا يقطع فى الزنا باقل من أربعة .

* (قال أبو محمد) ثم نصير الى الجاحظ وهو آخر المتكلمين ، والمعاير على المتقدمين ، وأحسنهم للحجة استثارة ، وأشدهم تلطفا لتعظيم الصغير حتى يعظم وتصغير العظيم حتى يصغر ، ويبلغ به الاقتدار الى أن يعمل الشيء ونقيضه ويحتج لفضل السودان على البيضان(٩٢) وتجده يحتج مرة للعثمانية

---

(٩٢) هذا عجيب من ابن قتيبة الامام الفاضل .. وكانه لا يرى للسودان فضلا ، وكانه يزرع بذور التفرقة العنصرية .. بل انه لم يطلع على هذه الرسالة فيما ارجح . فهى ليست مما يموه فيه ولا يزور .. بل هى كشف عن فضائل السودان من الناس .. وكشف عن فضل السودان فى الأشياء .. وهذه الرسالة خير ما يرد به المصلحون اليوم على انصار التفرقة العنصرية .. كما ان رسالة فضل الترك التى كتبها الجاحظ أيضا خير دليل على أن العرب لا ينزعون نحو العنصرية الا فيما أضافته البيئة الى طبعهم .

على الرافضة ، ومرة للزيدية على العثمانية ، وأهل السنة ، ومرة يفضل عليا رضي الله عنه ، ومرة يؤخره ، ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتبعه : قال الجماز ، وقال اسماعيل بن غزوان كذا وكذا من الفواحش ، ويجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يذكر فى كتاب ذكرا فيه فكيف فى ورقة أو بعد سطر وسطرين ، ويعمل كتابا يذكر فيه حجج النصارى على المسلمين ، فاذا صار الى الرد عليهم تجوز فى الحجة كأنه إنما أراد تنبيههم على ما لا يعرفون ، وتشكيك الضعفة من المسلمين ، وتجده يقصد فى كتبه للمضاحيك والعبث ، يريد بذلك استمالة الأحداث وشراب النبيذ ، ويستهزىء من الحديث استهزاء لا يخفى على أهل العلم ، كذكره كبد الحوت وقرن الشيطان وذكر الحجر الأسود ، وأنه كان أبيض فسوده المشركون ، وقد كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا . ويذكر الصحيفة التى كان فيها المنزل فى الرضاع تحت سرير عائشة فأكلتها الشاة ، وأشياء من أحاديث أهل الكتاب فى تنادم الديك والغراب ، ودفن الهدهد أمه فى رأسه ، وتسبيح الضفدع ، وطوق الحمامة ، وأشباه هذا ، مما سنذكره فيما بعد ان شاء الله .

وهو مع هذا من أكذب الأمة وأوضعهم لحديث ، وأنصرهم لباطل ، ومن علم رحمك الله أن كلامه من عمله قل كلامه (٩٣) الا فيما ينفعه ، ومن أيقن أنه مسئول عما ألف وعما كتب لم يعمل الشيء وضده ، ولم يستفرغ مجهوده فى تثبيت الباطل عنده ، وأنشدنى الرياشي :

ولا تكتب بخطك غير شىء يسرك فى القيامة أن تراه

* (قال أبو محمد) وبلغنى أن من أصحاب الكلام من يرى الخمر غير محرمة وأن الله تعالى انما نهى عنها على جهة التاديب كما قال : « **ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط** »(٩٤) . وكما قال : « **واهجروهن فى المضاجع واضربوهن** »(٩٥) . ومنهم من يرى نكاح تسع من الحرائر جائزا لقول الله تعالى : « **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** »(٩٦) . وقالوا فهذا تسع . قالوا

---

(٩٣) سقطت من المطبوعتين .
(٩٤) الاسراء : ٢٩ .
(٩٥) النساء : ٣٤ .
(٩٦) النساء : ٣ .

والدليل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات عن تسع ، ولم يطلق الله لرسوله فى القرآن الا ما أطلق لنا .

ومنهم من يرى شحم الخنزير وجلده حلالا ، لأن الله تعالى إنما حرم لحمه فى القرآن فقال : « **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** »(٩٧) . فلم يحرم شيئا غير لحمه . ومنهم من يقول ان الله تعالى لا يعلم شيئا حتى يكون ولا يخلق شيئا حتى يتحرى .

* فبمن يتعلق من هؤلاء ، ومن يتبع ، وهذه مذاهبهم ، وهذه نحلهم ، وهكذا اختلافهم ، وكيف يطمع فى تخلص الحق من بينهم ، وهم مع تطاول الأيام بهم ومر الدهور على المقايسات والمناظرات لا يزدادون الا اختلافا ، ومن الحق الا بعدا . وكان أبو يوسف يقول : من طلب الدين بالكلام تزندق ، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ، ومن طلب غرائب الحديث كذب .

* (قال ابو محمد) وقد كنت فى عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم ، فربما حضرت بعض مجالسهم وأنا مغتر بهم ، طامع أن أصدر عنه بفائدة أو كلمة تدل على خير ، أو تهدى لرشد ، فارى من جرائتهم على الله تبارك وتعالى ، وقلة توقيهم ، وحملهم أنفسهم على العظائم لطرد القياس ، أو لئلا يقع انقطاع ، ما أرجع معه خاسرا نادما ، وقد ذكرهم محمد ابن يسير الشاعر وقد أصاب فى وصفهم حين يقول :

دع من يقول الكلام ناحية	فما يقول الكلام ذو ورع
كل فريق بدواهم حسن	ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر مافيه أن يقال له	لم يك فى قوله بمنقطع

وقال عبد الله بن مصعب :

ترى المرء يعجبه أن يقولا	وأسلم للمرء الا يقولا
فامسك عليك فضول الكلام	فان لكل كلام فضولا
ولا تصحبن أخا بدعة	ولا تسمعن له الدهر قيلا

---

(٩٧) المائدة : ٣ .

فـــان مقالتهـــم كالظـــلا ل يوشـــك افياؤهـــا أن تزولا
وقـــد أحـــكم اللـــه آيـاتـــه وكـــان الرسـول عليهـا دليــلا
وأوضـــح للمسـلمين السـبيل فلا تتبعن(٩٨) سواها سـبيلا
أناس بهـم ريبـة فى الصـدور ويخفون فى الجوف منها غليلا
اذا أحـدثوا بدعـة فى القرآن تغادوا (٩٩) عليها فكانوا عدولا
فخلهـــم والتـى يهضـبون وولهـم منـك صـمتا طويــلا

* (قال أبو محمد) وقد كنت سمعت بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله : « من جعل دينه غرضا(١٠٠) للخصومات أكثر التنقل » . وكنت أسمعهم يقولون : ان الحق يدرك بالمقايسات والنظر ، ويلزم من لزمته الحجة أن ينقاد لها ، ثم رأيتهم فى طول تناظرهم والزام بعضهم بعضا الحجة فى كل مجلس مرات لا يزولون عنها ولا ينتقلون .

*وسأل رجل من أصحاب هشام بن الحكم رجـــلا من المعتزلة فقال له : أخبرنى عن العالم هل له نهاية وحد ؟ فقال المعتزلى : النهاية عندى على ضربين : أحدهما نهاية الزمان من وقت كذا الى وقت كذا ، والآخر نهاية الأطراف والجوانب . وهو متناه بهاتين الصفتين . ثم قال له : فأخبرنى عن الصانع عز وجل هل هو متناه ؟ فقال : محال . قال : فتزعم أنه يجوز أن يخلق المتناهى من ليس بمتناه ؟ فقال : نعم . قال : فلم لا يجوز أن يخلق الشيء من ليس بشيء كما جاز أن يخلق المتناهى من ليس بمتناه ؟ قال : لأن ماليس بشيء هو عدم وابطال . قال له : وما ليس بمتناه عـــدم وابطـــال . قال : لا شيء هو نفى . قال له : وما ليس بمتناه نفى . قال : قد أجمع الناس على أنه شيء الا جهمـــا وأصحابه . قال : قد أجمع الناس أنه متناه . قال : وجدت كل شيء متناه محدثا مصنوعا عاجزا . قال : ووجدت كل شيء محدثا مصنوعا عاجزا . قال : لما ان وجدت هذه الأشياء مصنوعة علمت أن صانعها شيء . قال : ولما أن وجدت هذه الأشياء متناهية علمت أن صانعها متناه . قال : لو كان

(٩٨) فى المخطوطة (تبغين) .
(٩٩) فى المطبوعتين (تعادوا) .
(١٠٠) يعنى : هدفا .

متناهيا كان محدثا اذ وجدت كل متناه محدثا . قال : ولو كان شيئا كان محدثا عاجزا اذ وجدت كل شيء محدثا عاجزا والا فما الفرق ؟ فامسك .

* قال : وسال آخر آخر عن العلم ، فقال له : أتقول : ان سميعا فى معنى عليم ؟ قال : نعم . قال : « **لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير** »(١٠١) . هل سمعهم(١٠٢) حين قالوه ؟ قال : نعم . قال : فهل سمعه قبل أن يقولوا ؟ قال : لا . قال : فهل علمه قبل أن يقولوه ؟ قال : نعم . قال له : فارى فى سميع معنى غير معنى عليم . فلم يجب.

* (قال أبو محمد) قلت له ، وللأول : قد لزمتكما الحجة ، فلم لا تنتقلان عما تعتقدان الى ما ألزمتكما الحجة ؟ فقال أحدهما : لو فعلنا ذلك لانتقلنا فى كل يوم مرات ، وكفى بذلك حيرة .

* قلت : فاذا كان الحق انما يعرف بالقياس والحجة ، وكنت لا تنقاد لها بالاتباع كما تنقاد بالانقطاع ، فما تصنع بهما ؟ التقليد أربح لك ، والمقام على اثر الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بك .

* قال : واختلفوا فى ثبوت الخبر . بعضهم : يثبت الخبر بالواحد الصادق . وقال آخر : يثبت باثنين ، لأن الله تعالى أمر باشهاد اثنين عدلين . وقال آخر : يثبت بثلاثة ، لأن الله عز وجل قال : « **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم** »(١٠٣) .

* قالوا : واقل ما تكون الطائفة ثلاثة ، وغلطوا فى هذا القول ، لأن الطائفة تكون واحدا واثنين وثلاثة وأكثر ، لأن الطائفة بمعنى القطعة ، والواحد قد يكون قطعة من القوم ، وقال الله تعالى : « **وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** »(١٠٤) . يريد الواحد والاثنين .

---

(١٠١) آل عمران : ١٨١ .
(١٠٢) فى المطبوعتين (سمعه) .
(١٠٣) التوبة : ١٢٢ .
(١٠٤) النور : ٢ .

* وقال آخر : يثبت بأربعة ، لقول الله تعالى : « **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** »(١٠٥) . وقال آخر : يثبت باثنى عشر ، لقول الله تعالى : « **وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا** »(١٠٦) . وقال آخر يثبت بعشرين رجلا لقول الله تعالى : « **ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين** »(١٠٧) . وقال آخر : يثبت بسبعين رجلا لقول الله عز وجل : « **واختار موسي قومه سبعين رجلا لميقاتنا** »(١٠٨) فجعلوا كل عدد ذكر فى القرآن حجة فى صحة الخبر . ولو قال قائل : ان الخبر لا يثبت الا بثمانية لقول الله تعالى فى أصحاب الكهف وهم الحجة على أهل ذلك الزمان : « **سبعة وثامنهم كلبهم** »(١٠٩) . ولا يجوز أن يكونوا ثمانية حتى يكون الكلب ثامنهم . أو قال : لا يثبت الخبر الا بتسعة عشر لقول الله تعالى فى خزنة جهنم حين ذكرها فقال : « **عليها تسعة عشر** »(١١٠) لكان أيضا قولا وعددا مستخرجا من القرآن .

وهذه الاختيارات انما اختلفت هذا الاختلاف لاختلاف عقول الناس ، وكل يختار على قدر عقله . ولو رجعوا الى أن الله تعالى انما أرسل الى الخلق كافة رسولا واحدا ، وأمرهم باتباعه وقبول قوله ، وأنه لم يرسل اثنين ولا أربعة ولا عشرين ولا سبعين فى وقت واحد ، لدلهم ذلك على أن الصادق العدل صادق الخبر ، كما أن الرسول الواحد المبلغ عن الله تعالى صادق الخبر ، ولم يكن قصدنا لهذا الباب فنطيل فيه .

* (قال أبو محمد) وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردوه الى مذاهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم . فقال فريق منهم

---

(١٠٥) النور : ١٣ .
(١٠٦) المائدة : ١٢ .
(١٠٧) الأنفال : ٦٥ .
(١٠٨) الأعراف : ١٥٥ .
(١٠٩) الكهف : ٢٢ .
(١١٠) المدثر : ٣٠ .

فى قوله تعالى : « **وسع كرسيه السموات والأرض** »(١١١) • أى علمه • وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر :

* ولا يكرسيء(١١٢) علم الله مخلوق *

كأنه عندهم ولا يعلم علم الله مخلوق والكرسي غير مهموز « ويكرسيء مهموز ، يسوحشون أن يجعلوا لله تعالى كرسيا أو سريرا ، ويجعلون العرش شيئا آخر • والعرب لا تعرف العرش الا السرير ، وما عرش من السقوف والآبار ، يقول الله تعالى : « **ورفع أبويه على العرش** »(١١٣) • أى على السرير • وأمية بن أبى الصلت يقول :

مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسي كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا(١١٤) ما يناله بصر العين ترى دونه الملائك صورا(١١٥)

وقال فريق منهم فى قول الله تعالى : « **ولقد همت به ، وهم بها** »(١١٦) • انها همت بالفاحشة ، وهم هو بالفرار منها ، أو الضرب لها ، والله تعالى يقول : « **لولا أن رأى برهان ربه** »(١١٧) • أفتراه أراد الفرار منها أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها ؟ ! وليس يجوز فى اللغة أن تقول : هممت بفلان وهم بى ، وأنت تريد اختلاف الهمين ، حتى تكون أنت تهم باهانته ، ويهم هو باكرامك ، وانما يجوز هذا الكلام اذا اتفق الهمان •

---

(١١١) البقرة : ٢٥٥ •
(١١٢) يكرسيء • مضارع كرسا • مشتق من الكرسي •
(١١٣) يوسف : ١٠٠ •
(١١٤) شرجعا • بفتح الشين وسكون الراء وفتح الجيم • أى طويلا •
(١١٥) صورا • جمع أصور • وهو المائل العنق •
(١١٦) يوسف : ٢٤ • (١١٧) يوسف : ٢٤ •

* وقال فريق منهم فى قول الله تعالى : « **وعصى آدم ربه فغوى** »(١١٨) انه أتخم من أكل الشجرة . فذهبوا الى قول العرب غوى الفصيل يغوى غوى اذا أكثر من شرب اللبن حتى يبشم . وذلك غوى يغوى غيا ، وهو من البشم غوى يغوى غوى .

* وقال فريق منهم فى قول الله تعالى : « **ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس** »(١١٩) أى ألقينا فيها . يذهب الى قول الناس : ذرته الريح . ولا يجوز أن يكون ذرأنا من ذرته الريح لأن ذرأنا مهموز ، وذرته الريح تذروه غير مهموز ، ولا يجوز أيضا أن نجعله من أذرته الدابة عن ظهرها ، أى ألقته ، لأن ذلك من ذرأت تقدير فعلت بالهمز ، وهذا من أذريت تقدير أفعلت بلا همز . واحتج بقول المثقب العبدى :

تقول اذا ذرأت لها وضينى(١٢٠) أهذا دينه(١٢١) أبدا ودينى

وهذا تصحيف لأنه قال تقول اذا درأت أى دفعت بالدال غير معجمة .

وقالوا فى قوله عز وجل : « **وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه** »(١٢٢) انه ذهب مغاضبا لقومه استيحاشا من أن يجعلوه مغاضبا لربه ، مع عصمة الله ، فجعلوه خرج مغاضبا لقومه ، حين آمنوا ، ففروا الى مثل ما استقبحوا . وكيف يجوز أن يغضب نبى الله صلى الله عليه وسلم على قومه حين آمنوا ، وبذلك بعث ، وبه أمر . وما الفرق بينه وبين عدو الله ان كان يغضب من ايمان مائة الف أو يزيدون ولم يخرج مغاضبا لربه ولا لقومه ـ وهذا مبين فى كتابى المؤلف فى مشكل القرآن ، ولم يكن قصدى فى هذا الكتاب الاخبار عن

---

(١١٨) طه : ١٢١ . (١١٩) الأعراف : ١٧٩ .
(١٢٠) الوضين : بطان من سيور أو شعر ، أو لا يكون الا من الجلد .
(١٢١) دينه هنا أى عادته . (١٢٢) الأنبياء : ٨٧ .

هذه الحروف وأشباهها ، وانما كان القصد به الاخبار عن جهلهم وجرائتهم على الله تعالى بصرف الكتاب الى ما يستحسنون ، وحمل التاويل على ما ينتحلون .

وقالوا فى قوله تعالى : « **واتخذ الله ابراهيم خليلا** »(١٢٣) . اى فقيرا الى رحمته ، وجعلوه من الخلة بفتح الخاء استيحاشا من أن يكون الله تعالى خليلا لأحد من خلقه ، واحتجوا بقول زهير :

وان اتاه خليل يوم مسألة   يقول لا غائب مالى ولا حرم

أى ان أتاه فقير .

فاية فضيلة فى هذا القول لابراهيم صلى الله عليه وسلم ؟ أما تعلمون أن الناس جميعا فقراء الى الله تعالى وهل ابراهيم فى خليل الله الا كما قيل موسي كليم الله وعيسي روح الله ؟

وقالوا فى قوله تعالى : « **وقالت اليهود يد الله مغلولة** »(١٢٤) ان اليد ههنا النعمة ، لقول العرب لى عند فلان يد ، أى نعمة ومعروف . وليس يجوز أن تكون اليد ههنا النعمة ، لانه قال : «**غلت أيديهم**»(١٢٤) معارضة عما قالوه فيه أى فى الله(١٢٥) ثم قال : « **بل يداه مبسوطتان** »(١٢٦) ولا يجوز أن يكون أراد غلت نعمهم بل نعمتاه مبسوطتان ، لأن النعم لا تغل ، ولأن المعروف لا يكنى عنه باليدين ، كما يكنى عنه باليد ، الا أن يريد جنسين من المعروف ، فيقول لى عنده يدان ، ونعم الله تعالى أكثر من أن يحاط بها(١٢٧) .

---

(١٢٣) النساء : ١٢٥ .   (١٢٤) المائدة : ٦٤ .

(١٢٥) فى المطبوعتين (قالوه فيها) . والمراد فى يد الله .

(١٢٦) المائدة : ٦٤

(١٢٧) وكذلك اولوا اليد فى غير هذا الموضع بالقدرة .. ويرد عليه أن هناك يدين « **لما خلقت بيدى** » (سورة ص : ٧٥) . وايد « والسماء بنيناها بأييد » (الذاريات : ٤٧) ، فعلى هذا يكون الله تعالى له قدرة وقدرتان وقدرات . وصفات الله لا تتعدد ولا تتجزأ . والقول بتعددها كفر .

(قال أبو محمد) وأعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن وما يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذى ذكره هرون بن سعد العجلى وكان رأس الزيدية فقال :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا امام ومنهم طوائف سمته النبى المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم برئت الى الرحمن ممن تجفرا
برئت الى الرحمن من كل رافض بصير بباب الكفر فى الدين أعورا
اذا كف أهل الحق عن بدعة مضي عليها وان يمضوا على الحق قصرا
ولو قال ان الفيل ضب لصدقوا ولو قال زنجى تحول أحمرا
وأخلف من بول البعير فانه اذا هو للاقبال وجه أدبرا(١٢٨)
فقبح أقوام رموه بفرية كما قال فى عيسي الفرى من تنصرا

* (قال أبو محمد) وهو جلد جفر ادعوا أنه كتب فيه لهم الامام كل ما يحتاجون الى علمه ، وكل ما يكون الى يوم القيامة ، فمن ذلك قولهم فى قول الله عز وجل : « **وورث سليمان داود** »(١٢٩) أنه الامام وورث النبى صلى الله عليه وسلم علمه . وقولهم فى قول الله عز وجل : « **ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة** »(١٣٠) انها عائشة رضي عنها . وفى قوله تعالى : « **فقلنا اضربوه ببعضها** »(١٣١) انه طلحة والزبير وقولهم فى الخمر والميسر : انهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، والجبت والطاغوت انهما معاوية وعمرو بن العاص ، مع عجائب أرغب عن ذكرها ويرغب

---

(١٢٨) يعنى : هم أشد خلافا للأمة من بول البعير ، فانه مهما وجهته للامام خرج الى الخلف .

(١٢٩) النمل : ١٦ .

(١٣٠) البقرة : ٦٧ .

(١٣١) البقرة : ٧٣ .

من بلغه كتابنا هذا عن استماعها(١٣٢) . وكان بعض أهل الأدب يقول ما اشبه تفسير الرافضة للقرآن الا بتأويل رجل من أهل مكة للشعر فانه قال ذات يوم ما سمعت باكذب من بنى تميم : زعموا أن قول القائل :

بيت زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

انه فى رجال منهم . قيل له : فما تقول أنت فيه ؟ (١٣٣) قال : البيت بيت الله ، وزرارة الحجر . قيل : فمجاشع ؟ قال : زمزم جشعت بالماء ، قيل : فابو الفوارس ؟ قال : ابو قبيس . قيل : فنهشل ؟ قال : نهشل أشده(١٣٤) . وفكر ساعة ثم قال : نهشل مصباح الكعبة لأنه طويل أسود ، فذلك نهشل .

وهم اكثر أهل البدع افتراقا ونحلا ، فمنهم قوم يقال لهم البيانية، ينسبون الى رجل يقال له بيان ، قال لهم : الى أشار الله تعالى اذ قال: « **هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** » (١٣٥) . وهم أول من قال بخلق القرآن . ومنهم المنصورية اصحاب أبى منصور الكسف ، وكان قال لأصحابه فى نزل قوله : «**وان يروا كسفا من السماء ساقطا**»(١٣٦). ومنهم الخناقون والشداخون . ومنهم الغرابية ، وهم الذين ذكروا أن عليا رضي الله عنه كان أشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم من الغراب بالغراب ، فغلط جبريل عليه السلام حين بعث الى على لشبهه به .

---

(١٣٢) وهو صنيع الشيعة بوجه عام ، وباطن القرآن عندهم من خالص علوم الامام عندهم .. وهم مولعون بشتم الصحابة وانتقاصهم ، والافتراء عليهم ، وكتابهم المقدس فى هذا الباب اسمه « الغدير » ويقع فى عشرة أجزاء كله ثلب للصحابة وكذب وبهتان .. مما يضعنا موضع الشك فى عقيدتهم . وانظر فضائح الباطنية للغزالى . وعقائد الباطنية لليمانى .

(١٣٣) فى المطبوعتين (فيهم) .

(١٣٤) هكذا فى جميع الأصول ، ولعل المراد : اشد مواطن أبى قبيس صلابة

(١٣٥) آل عمران : ١٣٨ .   (١٣٦) الطور : ٤٤ .

* (قال أبو محمد) ولا نعلم فى أهل البدع والأهواء أحدا ادعى الربوبية لبشر غيرهم ، فان عبد الله بن سبأ ادعى الربوبية لعلى ، فأحرق على أصحابه بالنار وقال فى ذلك :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا

أججت نارى ودعوت قنبرا

* ولا نعلم أحدا ادعى النبوة لنفسه غيرهم ، فان المختار بن أبى عبيد ادعى النبوة لنفسه وقال : ان جبريل وميكائيل يأتيان الى جهته ، فصدقه قوم واتبعوه وهم الكيسانية .



(ذكر أصحاب الحديث)

* (قال أبو محمد) فأما أصحاب الحديث فانهم التمسوا الحق من وجهته ، وتتبعوه من مظانه ، وتقربوا من(١) الله تعالى باتباعهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلبهم لآثاره وأخبـــاره برا وبحرا وشرقا وغربا ، يرحل الواحد منهم راجلا مقويا(٢) فى طلب الخبر الواحد ، أو السنة الواحدة حتى يأخذها من الناقل لها مشافهة، ثم لم يزالوا فى التنقير عن الأخبار والبحث لها، حتى فهموا صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، وعرفوا من خالفها من الفقهاء الى الرأى ، فنبهوا على ذلك حتى نجم(٣) الحق بعد أن كان عافيـــا ، وبسق بعد أن كان دارسا ، واجتمع بعد أن كان متفرقا ، وانقاد للسنن من كان عنها معرضا ، وتنبه لها (٤) من كان عنها غافلا ، وحكم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن كان يحكم بقول فلان وفلان .، وان كان فيه خلاف على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* وقد يعيبهم الطاعنون بحملهم الضعيف ، وطلبهم الغرائب ، وفى الغريب الداء ، لم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقــا ، بل جمعوا الغث والسمين ، والصحيح والسقيم ، ليميزوا بينهما ، ويدلوا عليهما . وقد فعلوا ذلك ، فقالوا فى الحديث المرفوع شرب الماء عـلى الريق يعقــد الشحم : هو موضوع ، وضعه عاصـم الكوزى (٥) . وفى حديثه ابن عباس أنه كان يبصق فى الدواة ويكتب منها وضعه عاصـم الكوزى . قالوا وحديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجز طلاق المريض موضوع ، وضعه سـهل السراج (٦) . قالوا وسـهل

(١) فى المخطوطة (الى الله) .

(٢) أى نازلا بالقواء ، وهى الأرض المقفرة .

(٣) نجم : ظهر .

(٤) فى الأصول (عليها) .

(٥) عاصم الكوزى . ابو محمد العبدى من البصرة . كان يروى الموضوعات عن الاثبات . لا يحل كتابة حديثه الا على طريق التعجب . انظر كتاب المجروحين لابن حبان ١٢٦/٢) .

(٦) سهل بن ابى الصلت السراج . يروى عن الحسن . صدوق له أفراد كان القطان لا يرضاه . قال الذهبى : صدوق وله حديث منكر . (المغنى ٢٨٧/١) .

كان (٧) يروى أنه رأى الحسن يصلى بين سطور (٨) القبور ، وهذا باطل ، لأن الحسن روى أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة بين القبور .

* قالوا وحديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يزال الرجل راكبا ما دام منتعلا » باطل . وضعه أيوب بن خوط (٩) . وحديث عمرو بن حريث رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يشار بين يديه يوم العيد بالحراب هو باطل ، وضعه المنذر بن زياد (١٠) وحديث ابن أبى أوفى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس لحيته فى الصلاة وضعه المنذر بن زياد . وحديث يونس عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن عشر كنى موضوع ، وضعه أبو عصمة قاضي مرو (١١) .

* وقالوا فى أحاديث موجودة على ألسنة الناس ليس لها أصل منها : من سعادة المرء خفة عارضيه ، ومنها : سموهم بأحب الأسماء اليهم ، وكنوهم بأحب الكنى اليهم . ومنها : خير تجارتكم البز وخير أعمالكم الخرز . ومنها : لو صدق السائل ما أفلح من رده . ومنها : الناس أكفاء الاحائكا أو حجاما . مع حديث كثير لا يحاط به قد رووه وأبطلوه .

---

(٧) فى المخطوطة (وسهل روى أن الحسن كان يصلى) .
(٨) سطور القبور اى صفوفها .
(٩) أيوب بن خوط بصرى . كنيته أبو امية . قال ابن حبان : روى المناكير عن المشاهير كأنه مما عملت يداه (المجروحون ١٦٦/١) وقال الذهبى : تركه النسائى والناس (المغنى ٩٦/١)
(١٠) المنذر بن زياد الطائى يروى عن ابن المنكدر قال الدارقطنى : متروك. وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد وينفرد بالمناكير عن المشاهير ، فاستحق ترك الاحتجاج به اذا انفرد (المجروحون ٣٧/٣)
(١١) أبو عصمة المروزى . هو نوح بن أبى مريم أحد المتروكين (المغنى ٧٩٨/٢) . وقال ابن حبان : يقلب الأسانيد ، ويروى عن الاثبات ما ليس من كلامهم ، لا يجوز الاحتجاج به بحال (المجروحون ٤٨/٣) .

وقال ابن المبارك فى أحاديث أبى بن كعب : من قرأ سورة كذا فله كذا . ومن قرأ سورة كذا فله كذا اظن الزنادقة وضعته وكذلك هذه الاحاديث التى يشنع بها عليهم من عرق الخيل وزغب الصدر وقفص الذهب وعيادة الملائكة هى كلها باطل لا طرق لها ولا رواة ولا نشك فى وضع الزنادقة لها .

* (قال أبو محمد) وقد جاءت احاديث صحاح مثل « قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن » ، « وان الله تعالى خلق آدم على صورته » ، « وكلتا يديه يمين » ، « ويحمل الله الأرض على أصبع ويجعل كذا على أصبع » ، و « لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن » . و « كثافة جلد الكافر فى النار اربعون ذراعا بذراع الجبار » .

(قال ابو محمد) ولهذه الاحاديث مخارج سنخبر بها فى مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله .

*وربما نسي الرجل منهم الحديث قد حدث به وحفظ عنه ، ويذاكر به ، فلا يعرفه ، ويخبر بانه قد حدث به ، فيرويه عمن سمعه منه ، ضنا بالحديث الجيد ، ورغبة فى السنة ، كرواية ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سهيل بن أبى صالح عن ابيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي باليمين مع الشاهد . قال ربيعة : ثم ذاكرت سهيلا بهذا الحديث فلم يحفظه ، وكان بعد ذلك يرويه عنى عن نفسه ، عن أبيه عن أبى هريرة . وكرواية وكيع وأبى معاوية عن ابن عيينة حديثين أحدهما عن ابن أبى نجيح عن مجاهد . قال [أبو محمد] حدثناه محمد بن هارون قال حدثنا إبراهيم بن بشار قال حدثنا ابن عيينة عن أبى معاوية عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله : « يوم تمور السماء مورا »(١٢) قال تدور دورا . - وعن عمرو عن عكرمة فى قول الله تعالى : « من صياصيهم »(١٣) قال الحصون . فسئل ابن عيينة

(١٢) الاحزاب : ٢٦ . (١٣) الطور : ٩ .

عنهما فلم يعرفهما ، وحدث ابن عيينة بهما عنهما عن نفسه . وروى ابن علية عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمر بن عبد العزيز أنه كان لا يرى طلاق المكره شيئا ، فسأل عنه ابن عيينة فلم يعرفه ، ثم حدث به بعد عن ابن علية عن نفسه (١٤) .

* (قال أبو محمد) وكان معتمر بن سليمان يقول : حدثنى منقذ عنى عن أيوب عن الحسن قال : (ويح) كلمة رحمة . وقد نبهوا على الطرق الضعاف كحديث عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده لأنها مأخوذة عندهم من كتاب (١٥) . وكان مغيرة لا يعبأ بحديث سالم ابن أبى الجعد (١٦) ، ولا بحديث خلاس (١٧) ، ولا بصحيفة عبد الله ابن عمرو . وقال مغيرة كانت لعبد الله بن عمرو صحيفة تسمى الصادقة ، ما تسرنى أنها لى بفلسين . وقال : حديث أصحاب عبد الله بن مسعود عن على أصح من حديث أصحاب على عنه . وقال شعبه : لأن أزنى كذا وكذا زنية أحب الى من أن أحدث عن أبان بن أبى عياش (١٨) .

* وما طعنهم عليهم بقلة المعرفة لما يحملون ، وكثرة اللحن والتصحيف ، فان الناس لا يتساوون جميعا فى المعرفة والفضل ، وليس صنف من الناس الا وله حشو (١٩) وشوب ، فأين هذا العائب لهم عن الزهرى أعلم الناس بكل فن ، وحماد بن سلمة ، ومالك بن أنس ،

(١٤) يعنى : ليست مشافهة ولا بلاغا ، وانما قرأها فى كتاب .

(١٥) يعنى يقول ابن عيينة فى حديثه : سمعت ابراهيم بن بشار قال : حدثنا ابن عيينة . ويقول سمعت ابن علية قال : حدثنا ابن عيينة .

(١٦) سالم بن أبى الجعد . شيخ من ثقات التابعين . ولكنه كان يرسل . قال أحمد : لم يسمع من ثوبان (المغنى ١/٢٥٠) .

(١٧) خلاس بن عمر الهجرى ، يروى عن على وابن عباس . صدوق . قيل : لم يسمع من على . قال أحمد : ثقة . وأيوب قال : صحفى لا ترووا عنه . وقال أبو حاتم : ليس بالقوى (المغنى ١/٢١٠) .

(١٨) أبان ابن أبى عياش من التابعين . قال أحمد : تركوا حديثه (المغنى ١/٧) . وقال شعبة : لا يحل السكوت عنه . وقال ابن معين : ليس بشىء . وقال شعبة أيضا : انه يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم (المجروحون ١/٩٦) .

(١٩) الحشو : الخطأ والتزيد .

وابن عون ، وأيوب ، ويونس بن عبيد ، وسليمان التيمى ، وسفيان الثورى ، ويحيى بن سعيد ، وابن جريج ، والأوزاعى ، وشعبة ، وعبد الله بن المبارك ، وأمثال هؤلاء من المتقنين .

على أن المنفرد بفن من الفنون لا يعاب بالزلل فى غيره ، وليس على المحدث عيب أن يزل فى الاعراب ، ولا على الفقيه أن يزل فى الشعر ، وانما يجب على كل ذى علم أن يتقن فنه اذا احتاج الناس اليه فيه ، وانعقدت له الرئاسة به . وقد يجتمع للواحد علوم كثيرة والله يؤتى الفضل من يشاء . وقد قيل لأبى حنيفة وكان فى الفتيا ولطف النظر واحد زمانه (٢٠) : ما تقول فى رجل تناول صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، أتقيده به ؟ فقال : لا ، ولو رماه بأبا قبيس . وكان بشر المريسي يقول لجلسائه : قضي الله لكم الحوائج على أحسن الأمور وأهنؤها . فنظر قاسم التمار قوما يضحكون من قول بشر فقال : هذا كما قال الشاعر :

ان سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وبشر رأس فى الرأى ، وقاسم التمار متقدم فى أصحاب الكلام ، واحتجاجه لبشر أعجب من لحن بشر . وقال بلال لشبيب بن شيبة وهو يستعدى على عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر : أحضرنيه . فقال : قد دعوته فكل ذلك يأبى على . قال بلال : فالذنب لكل(٢١) .

---

(٢٠) هذا اعتراف من الامام ابن قتيبة مناقض لرايه فى ابى حنيفة ، والذى أطال القول فيه . وعلى هذا الرأى الجديد يمكن تفسير الكثير من آراء ابى حنيفة كقوله بالتفريق بين البيعين بالكلام فى غير البيع . فلما سئل عن الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » . قال : أرأيت ان كانا فى سجن ، أرأيت ان كانا فى سفر فبم يتفرقان ؟

(٢١) يشير الى خطئه فى استعمال (كل) لأنها لا تدخل الا على ذى أفراد أو أجزاء . والمقام لا يستدعى استعمالها .

* ولا أعلم أحداً من أهل العلم والأدب الا وقد أسقط(٢٢) فى علمه ، كالأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة وسيبويه والأخفش والكسائى والفراء وأبى عمرو الشيبانى ، وكالأئمة من قراء القرآن ، والأئمة من المفسرين . وقد أخذ الناس على الشعراء فى الجاهلية والاسلام الخطأ فى المعانى وفى الاعراب ، وهم أهل اللغة ، وبهم يقــع الاحتجاج ؟ فهل أصحاب الحديث فى سقطهم الا كصنف من الناس ؟

على أنا لانخلى أكثرهم من العذل(٢٣) فى كتبنا فى تركهم الاشتغال بعلم ما قد كتبوا ، والتفقه بما جمعوا ، وتهافتهم على طلب الحديث من عشرة أوجــه وعشرين وجها ، وقــد كان فى الوجــه الواحــد الصحيح والوجهين مقنع لمن أراد الله عز وجل بعلمه ، حتى تنقضي أعمارهم . ولم يحلوا من ذلك الا بأســفار أتعبت الطالب ولم تنفع الوارث ، فمن كان من هذه الطبقة فهو عندنا مضيع لحظه ، مقبل على مــا كان غيره أنفع له منه .

وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة . وربما قالوا الجبرية . وسموهم الغثاء والغثر(٢٤) وهذه كلها أنباز(٢٥) لم يأت بها خبر عن رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم ، كما أتى عنه فى القدرية « وأنهم مجوس هذه الأمة فان مرضوا فلا تعودوهم ، وان ماتوا فلا تشــــهدوا جنائزهم » . وفى الرافضة برواية ميمون بن مهران عن أبى عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون قوم فى آخر الزمان يسمون الرافضة ، يرفضون الاسلام ويلفظونه ، فاقتلوهم فانهم مشركون » وفى المرجئة : « صنفان من أمتى لا تنالهم شفاعتى ، لعنوا على لسان سبعين نبيا المرجئة والقدرية » . وفى الخوارج : « يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وهم كلاب أهل النار »

(٢٢) أى أخطأ وأتى بالسقط .

(٢٣) العذل : اللوم .

(٢٤) الغثاء : ما يجيء فوق السيل من الزبد والوسخ . والغثر بضم الغين : أراذل الناس وسفلتهم .

(٢٥) لأنباز الألقاب . جمع نبز .

فهذه أسـماء من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلك أسـماء مصنوعـة ، وقـد يحمل بعضهم الحمية على أن يقـول : الجبرية هـم القدرية ، ولو كان هذا الاسم يلزمهم لاسـتغنوا به عن الجبرية . ولو ساغ هذا لأهل القدر لساغ مثله للرافضة والخوارج والمرجئة ، وقال كل فريق منهم لأهل الحديث مثـل الذى قالته القدرية ، والأسـماء لا تقع غيـر مواقعها ، ولا تلزم الا أهلها ، ويستحيل أن تكون الصياقلة هـم الأساكفة ، والنجار هو الحداد .

والفطرة التى فطر الناس عليها والنظر يبطل ما قذفوهم به .

أما الفطر فان رجلا لو دخل المصر واسـتدل على القدرية فيه أو المرجئة لدله الصبى والكبير والمراة والعجوز والعامى والخاصي والحشوة والرعاع على المسمين بهذا الاسم ، ولو استدل على أهل السنة لدلوه على أصحاب الحديث ، ولو مـرت جماعة فيهم القـدرى والسنى والرافضي والمرجىء والخارجى فقذف رجل القدرية أو لعنهم لم يكن المراد بالشتم أو اللعن عندهم أصحاب الحديث ، هذا أمـر لا يدفعه دافـع ولا ينكره منكر .

* وأما النظر فانهم أضافوا القدر الى أنفسهم ، وغيرهم يجعله لله تعالى دون نفسه ، ومدعى الشيء لنفسه أولى بأن ينسب اليـه ممن جعله لغيره ، ولأن الحديث جاءنا بأنهم مجوس هذه الأمة ، وهم أشبه قوم بالمجوس ، لأن المجوس تقول بالهين ، واياهم أراد اللـه بقولـه : **« لا تتخذوا الهين اثنين ، انما هو اله واحد »**(٢٦) . وقالت القدرية : نحن نفعل ما لا يريد الله تعالى ، ونقدر على ما لا يقدر . وبلغنى أن رجلا من أصحاب الكلام قال لرجل من أهل الذمة : الا تسلم يا فلان ؟ فقال : حتى يريد الله تعالى . فقال له : قد أراد الله ، ولكن ابليس لا يدعك . فقال له الذمى : فانا مع أقواهما .

(٢٦) النحل : ٥١ .

* وحدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال حدثنا قريش بن أنس قال سمعت عمرو بن عبيد يقول : يؤتى بى يوم القيامة فأقام بين يدى الله ، فيقول لى : لم قلت : ان القاتل فى النار ؟ فأقول : أنت قلته . ثم تلا هذه الآية : « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** »(٢٧) ، قلت لـه ـ وما فى البيت أصغر منى : أرأيت ان قال لك : قد قلت : « **ان الله لا يغفر أن يشرك بـه ويغفر مـا دون ذلك لمن يشاء** »(٢٨) . من أين علمت أنى لا أشاء أن أغفر ؟ قال : فما استطاع أن يرد على شيئا .

* حدثنى أبو الخطاب قال حدثنا داود بن المفضل عن محمد بن المفضل عن محمد بن سليمان عن الأصبغ بن جامع عن أبيه قال : كنت أطوف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنـه بالبيت ، فاتى الملتزم بين الباب والحجر فالصق به بطنه ، وقال : « اللهم اغفر لى ما قضيته على ، ولا تغفر لى ما لم تقضه على » .

* وحدثنى سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعى عن معاذ بن معاذ قال سمع الفضل الرقاشي رجلا يقول : اللهم اجعلنى مسلما . فقال : هذا محال . فقال الرجل : « **ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** »(٢٩) .

وحدثنى سهل قال حدثنا الأصمعى عن أبى معشر المدنى قال قال محمد بن كعب القرظى : العباد أذل من أن يكون لأحد منهم فى ملك الله تعالى شيء هو كاره أن يكون .

* وحدثنى سهل قال حدثنا الأصمعى قال قال أبو عمرو : أشهد أن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ، ولله علينا الحجة ، ومن قال : تعال أخاصمك ، قلت له : اغن عنا نفسك(٣٠) .

---

(٢٧) النساء : ٩٣ . (٢٨) النساء : ١١٦ .
(٢٩) البقرة : ١٢٨ .
(٣٠) يعنى : اغن نفسك عن مخاصمتنا لأنه لا حجة لك أمامنا .

* وحدثني أبو الخطاب قال حدثنا أبو داود عن الحسن بن أبي الحسن قال سمعت الحجاج يخطب وهو بواسط وهو يقول : اللهم أرني الهدى هدى فاتبعه ، وأرني الضلالة ضلالة فاجتنبها ، ولا تلبس على هداي فاضل ضلالا بعيدا . (قال أبو محمد وهذا نحو قول الله تعالى : « **وللبسنا عليهم ما يلبسون** »(٣١) .

وقال عمرو بن عون القيسي وكان من البكائين حتى ذهب بصره سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول : ما في القرآن آية هي أشد علي من قول موسى « **ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء** »(٣٢) . فقلت له : فالقرآن يشتد عليك ؟ والله لا أكلمك كلمة أبدا . فما كلمته حتى مات .

* وحدثني اسحق بن ابراهيم الشهيدي عن يحيى بن حميد الطويل عن عمرو بن النضر قال : مررت بعمرو بن عبيد فجلست اليه فذكر شيئا ، فقلت : ما هكذا يقول اصحابنا . قال : ومن أصحابك ؟ قلت : أيوب ، وابن عون ، ويونس ، والتيمي . فقال : أولئك أرجاس أنجاس أموات غير أحياء(٣٣) .

* (قال أبو محمد) وهؤلاء الأربعة الذين ذكرهم غرة أهل زمانهم في العلم والفقه ، والاجتهاد في العبادة ، وطيب المطعم ، وقد درجوا على ما كان عليه من قبلهم من الصحابة والتابعين ، وهذا يدل على أن أولئك ايضا عنده أرجاس انجاس . فان ادعوا أن الذين درجوا من الصحابة والتابعين لم يكونوا على ما كان عليه هؤلاء ، وأنهم يقولون بمثل مقالتهم في القدر ، قلنا لهم : فلم تعلقتم بالحسن وعمرو بن عبيد وغيلان ؟ الا تعلقتم بعلي وابن مسعود وابي عبيدة ومعاذ وسعيد

---

(٣١) الأنعام : ٩ . (٣٢) الأعراف : ١٥٥

(٣٣) جاء مثل هذا الخبر منسوبا الى عبد العزيز بن ابي رواد في مناقشة بينه وبين رجل قال له : الايمان يزيد وينقص . فقال عبد العزيز : الايمان واحد قال الرجل : اصحابنا يقولون ذلك . وساق الخبر وليس فيه التيمي . وفيه : لاكثر الله حزبهم (المجروحون ١٣٧/٢) .

ابن المسيب وأشباه هؤلاء ؟ فانهم كانوا أعظم فى القدوة ، وأثبت فى الحجة من قتادة والحسن وابن أبى عروبة .

* وأما قولهم انهم يكتبون الحديث عن رجال من مخالفيهم كقتادة وابن أبى نجيح وابن أبى ذئب ويمتنعون عن الكتاب(٣٤) عن مثلهم مثل عمرو بن عبيد وعمرو بن فائد ومعبد الجهنى ، فان هؤلاء الذين كتبوا عنهم أهل علم وأهل صدق فى الرواية ، ومن كان بهذه المنزلة فلا بأس بالكتاب عنه ، والعمل بروايته الا فيما اعتقده من الهوى ، فانه لا يكتب عنه ، ولا يعمل به ، كما أن الثقة العدل تقبل شهادته على غيره ، ولا تقبل شهادته لنفسه . ولا لابنه ولا لأبيه ، ولا فيما جر اليه نفعا أو دفع عنه ضررا ، وانما منع من قبول قول الصادق فيما وافق نحلته وشاكل هواه ، لأن نفسه تريه أن الحق فيما اعتقده ، وأن القربة الى الله عز وجل فى تثبيته بكل وجه ، ولا يؤمن مع ذلك التحريف والزيادة والنقصان .

* فان قالوا : فان أهل المقالات المختلفة يرى كل فريق منهم أن الحق فيما اعتقده ، وأن مخالفه على ضلال وهوى ، وكذلك أصحاب الحديث فيما انتحلوا ، فمن أين علموا يقينا أنهم على الحق ؟ قيل لهم : ان أهل المقالات وان اختلفوا ورأى كل صنف منهم أن الحق فيما دعا اليه ، فانهم مجمعون لا يختلفون على أن من اعتصم بكتاب الله عز وجل ، وتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد استضاء بالنور ، واستفتح باب الرشد ، وطلب الحق من مظانه . وليس يدفع أصحاب الحديث عن ذلك الا ظالم ، لأنهم لا يردون شيئا من أمر الدين الى استحسان ولا الى قياس ونظر ، ولا كتب الفلاسفة المتقدمين ، ولا الى أصحاب الكلام المتأخرين ، فان ادعوا عليهم الخطأ بحملهم الكذب والمتناقض ، قيل لهم : أما الكذب والغلط والضعيف فقد نبهوا عليه على ما أعلمتك ، وأما المتناقض فنحن مخبروك بالمخارج منه ، ومنبهوك على ما تأخر عنه علمك ، وقصر عنه نظرك ، وبالله الثقة وهو المستعان .

* * *

---

(٣٤) الكتاب : يعنى الكتابة .

(ذكر الأحاديث التى ادعوا عليها التناقض والأحاديث التى تخالف عندهم كتاب الله تعالى والأحاديث التى يدفعها النظر وحجة العقل)

١ ـ فمن ذلك حديث ذكروا أنه يخالف كتاب الله تعالى ، قالوا : رويتم أن الله تعالى مسح على ظهر آدم عليه السلام ، وأخرج منه ذريته الى يوم القيامة أمثال الذر ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . وهذا خلاف قول الله تعالى : « **واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى** »(٣٥). لأن الحديث يخبر أنه أخذ من ظهر آدم ، والكتاب يخبر أنه أخذ من ظهور بنى آدم .

* (قال أبو محمد) . ونحن نقول : ان ذلك ليس كما توهموا ، بل المعنيان متفقان بحمد الله ومنه صحيحان ، لأن الكتاب يأتى بجمل يكشفها الحديث ، واختصار تدل عليه السنة ، ألا ترى أن الله تعالى حين مسح ظهر آدم عليه السلام على ما جاء فى الحديث فأخرج منه ذريته أمثال الذر الى يوم القيامة ، اذ فى تلك الذرية الأبناء وأبناء الأبناء وأبناؤهم الى يوم القيامة ، فاذا أخذ من جميع أولئك العهد وأشهدهم على انفسهم، فقد أخذ من بنى آدم جميعا من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم .

ونحو هذا قول الله تعالى فى كتابه : « **ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** »(٣٦) . فجعل قوله للملائكة اسجدوا لآدم بعد « خلقناكم وصورناكم » ، وانما أراد بقوله تعالى خلقناكم وصورناكم خلقنا آدم وصورناه ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . وجاز ذلك لأنه حين خلق آدم خلقنا فى صلبه وهيأنا كيف شاء ، فجعل خلقه لآدم خلقه لنا اذ كنا معه .

---

(٣٥) الأعراف : ١٧٢ .

(٣٦) الأعراف : ١١ .

ومثل هذا مثل رجل أعطيته من الشاء ذكرا وأنثى وقلت له قد وهبت شاء كثيرا تريد انى وهبت لك بهبتى هذين الاثنين من النتاج شاء كثيرا . وكان عمر بن عبد العزيز وهب لدكين الراجز ألف درهم ، فاشترى به دكين عدة من الابل ، فرمى الله تعالى فى أذنابها بالبركة ، فنمت وكثرت ، فكان دكين يقول : هذه منائح عمر بن عبد العزيز ، ولم تكن كلها عطاءه ، وانما اعطاه الآباء والأمهات ، فنسبها اليه اذ كانت نتائج ما وهب له . ومما يشبه هذا قول العباس بن عبد المطلب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

من قبلها طبت فى الظلال وفى
مستودع حيث يخصف الورق

يريد طبت فى ظلال الجنة ، وفى مستودع يعنى : الموضع الذى استودعه من الجنة ، حيث يخصف الورق ، أى حيث خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة . وانما أراد أنه كان اذ ذاك طيبا فى صلب آدم ثم قال :

ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا علق

يريد ان آدم هبط البلاد فهبطت فى صلبه ، وأنت اذ ذاك لا بشر ولا مضغة ولا دم ثم قال :

بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسرا(٣٧) وأهله الغرق

يريد أنك نطفة فى صلب نوح صلى الله عليه وسلم حين ركب الفلك ثم قال :

تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق

(٣٧) نسر : أحد اصنام قوم نوح وقد جاء فى القرآن .

يريد أنه ينتقل فى الأصلاب والأرحام . فجعله طيبا وهابطا للبلاد وراكبا للسفين . من قبل أن يخلق ، وانما يريد بذلك آباءه الذين اشتملت أصلابهم عليه .

* * *

٢ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تستقبلوا القبلة بغائط ولا بول » ورويتم عن عيسى ابن يونس عن أبى عوانة عن خالد الحذاء عن عراك بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوما يكرهون أن يستقبلوا القبلة بغائط أو بول ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بخلائه فاستقبل به القبلة . قالوا وهذا خلاف ذلك .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث يجوز عليه النسخ ، لأنه من الأمر والنهى ، فكيف لم يذهبوا الى أن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ ، اذ كان قد ذهب عليهم المعنى فيهما . وليسا عندنا من الناسخ والمنسوخ ، ولكن لكل واحد منهما موضع يستعمل فيه . فالموضع الذى لا يجوز أن تستقبل القبلة فيه بالغائط والبول هى الصحارى والبراحات، وكانوا اذا نزلوا فى أسفارهم لهيئة الصلاة استقبل بعضهم القبلة بالصلاة ، واستقبلها بعضهم بالغائط ، فأمرهم ألا يستقبلوا القبلة بغائط ولا بول اكراما للقبلة ، وتنزيها للصلاة ، فظن قوم أن هذا أيضا يكره فى البيوت والكنف المحتفرة ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بخلائه فاستقبل به القبلة يريد أن يعلمهم أنه لا يكره ذلك فى البيوت والآبار المحتفرة التى تستر الحدث ، وفى الخلوات فى المواضع التى لا يجوز فيها الصلاة (٣٨) .

* * *

---

(٣٨) وليست علة الاباحة فى البيوت لذاتها فيما نرى ، بل هى تعذر ذلك فى البناء حيث تكثر البيوت وتتداخل الطرقات ، ويتسع العمران .

٣ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن وكيع عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا انقطع شسع نعل أحدكم فلا يمش فى نعل واحدة » . ورويتم عن مندل عن ليث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ربما انقطع شسع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمشي فى النعل الواحدة حتى يصلح الآخرى » . قالوا : وهذا خلاف ذلك .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ليس ههنا خلاف بحمد الله تعالى ، لأن الرجل كان ينقطع شسع نعله فينبذها ، أو يعقلها بيده ويمشي فى نعل واحدة الى أن يجد شسعا ، وهذا يفحش ويقبح فى النعلين والخفين ، وكل زوجين من اللباس يستعمل فى اثنين ، فيستعمل فى واحد ويترك الآخر ، وكذلك الرداء يلقى على أحد المنكبين ويترك الآخر .

فأما أن ينقطع شسع الرجل فيمشي خطوة أو خطوتين أو ثلاثا الى أن يصلح الآخر، فان هذا ليس بمنكر ولا قبيح ، وحكم القليل يخالف حكم الكثير فى كثير من المواضع . ألا ترى أنه يجوز للمصلى أن يمشي خطوة وخطوتين وخطوات وهو راكع الى الصف الذى بين يديه ، ولا يجوز له أن يمشي وهو راكع مائة ذراع ومائتى ذراع ؟ ويجوز له أن يريد(٣٩) الرداء على منكبيه اذا سقط عنه ، ولا يجوز له أن يطوى ثوبه فى الصلاة ، ولا أن يعمل عملا يتطاول . ويتبسم فلا تنقطع صلاته ، ويقهقه فتنقطع .

* * *

٤ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن عائشة أنها قالت : « ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما قط » ثم رويتم عن حذيفة أنه بال قائما . وهذا خلاف ذاك .

---

(٣٩) فى المطبوعة : يردىء . وما أثبتناه من المخطوطة أوضح .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ليس ههنا بحمد الله اختلاف ، ولم يبل قائما قط فى منزله ، و [لا فى] الموضع الذى كانت تحضره فيه عائشة رضي الله عنها . وبال قائما فى المواضع التى لا يمكن أن يطمئن فيها ، اما للثق(٤٠) فى الأرض وطين أو قذر ، وكذلك الموضع الذى رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة يبول قائما كان مزبلة لقوم ، فلم يمكنه القعود فيه ولا الطمأنينة ، وحكم الضرورة خلاف حكم الاختيار .

* (قال أبو محمد) حدثنى محمد بن زياد الزيادى قال حدثنا عيسي ابن يونس قال حدثنا الأعمش عن أبى وائل عن حذيفة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى سباطة قوم فبال قائما ، فذهبت أتنحى ، فقال : ادن منى ، فدنوت منه حتى قمت عند عقبه ، فتوضأ ومسح على خفيه . والسباطة : المزبلة . وكذلك الكساحة والقمامة .

* * *

٥ - (قالوا حديث يخالف كتاب الله تعالى) قالوا رويتم عن سفيان ابن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبى هريرة وزيد بن خالد وشبل أن رجلا قام الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله نشدتك بالله الا قضيت بيننا بكتاب الله تعالى . فقام خصمه وكان أفقه منه فقال : صدق ، اقض بيننا بكتاب الله وأذن لى . فقال : قل . قال : ان ابني كان عسيفا على هذا ، فزنى بامرأته ، فافتديت منه بمائة شاة وخادم ، ثم سألت رجالا من أهل العلم فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأة هذا الرجم . فقال : والذى نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : المائة شاة والخادم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأة هذا الرجم ، واغد يا أنيس على امرأة هذا ، فان اعترفت فارجمها . فغدا عليها فاعترفت فرجمها .

---

(٤٠) اللثق : اللزج من الوحل ، وهو الزلق .

* (قال أبو محمد) هكذا حدثنيه محمد بن عبيد عن ابن عيينة . قالوا : وهذا خلاف كتاب الله عز وجل ، لأنه سأله أن يقضي بينهما بكتاب الله تعالى فقال له : « والذى نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله » ثم قضي بالرجم والتغريب وليس للرجم والتغريب ذكر فى كتاب الله تعالى ، وليس يخلو هذا الحديث من أن يكون باطلا ، أو يكون حقا وقد نقص من كتاب الله تعالى ذكر الرجم والتغريب .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد بقوله لأقضين بينكما بكتاب الله ههنا القرآن ، وانما أراد لأقضين بينكما بحكم الله تعالى ، والكتاب يتصرف على وجوه منها : الحكم والفرض ، كقول الله عز وجل : « **كتاب الله عليكم ، وأحل لكم ما وراء ذلكم** » (٤١) أى فرضه عليكم . وقال : « **كتب عليكم القصاص** »(٤٢) . أى فرض عليكم . وقال : « **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال**»(٤٣) أى فرضت . وقال تعالى : « **وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس** » (٤٤) . أى حكمنا وفرضنا . وقال النابغة الجعدى :

ومال الولاء بالبلاء فملتم
وما ذاك قال الله اذ هو يكتب

أراد مالت القرابة بأحسابنا اليكم ، وما ذاك أوجب الله اذ هو يحكم .

* * *

٥ ــ (قالوا حديث يبطله الاجماع) قالوا رويتم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة كانت تستعير حليا من أقوام فتبيعه ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ، فامر بقطع يدها .

قالوا : وقد أجمع الناس على أنه لا قطع على المستعير لأنه مؤتمن .

---

(٤١) النساء : ٢٤ .
(٤٢) البقرة : ١٧٨ .
(٤٣) النساء : ٧٧ .
(٤٤) المائدة : ٤٥ .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث صحيح ، غير أنه لا يوجب حكما ، لأنه لم يقل فيه : انه قطعها ، وانما قيل : أمر بقطعها . وقد يجوز أن يأمر ولا يفعل ، وهذا قد يكون من الائمة على وجه التحذير والترهيب ، ولا يراد به ايقاع الفعل .

ومثله الحديث الذى يرويه الحسن عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه » . والناس جميعا على أنه لا يقتل رجل بعبده ، ولا يقتص منه لعبده ، وانما يختلفون فى عبد غيره . وأراد صلى الله عليه وسلم ترهيب السيد وتحذيره أن يقتل عبده أو يمثل به ، ولم يرد ايقاع الفعل .

وكان الحكم يجب بأن يقال : انه قتل رجلا بعبده ، أو اقتص منه لعبده . فأما قوله من فعل فعلنا به ، فان ذلك تحذير وترهيب ، وكذلك قوله : « من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فاقتلوه » . انما هو ترهيب ، لئلا يعاوده ويدلك على ذلك انه أتى به فى المرة الرابعة فجلده ولم يقتله (٤٥) وهكذا نقول فى الوعيد كله انه جائز أن يقع وألا يقع على حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ، ومن أوعده عقابا فهو فيه بالخيار » .

* * *

٦ — (قالوا حديث يدفعه النظر وحجة العقل) قالوا رويتم عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنا أحق بالشك من أبى ابراهيم ، ورحم الله لوطا ان كان ليأوى الى ركن شديد ، ولو دعيت الى ما دعى اليه يوسف لأجبت » .

---

(٤٥) والذى جلده للمرة الرابعة هو نعيمان . وروى أن رجلا لعنه بعد الجلد ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله » .

قالـوا : وهـــذا طعن على ابراهيم ، وطعن على لـوط ، وطعن على نفسه (٤٦) عليهم السلام .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فيــه شيء مما ذكروا بحمد الله تعــالى ونعمته ، فأما قوله : أنا أحق بالشـك من أبى ابراهيم عليه السلام ، فانه لما نزل عليه « **واذ قال ابراهيم رب أرنى كيف تحيى الموتى ، قال أو لم تؤمن ، قال بلى ولكن ليطمئن قلبى**»(٤٧) قال قوم سمعوا الآية : شك ابراهيم صلى الله عليــه وسلم ولم يشـك نبينا صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**أنا أحق بالشك** من أبى ابراهيم عليه السلام » تواضعا منه وتقديما لابراهيم على نفسه، يريد انا لم نشك ونحن دونه ، فكيف يشك هو ؟

وتأويل قول ابراهيم عليه السلام : « ولــكن ليطمئن قلبى » أى يطمئن بيقين النظر . واليقين جنسان : أحدهما يقين السمع ، والآخر يقين البصر . ويقين البصر أعلى اليقين ، ولذلك قال رسول الله صلى اللــه عليــه وسـلم : « ليس المخبــز كالمعاين » حين ذكــر قوم موسى وعكوفهم على العجل . قال : (أبو محمد) (٤٨) أعلمه اللــه تعالى أن قومه عبـدوا العجــل فلم يلق الألواح ، فلما عاينهم عاكفين غضب وألقى الألــواح حتى انكسرت . وكـذلك المؤمنـون بالقيامـة والبعث والجنة والنار مستيقنون أن ذلك كله حق وهم فى القيامة عند النظـر والعيان اعلى يقينا فاراد ابراهيم عليه السلام أن يطمئن قلبه بالنظر الذى هو أعلى اليقين(٤٩) .

* وأما قوله : « رحم الله لوطا ان كان ليأوى الى ركن شديد »

---

(٤٦) فى المخطوطة : وعلى يوسف .　　　(٤٧) البقرة : ٢٦٠ .

(٤٨) سقطت من المطبوعتين .

(٤٩) والخليل عليه السلام لم يكن شاكا فى أصل قضية احياء الموتى « **قال أو لم تؤمن ، قال بلى** » آمنت . ولكنه يريد أن يعلم الكيفية فقط حتى يكتمل يقينه . أما الأصل فلا شك فيه عنده .

فانه أراد قوله لقومه « **لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد** »(٥٠) يريد سهوه فى هذا الوقت الذى ضاق فيه صدره ، واشتد جذعه بمادهمه من قومه ، حتى قال : « **أو آوى الى ركن شديد** » وهو ياوى الى الله تعالى أشد الأركان . قالوا : فما بعث الله نبيا بعد لوط الا فى ثروة(٥١) من قومه .

* وأما قوله : «لو دعيت الى ما دعى اليه يوسف لأجبت». يعنى حين دعى للاطلاق من الحبس بعد الغم الطويل ، فقال للرسول : «**ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن** » ، ولم يخرج من الحبس فى وقته ، يصفه بالأنا والصبر . وقال : لو كنت مكانه ثم دعيت الى ما دعى اليه من الخروج من الحبس لأجبت ، ولم أتلبث . وهذا أيضا جنس من تواضعه ، لا انه كان عليه لو كان مكان يوسف فبادر وخرج ، أو على يوسف لو خرج من الحبس مع الرسول نقص ولا اثم ، وانما أراد أنه لم يكن يستثقل محنة الله عز وجل له ، فيبادر ويتعجل ، ولكنه كان صابرا محتسبا .

* * *

٧ — (قالوا حديث يكذبه العيان) قالوا رويتم عن أبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال — وذكر سنة مائة : « انه لا يبقى على ظهرها يومئذ نفس منفوسة » . قالوا : وهذا باطل بين للعيان ، ونحن طاعنون فى سنى ثلثمائة ، والناس أكثر مما كانوا .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا حديث قد أسقط الرواة منه حرفا ، اما لأنهم نسوه ، أو لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخفاه فلم يسمعوه ، ونراه بل لا نشك أنه قال لا يبقى على الأرض

---

(٥٠) هود : ٨٠ .
(*) يوسف : ٥٠

(٥١) ثروة من قومه : كثرة ومنعة .

« منكم » يومئذ نفس منفوسة ، يعنى ممن حضره فى ذلك المجلس ، أو يعنى الصحابة (٥٢) فأسقط الراوى « منكم » .

وهذا مثل قول ابن مسعود فى ليلة الجن : « ما شهدها أحد منا غيرى » . فأسقط الراوى « غيرى » .

ومما يشـهد على ما أقول : أن أبا كدينـة روى عن مطـرف عن المنهال بن عمرو أن عليا رضي الله عنه قال لأبى مسعود : « انك تفتى الناس » ؟ قال : أجل ، وأخبرهم أن الآخر شر . قال : فأخبرنى ، هل سمعت منه ؟ قال : سمعته يقول : « لا يأتى على الناس سنة مائة وعلى الأرض عين تطرف» . فقال على : أخطأت استك الحفرة(٥٣) ، انما قال ذلك يومئذ لمن حضره ، وهل الرجاء(٥٤) الا بعد المائة .

ونحو من هذا الحديث مما وقع فيه الغلط حديث حدثنيه محمد ابن خالد بن خداش قال حدثنا أبى عن حماد بن زيد عن أيوب عن الحسن عن صخر بن قدامة العقيلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يولد بعد سنة مائة مولود لله فيه حاجة » قال أيوب : فلقيت صخر بن قدامة فسألته عن الحديث فقال(٥٥) لا أعرفه . (قال أبو محمد وهذا هو ذاك الحديث وقع فيه الغلط ، واختلفت فيه الروايات .

* * *

٨ — (قالوا حديث يدفعه النظر وحجة العقل) قالوا : رويتم عن عبد العزيز بن المختار الأنصارى عن عبد الله الداناج قال شهدت أبا سلمة ابن عبد الرحمن فى مسجد البصرة وجاء الحسن فجلس اليه ، فحدث

(٥٢) فى المخطوطة : أصحابه .

(٥٣) أخطأت استك الحفرة . كناية عن عدم الوقوع على المراد .. والاست : الدبر . والحفرة : المكان المعد لقضاء الحاجة .. وهى من عبارات الكناية مثل : كثير الرماد .. طويل النجاد .

(٥٤) فى المخطوطة (وهل الدجال أو الرخاء) . والمعنى على كل حال : وهل الرجاء فى علو الاسلام وانتشاره ورخاء أهله وحربهم الدجال الا بعد المائة ؟

(٥٥) فى المخطوطة : (فلم يعرفه) .

عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «الشمس والقمر نوران مكوران(٥٦) فى النار يوم القيامة » . فقال الحسن : وما ذنبهما ؟ قال : انى أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسكت . قالوا : قد صدق الحسن ، ما ذنبهما ؟ وهذا من قول الحسن رد عليه(٥٧) أو على أبى هريرة .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الشمس والقمر لم يعذبا بالنار حين أدخلاها ، فيقال ما ذنبهما ، ولكنهما خلقا منها ثم ردا اليها . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشمس حين غربت « فى نار الله الحامية ، لولا ما يزعها عن أمر الله تعالى لأهلكت ما على الأرض » . وقال : « ما ترتفع فى السماء قصمة (٥٨) الا فتح لها باب من أبواب النار ، فاذا قامت الظهيرة فتحت الأبواب كلها » وهذا يدلك على أن شدة حرها من فوح(٥٩) جهنم ولذلك قال « أبردوا بالصلاة ، فان شدة الحر من فوح جهنم » . فما كان من النار ثم رد الى النار لم يقل انه يعذب ، وما كان من المسخر المقصور على فعل واحد كالنار ، والفلك المسخر الدوار ، والبحر المسجور ، وأشباه ذلك لا يقع به تعذيب ، ولا يكون له ثواب . وما مثل هذا الا مثل رجل سمع بقول الله تعالى : « فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة »(٦٠) فقال : ما ذنب الحجارة .

* * *

٩ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا عدوى ولا طيرة » . وأنه قيل له : ان النقبة (٦١) تقع بمشفر البعير فتجرب لذلك الابل . فقال : « فما أعدى

---

(٥٦) فى المطبوعتين (ثوران) بالثاء . وما فى المخطوطة اليق وابعد من التاويل .

(٥٧) رد عليه . أى على النبى صلى الله عليه وسلم .

(٥٨) القصمة الدرجة . من القصم وهو الكسر .

(٥٩) فى المخطوطة (فيح جهنم) . (٦٠) الأعراف : ٢٠ .

(٦١) النقبة . أول ما يظهر من الجرب .

الأول » . قال هذا أو معناه . ثم رويتم فى خلاف ذلك : « ولا يوردن ذو عاهة على مصح » . « وفر من المجذوم فرارك من الأسد » . وأتاه رجل مجذوم ليبايعه بيعة الاسلام فأرسل اليـه بالبيعة ، وأمره بالانصراف ، ولم يأذن له عليه . وقال : « الشؤم فى المرأة والدار والدابة » . قالوا : وهذا كله مختلف لا يشبه بعضه بعضا .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذا اختلاف ، ولكل معنى منها وقت وموضع ، فاذا وضع بموضعه زال الاختـلاف . والعدوى جنسان أحدهما عـدوى الجذام ، فان المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسـته ومؤاكلته ، وكذلك المـرأة تكـون تحت المجذوم فتضاجعه فى شعار واحد فيوصل اليها الأذى ، وربما جذمت ، وكذلك ولـده ينزعون فى الكثير اليـه ، وكذلك من كان بـه سـل ودق ونقب ، والأطباء تأمر بالا يجالس المسلول ولا المجذوم ، ولا يريدون بذلك معنى العدوى ، انما يريدون به تغير الرائحة ، وأنها قد تسقم من أطال اشتمامها ، والأطباء أبعد الناس من الايمان بيمن أو شؤم .

وكذلك النقبة تكون بالبعير . وهى : جرب رطب ، فاذا خالطها الابـل وحاكها وأوى فى مباركها أوصـل اليها بالمـاء الذى يسيل منـه والنطف(٦٢) نحوا مما به . وهذا المعنى الذى قال فيه رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : « لا يوردون ذو عاهة على مصح » كره أن يخالط المعيوه(٦٣) الصحيح ، فيناله من نطفه وحكته نحو مما به .

* وقد ذهب قـوم الى أنه أراد بذلك الا يظن أن الذى نال ابله [نالها] من ذوات العاهة فيأثم . (قال [أبو محمد]) : وليس لهذا عندى وجه لأنا نجد الذى أخبرتك به عيانا .

* وأما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوفا من العدوى .

---

(٦٢) النطف بتشديد النون وفتح الطاء : الجرب الرطب .
(٦٣) المعيوه : المصاب بالعاهة .

* (قال أبو محمد) حدثني سهل بن محمد قال حدثنا الأصمعي عن بعض البصريين أن رجلا(٦٤) هرب من الطاعون ، فركب حمارا ، ومضي بأهله نحو سفوان(٦٥) ، فسمع حاديا يحدو خلفه وهو يقول :

لن يسبق الله على حمار ولا على ذي ميعة(٦٦) مطار
أو يأتي الحتف على مقدار قد يصبح الله(٦٧) أمام الساري

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا كان بالبلد الذي أنتم به فلا تخرجوا منه » . وقال أيضا : «اذا كان ببلد فلا تدخلوه» . يريد بقوله : لا تخرجوا من البلد اذا كان فيه كأنكم تظنون أن الفرار من قدر الله تعالى ينجيكم من الله ، ويريد بقوله : واذا كان ببلد فلا تدخلوه : أن مقامكم بالموضع الذي لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم ، وأطيب لعيشكم .

* ومن ذلك تعرف المرأة بالشؤم أو الدار ، فينال الرجل مكروه أوجائحة ، فيقول أعدتني بشؤمها . فهذا هو العدوى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عدوى » . وأما الحديث الذي رواه أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الشؤم في المرأة والدار والدابة » فان هذا حديث يتوهم فيه الغلط على أبي هريرة ، وأنه سمع فيه شيئا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يعه .

* (قال أبو محمد) حدثني محمد بن يحيى القطعي قال حدثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة رضي الله عنها فقالا ان أبا هريرة يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « انما الطيرة في المرأة والدابة والدار » فطارت شفقا ، ثم قالت : كذب والذي أنزل القرآن على أبي القاسم من حدث

---

(٦٤) في المطبوعتين (أنه هرب) . (٦٥) سفوان موضع بالبصرة .
(٦٦) ذو ميعة : أي ذو قوة على الجري . والمطار : الحديد القلب .
(٦٧) يصبح الله أمام الساري بتقديره وقضائه ، لا بذاته .

بهذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان أهل الجاهلية يقولون : ان الطيرة فى الدابة والمرأة والدار » . ثم قرأت « **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها** »(٦٨) .

* وحدثنى أحمد بن الخليل قال حدثنا موسي بن مسعود النهدى عن عكرمة بن عمار عن اسحق عن ابن عبدالله بن أبى طلحة عن أنس بن مالك قال : جاء رجل منا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ، انا نزلنا دار فكثر فيها عددنا وكثرت فيها أموالنا ، ثم تحولنا عنها الى أخرى فقلت فيها أموالنا ، وقل فيها عددنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ارحلوا عنها وذروها وهى ذميمة » .

* (قال أبو محمد) وليس هذا بنقض للحديث الأول ، ولا الحديث الأول بنقض لهذا ، وانما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقال لظلها ، واستيحاش بما نالهم فيها ، فأمرهم بالتحول . وقد جعل الله تعالى فى غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه ، وان كان لا سبب له فى ذلك(٦٩) ، وحب من جرى على يده الخير لهم ، وان لم يردهم به ، وبغض من جرى على يده الشر لهم ، وان لم يردهم به . وكيف يتطير صلى الله عليه وسلم والطيرة من الجبت ، وكان كثير من أهل الجاهلية لا يرونها شيئا ، ويمدحون من كذب بها ، قال الشاعر يمدح رجلا :

وليس بهياب اذا شد رحله يقول عدانى اليوم واق وحاتم(٧٠)

---

(٦٨) الحديد : ٢٢ .

(٦٩) لم يوفق ابن قتيبة فى هذا التعليل . وان صح الحديث ، فانما أمرهم بالتحول عنها لئلا يفسد ايمانهم بنسبة الأحداث الى المخلوقات حينما يطول الزمن بهم فيها .. فهو عمل وقائى فى أول الاسلام ، والناس حديثو عهد بجاهلية .

(٧٠) الحاتم : الغراب الاسود . سمى به لأنه علامة محتمة على الفراق .

ولكنـــه يمضي على ذاك مقـدمـا اذا صد عن تلك الهنات الخثارم(٧١)

* (قال أبو محمـد) الخثارم : هـو الذى يتطير . والـواق : الصرد . والحاتم : الغراب . وقال المرقش :

ولقـد غـدوت وكـنت لا أغـدو عـلى واق وحـاتـم
فـاذا الأشـائـم كـالأيـا مـن والأيـامـن كـالأشـائـم
وكـذاك لا خيـر ولا شـر عـلى أحـد بـدائـم

* وحدثنا اسحق بن راهويه قال أخبرنا عبد الرزاق عن معمـر عن اسماعيل بن أمية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الطيرة والظن والحسد . قيل : فما المخرج منهن ؟ قال : اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسـدت فلا تبغ » (٧٢) . هذه الألفاظ أو نحوها .

* وحدثنى أبو حاتم قال حدثنا الأصمعى عن سعيد بن مسلم عن أبيه : أنه كان يعجب ممن يصدق بالطيرة ويعيبها أشد العيب ، وقال : فرقت(٧٣) لنا ناقة وأنا بالطف ، فركبت فى أثرها فلقينى هانىء بن عبيد من بنى وائل وهو مسرع يقول :

* والشر يلفى مطالع الأكم *

ثم لقينى رجل آخر من الحى فقال :

---

(٧١) الخثارم بضم أوله : الرجل المتطير .

(٧٢) اى : اذا تطيرت فلا ترجع عن مقصودك بسبب الطيرة . بل امض لما أردت ، ولا تلق بالا لما تطيرت منه . واذا ظننت ظنا فلا تعتبره حقيقة .. واذا تحرك فى قلبك الحسد فلا تتمن زوال النعمة ، ولا تسع فى ازالتها عن المحسود . وانما لم يأمر أصحاب الدار بالاقامة فيها على ما أصابهم فيها لإنها لم تكن مجـرد تطير بما سيحدث فى المستقبل ، بل كان هجرا لها لما حدث لهم فيها بالفعل . وفى حديث الدار كان يخشى على ايمان أصحابها لطول اقامتهم بها . أما التطير العادى فهو عرض وقتى لا يدوم طويلا .

(٧٣) الناقة الفارق : التى تند فى الأرض بعيدا اذا أخذها المخاض . أو التى تفارق الفها فتنتج وحدها . والطف موضع يعنى .

ولئـن بغيت لنـا بغـا ة مـا البغاة بواجدينـا

ثم دفعنا الى غلام قد وقع فى صغره فى نار فاحرقته فقبح وجهه وفسد ، فقلت له : هل ذكرت من ناقة فارق ؟ قال : ههنا أهل بيت من الأعـراب فانظر . فنظرت فاذا هى عندهم ، وقـد أنتجت . فأخذتها وولدها .

(قال أبو محمد) : الفارق التى قد حملت ففارقت صواحبها .

وقال عكرمة : كنا جلوسا عند ابن عباس فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال ابن عباس : لا خير ولا شر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحب الاسم الحسن والفأل الصالح .

وحدثنى الرقاشي قال حدثنـا الأصمعى قال : سألت ابن عون عن الفأل فقال : هو أن يكون مريضا فيسمع : ياسالم ، أو يكون باغيا(٧٤) فيسمع : ياواجد

(قال أبو محمـد) وهـذا أيضـا مما جعـل فى غرائز النـاس استحبابه ، والأنس به ، كما جعل على ألسنتهم من التحية بالسلام ، والمـد فى الأمنية ، والتبشير بالخير ، وكما يقال : أنعم وأسـلم وأنعم صبـاحا . وكمـا تقول الفـرس : عش ألف نوروز . والسـامع لهـذا يعلم أنه لا يقـدم ولا يؤخر ، ولا يزيد ولا ينقص ، ولـكن جعـل فى الطباع محبة الخير ، والارتياح للبشرى ، والمنظر الأنيـق ، والوجـه الحسن ، والاسم الخفيف .

وقد يمر الرجل بالروضة المنورة فتسره وهى لا تنفعه ، وبالماء الصافى فيعجب به وهو لا يشربه ولا يورده . وفى بعض الحديث أن

---

(٧٤) باغيا : طالبا لضالة أو نحوها . وليس من البغى والعدوان .

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجب بالأترج ، ويعجبه الحمام الأحمر(٧٥) ، وتعجبه الفاغية(٧٦) وهى نور الحناء ، وهذا مثل اعجابه بالاسم الحسن ، والفأل الحسن ، وعلى مثل هذا كانت كراهته للاسم القبيح ، كبنى النار ، وبنى حراق ، وبنى زنية ، وبنى حزن ، وأشباه هذا .

* * *

١٠ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن خباب بن الأرت قال : شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرمضاء فلم يشكنا ، يعنى أنهم شكوا اليه شدة الحر وما ينالهم من الرمضاء وسألوه الابراد بالصلاة فلم يشكهم ، أى لم يجبهم الى تأخيرها . ثم رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أبردوا بالصلاة ، فان شدة الحر من فوح جهنم » . قالوا وهذا اختلاف لاخفاء به وتناقض .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا بنعمة الله تعالى اختلاف ولا تناقض ، لأن أول الأوقات رضوان الله ، وآخر الأوقات عفو الله ، والعفو لا يكون الا عن تقصير . فأول الأوقات أوكد أمرا ، وآخرها رخصة ، وليس يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ فى نفسه الا بأعلى الأمور وأقربها الى الله تعلى ، وانما يعمل فى نفسه بالرخصة مرة أو مرتين ، ليدل بذلك الناس على جوازها ، فأما أن يدوم على الأمر الأخس ويترك الأوكد والأفضل فذلك مالا يجوز .

---

(٧٥) هذا الحديث رواه عيسي بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب . روى عن أبيه عن آبائه أشياء موضوعة . قال ابن حبان : لا يحل الاحتجاج به . روى عن أبيه عن جده عن على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه النظر الى الجمام الأحمر والأترج (المجروحون ١٢٢/٢) .

(٧٦) وهذا الحديث فى سنده عمر بن سمر الجعفى ، عن جده جعفر بن محمد . تركه الدارقطنى وعدة (المغنى ٤٨٥/٢) .

فلما شكا اليه أصحابه الذين يصلون معه الرمضاء ، وأرادوا منه التأخير الى أن يسكن الحر ، لم يجبهم الى ذلك ، اذ كانوا معه . ثم أمر بالابراد من لم يحضره توسعة على أمته ، وتسهيلا عليهم ، وكذلك تغليسه بالفجر . وقوله : « أسفروا بالفجر » .

ومما يدل على انه كان يصلى الظهر للزوال ولا يؤخرها حديث اسماعيل بن عليه عن عوف عن المنهال عن أبى برزة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى الهجير التى يسمونها الأولى ، حين تدحض الشمس . يعنى حين تزول .

* * *

١١ – (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما كفر بالله نبى قط » ، وأنه بعث اليه ملكان فاستخرجا من قلبه وهو صغير علقة – ثم غسلا قلبه ، ثم رداه الى مكانه ، ثم رويتم : أنه كان على دين قومه أربعين سنة ، وأنه زوج ابنتيه عتبة بن أبى لهب وأبا العاص بن الربيع ، وهما كافران . قالوا وفى هذا تناقض واختلاف ، وتنقص لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس لأحد فيه بنعمة الله متعلق ولا مقال ، اذا عرف معناه ، لأن العرب جميعا من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام خلا اليمن ، ولم يزالوا على بقايا من دين أبيهم ابراهيم صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك حج البيت وزيارته ، والختان ، والنكاح ، وايقاع الطلاق اذا كان ثلاثا ، وللزوج الرجعة فى الواحدة ، والاثنتين ، ودية النفس مائة من الابل (وتفريق الفراش فى وقت الحيض) (٧٧) والغسل من الجنابة واتباع الحكم فى المبال فى الخنثى ، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والصهر والنسب . وهذه أمور مشهورة عنهم وكانوا مع ذلك يؤمنون بالملكين الكاتبين . وقال الأعشى وهو جاهلى :

---

(٧٧) سقطت من المطبوعتين .

فلا تحسبنى كافرا لك نعمة على شاهدى يا شاهد الله فاشهد

يريد على لسانى يا ملك الله فاشهد بما أقول . ويؤمن بعضهم بالبعث والحساب . قال زهير بن أبى سلمى وهو جاهلى لم يلحق الاسلام فى قصيدته المشهورة التى تعد من السبع :

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وكانوا يقولون فى البلية ، وهى الناقة تعقل عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت : ان صاحبها يجىء يوم القيامة راكبا ، وان لم يفعل أولياؤه ذلك بعده جاء حافيا راجلا ، وقد ذكرها أبو زبيد فقال :

كالبلايا رؤوسها فى الولايا مانحات السموم حر الخدود

والولايا : البراذع . وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها فى عنق تلك الناقة فقال النابغة :

محلتهم ذات الاله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب

يريد الجزاء بأعمالهم . ومحلتهم الشام . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على دين قومه ، يراد : على ما كانوا عليه من الايمان بالله والعمل بشرائعهم فى الختان والغسل والحج والمعرفة بالبعث والقيامة والجزاء ، وكان مع هذا لا يقرب الأوثان ، ولا يعيبها . وقال : « بغضت الى » . غير أنه كان لا يعرف فرائض الله تعالى والشرائع التى شرعها لعباده على لسانه حتى أوحى اليه ، وكذلك قال الله تعالى : **« ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى »**(٧٨) . يريد : ضالا عن تفاصيل الايمان والاسلام وشرائعه فهداك الله عز وجل .

---

(٧٨) الضحى : ٦ ، ٧ .

* وكذلك قوله تعالى : «**ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان**»(٧٩). يريد ما كنت تدرى ما القرآن ولا شرائع الايمان ، ولم يرد الايمان الذى هو الاقرار ، لأن آباءه الذين ماتوا على الكفر والشرك كانوا يعرفون الله تعالى ، ويؤمنون به ، ويحجون لـه ، ويتخذون آلهـة من دونه يتقربون بها اليه تعالى وتقربهم ، فيما ذكروا منه(٨٠) ويتوقون الظلم، ويحذرون عواقبه ، ويتحالفون على الا نبغى على أحد ولا نظلم .

وقال عبد المطلب لملك الحبشة حين ساله حاجته فقال : ابل ذهبت لى ، فعجب منه كيف لم يسأله الانصراف عن البيت . فقال : ان لهـذا البيت من يمنع منه . أو كما قال . فهـؤلاء كانوا يقرون بالله تعـالى ، ويؤمنون به ، فكيف لا يكون الطيب المطهر قبل الوحى يؤمن به ؟ وهذا لا يخفى على أحـد ، ولا يذهب عليـه أن مراد الله تعـالى فى قوله « **ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان** » أن الايمان : شرائع الايمان .

(قال أبو محمد) ومعنى هذا الحديث انه كان على دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقومه هؤلاء ، لا أبو جهل وغيره من الكفار ، لأن الله تعالى حكى عن ابراهيم : « **فمن تبعنى فانه منى ، ومن عصانى فانك غفور رحيم** » (٨١) . وقال لنوح : « **انه ليس من أهلك** » (٨٢) يعنى ابنه لما كان على غير دينه .

وأما تزويجه ابنتيـه كافرين فهـذا أيضـا من الشرائع التى كان لا يعلمهـا ، وانمـا تقبح الأشـياء بالتحـريم ، وتحسن بالاطـلاق والتحليل(٨٣) . وليس فى تزويجهما كافرين قبل أن يحرم الله تعالى

(٧٩) الشورى : ٥٢ .

(٨٠) فيما ذكروا منه يعنى فيما قالوا : « **ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** » (الزمر : ٣) .

(٨١) ابراهيم : ٣٦ . (٨٢) هـود : ٤٦ .

(٨٣) فكان ابن قتيبـة يرى رأى أهل السـنة فى أن الحسن والقبح بالشرع لا بالعقل ، وسـياتى له اسـتثناء ما فطرت النفوس على استحسانه واستقباحه . كالعدل والظلم . والسلام والحرب ، وما أشبه ذلك .

عليه انكاح الكافرين ، وقبل أن ينزل عليه الوحى ما يلحق به كفرا بالله تعالى .

* * *

١٢ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مثل أمتى مثل المطر ، لا يدرى أوله خير أم آخره » ثم رويتم أن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا .

وأنه قال : « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه » . قالوا وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول انه ليس فى ذلك تناقض ولا اختلاف ، لأنه أراد بقوله : ان الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا : أن أهل الاسلام حين بدأ قليل ، وهم فى آخر الزمان قليل ، الا أنهم خيار. ومما يشهد لهذا ما رواه معاوية بن عمرو عن أبى اسحاق عن الأوزاعى عن يحيى أو عروة بن رويم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خيار أمتى أولها وآخرها ، وبين ذلك ثبج أعوج ، ليس منك ولست منه » . والثبج : الوسط .

وقد جاءت فى هذا آثار ، منها : أنه ذكر آخر الزمان فقال « المتمسك منهم يومئذ بدينه كالقابض على الجمر » . ومنها حديث آخر ذكر فيه : « أن الشهيد منهم يومئذ كشهيد بدر » . وفى حديث آخر أنه سئل عن الغرباء ، فقال : « الذين يحيون ما أمات الناس من سنتى » .

وأما قوله : « خير أمتى القرن الذى بعثت فيه » فلسنا نشك فى أن صحابته خير ممن يكون فى آخر الزمان ، وأنه لا يكون لأحد من الناس مثل الفضل الذى أوتوه . وانما قال : « مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » على التقريب لهم من صحابته ، كما يقال ما أدرى أوجه هذا الثوب أحسن أم مؤخره . ووجهه افضل ، الا انك

اردت التقريب منه . وكما تقول : ما أدرى أوجه هذه المرأة احسن ام قفاها . ووجهها أحسن ، الا انك أردت تقريب ما بينهما فى الحسن . ومثل هذا قوله فى تهـامة انهـا كبديع العسـل ، لا يدرى أوله خير ام آخره . والبديع : الزق . واذا كان العسل فى زق ولم يختلف اختـلاف اللبن فى الوطب (*) فيكون أوله خيـراً من آخـره ولكنـه يتقارب فلا يكون لأوله كبير فضل على آخره .

* * *

١٣ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تفضلونى على يونس بن متى ، ولا تخايروا بين الأنبياء » . ثم رويتم أنه قال : « انا سيد ولد آدم ولا فخـر ، وأنا أول مَن تنشق عنه الأرض ولا فخر » . قالوا وهذا اختلاف وتناقض .

* (قال أبو محمـد) ونحن نقـول : انه ليس ههنـا اختـلاف ولا تناقض ، وانما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة ، لأنه الشافع يومئذ والشهيد ، وله لواء الحمد والحوض ، وهو أول من تنشق عنه الأرض . وأراد بقوله : « لا تفضلونى على يونس » طريق التواضع ، وكذلك قول أبى بكر رضي الله عنه : « وليتكم ولست بخيركم » . وخص يونس لأنه دون غيره من الأنبياء مثـل ابراهيم وموسي وعيسي صـلى الله عليهم وسلم أجمعين . يريد : فاذا كنت لا أحب أن فضل على يونس ، فكيف غيره ممن هو فوقه(٨٤) ، وقد قال الله تعالى : « فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت »(٨٥) . أراد ان يونس لم يكن له صبر كصبر غيره من الأنبياء .

وفى هذه الآية ما دلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم

(*) الوطب : سقاء اللبن .

(٨٤) ويجوز أن يكون نهيه عن تفضيله على يونس عليـه السـلام نهى عن تفضيله على بعض الأنبياء بأسمائهم ، بل الأولى أن يقال : انه افضل الأنبياء ، لا أن يقال : انه افضل من فلان ومن فلان . فتفضيله على الجملة اليق .

(٨٥) القلم : ٤٨ .

افضل منه ، لأن الله تعالى يقول له : لا تكن مثله . ودلك على أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد بقوله : لا تفضلونى عليه طريق التواضع . ويجوز أن يريد لا تفضلونى عليه فى العمل ، فلعله أكثر عملا منى ، ولا فى البلوى والامتحان ، فانه أعظم منى محنة . وليس ما أعطى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة من السؤدد والفضل على جميع الأنبياء والرسل بعمله ، بل بتفضيل الله تعالى اياه ، واختصاصه له . وكذلك أمته أسهل الأمم محنة ، بعثه الله تعالى اليها بالحنيفية السهلة (٨٦) ، ووضع عنها الاصر والأغلال التى كانت على بنى اسرائيل فى فرائضهم وهى مع هذا خير أمة أخرجت للناس بفضل الله تعالى .

* * *

١٤ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ، ولا يدخل النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان » . ثم رويتم : « من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق » . والزنا والسرق أعظم عند الله من مثقال حبة من خردل من كبر . قالوا : وهذا اختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا اختلاف ، وهذا الكلام خرج مخرج الحكم ، يريد ليس حكم من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان أن يدخل النار ، ولا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أن يدخل الجنة ، لأن الكبرياء لله تعالى ، ولا تكون لغيره ، فاذا نازعها الله تعالى لم يكن حكمه أن يدخل الجنة ، والله تعالى يفعل بعد ذلك ما يشاء .

ومثل هذا من الكلام قولك فى دار رأيتها صغيرة : لا ينزل فى هذه

(٨٦) فى المخطوطة (السمحة) .

الدار أمير . تريد حكمها . وحكم أمثالها الا ينزلها الأمراء ، وقد يجوز أن ينزلوها . وقولك : هذا بلد لا ينزله حر . تريد ليس حكمه أن ينزله الأحرار ، وقد يجوز أن ينزلوه . وكذلك قوله : من صام الدهر ضيقت عليه جهنم ، لأنه رغب عن هدية الله تعالى وصدقته ، ولم يعمل برخصته ويسره ، والراغب عن الرخصة كالراغب عن العزم ، وكلاهما مستحق للعقوبة ان عاقبه الله عز وجل .

وكذلك قوله « **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم** »(٨٧) : أى حكمه أن يجزيه بذلك ، والله تعالى يفعل ما يشاء وهو على حديث أبى هريرة من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار .

وحدثنى اسحاق بن ابراهيم الشهيدى قال حدثنا قريش بن أنس قال سمعت عمرو بن عبيد يقول : يؤتى بى يوم القيامة فأقام بين يدى الله عز وجل ، فيقول لى : قلت ان القاتل فى النار ؟ فأقول : أنت قلته يا رب . ثم تلا هذه الآية «**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها** » فقلت له وما فى البيت أصغر منى : أرأيت ان قال لك : فانى قد قلت « **ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** »(٨٨) من أين علمت انى لا أشاء أن أغفر له ؟ قال فما استطاع ان يرد على شيئا .

* * *

١٥ ــ (قالوا حديث يبطله القرآن) قالوا رويتم أن رجلا قال لبنيه : اذا أنا مت فأحرقونى ثم اذرونى فى اليم ، لعلى أضل الله ، ففعلوا ذلك ، فجمعه الله ثم قال له : ما حملك (أو كلاما هذا معناه) على ما فعلت ؟ قال : مخافتك يا رب ، فغفر الله له . قالوا : وهذا كافر ، والله لا يغفر للكافر ، وبذلك جاء القرآن .

---

(٨٧) النساء : ٩٣ .　　(٨٨) النساء : ٤٨ .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول فى « أضـل الله » انه بمعنى افوت الله . تقول ضللت كذا وكذا وأضللته . ومنه قول الله تعالى « **فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسي** »(٨٩) أى لا يفوت ربى . وهذا رجـل مؤمن بالله ، مقر به ، خائف له ، الا أنه جهـل صفة من صفاته ، فظن انه اذا أحرق وذرى فى الريح أنه يفوت الله تعالى ، فغفر الله تعالى له بمعرفته تأنيبه ، وبمخافته من عذابه جهله بهذه الصفة من صفاته ، وقد يغلط فى صفات الله تعالى قوم من المسلمين ولا يحكم عليهم بالنـار ، بل ترجأ (٩٠) أمورهم الى من هو أعلم بهم وبنياتهم .

* * *

١٦ - (قالوا حديث يبطله القـرآن) قالوا رويتم أنه قال عليـه السلام : « من ترك قتل الحيات مخافة الثار(٩١) فقد كفر » . والله تعالى يقول : «**أن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم**»(٩٢) وهذا ان كان ذنبا فهو من الصغائر ، فكيف نكفره (٩٣) وأنتم تروون من زنا ومن سرق اذا قال لا اله الا الله فهو مؤمن ، وهو فى الجنة ثم تكفرون بترك قتل الحيات . وفى هذا اختلاف وتناقض .

* (قال أبو محمـد) ونحن نقـول : انه ليس ههنا اختـــلاف ولا تناقض ، ولم يكن القصـد لترك قتـل الحيـات ، ولا أن ذلك يكون عظيما من الذنوب يخرج به الرجل الى الكفر ، وانما العظيم أن يتركها خشية الثار . وكان هذا أمرا من أمور الجاهلية ، وكانوا يقولون : ان الجن تطلب بثار الجان اذا قتـل ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بخبل ، وربما قتلت ولده ، فأعلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

---

(٨٩) طـــه : ٥٢ . (٩٠) ترجأ : تؤخر .

(٩١) فى المخطوطة (خشية الثار) .

(٩٢) النساء : ٣١ .

(٩٣) فى المخطـوطة (فكيف لا نكفره) . أى لا نغفره . وما هـو ثابت معناه : كيف نحكم عليه بالكفر .

هذا باطل ، وقال : من صدق بهـذا فقـد كفر ، يريد بما أتينـا به من بطلانه .

والكفر عندنا صنفان : أحدهما الكفر بالأصل ، كالكفر بالله تعالى أو برسله أو ملائكته أو كتبه أو بالبعث ، وهذا هو الأصل الذى من كفر بشيء منه فقد خرج عن جملة المسـلمين ، فان مات لم يرثه ذو قرابتـه المسلم(٩٤) ولم يصل عليه . والآخر الكفر بفرع من الفروع على تأويل ، كالكفر بالقـدر ، والانكار للمسـح على الخفين ، وترك ايقـاع الطلاق الثلاث ، وأشباه هذا . وهذا لا يخرج به عن الاسلام ولا يقال لمن كفر بشيء منه كافر ، كما أنه يقال للمنافق آمن ، ولا يقال مؤمن .

* * *

١٧ - (وقال حـديث يكذبه النظر والعيـان والخبر والقرآن) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليـه وسلم قال : « منبرى هـذا على ترعة من ترع الجنة » ، و « ما بين قبرى ومنبرى روضـة من رياض الجنـة » . والله عـز وجـل يقول : « **سـدرة المنتهى . عندها جنـة المأوى** »(٩٥) . ويقول تعالى « **وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** »(٩٦) ورويتم فى غير حديث : أن الجنة فى السماء السابعة . قالوا : وهذا اختلاف وتناقض .

* (قال أبو محمـد) ونحن نقـول : انه ليس ههنـا اختـلاف ولا تناقض ، فانه لم يرد بقوله ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة : أن ذلك بعينه روضة ، وانما أراد أن الصلاة فى هذا الموضع والذكر فيه يؤدى الى الجنة ، فهو قطعة منها ، ومنبرى هذا هو على ترعة من ترع الجنة ، والترعة باب المشرعة الى الماء ، أى انما هـو باب الى الجنة .

(٩٤) فى المخطوطة (ذوو قرابة من المسلمين) .
(٩٥) النجم : ١٤ ، ١٥ . (٩٦) آل عمران : ١٣٣ .

(قال أبو محمد) وحدثنا أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفره عن أيوب بن خالد الأنصارى قال قال جابر بن عبد الله الأنصارى : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ارتعوا فى رياض الجنة . قالوا : وأين رياض الجنة يارسول الله ؟ قال : مجالس الذكر » . وهذا كما قال فى حديث آخر : « عائد المريض على مخارف الجنة » والمخارف الطرق ـ واحدها مخرفة .

ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : تركتكم على مثل مخرفة النعم ـ أى طريقها . وانما أراد أن عيادة المريض تؤدى الى الجنة . فكأنه طريق اليها . وكذلك مجالس الذكر تؤدى الى رياض الجنة ، فهى منها . وكذلك قول عمار بن ياسر : « الجنة تحت البارقة » . يعنى السيوف « والجنة تحت ظلال السيوف » . يريد أن الجهاد يؤدى الى الجنة ، فكأن الجنة تحته .

وقد يذهب قوم الى أن ما بين قبره ومنبره حذاء روضة من رياض الجنة ، وأن منبره حذاء ترعة من ترع الجنة ، فجعلهما من الجنة اذ كانا فى الأرض حذاء ذينك فى السماء . والأول أحسن عندى والله أعلم .

* * *

١٨ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأئمة من قريش » ورويتم أن أبا بكر الصديق احتج بذلك على الأنصار يوم سقيفة بنى ساعدة ، ثم رويتم عن عمر رضي الله عنه أنه قال عند موته : « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما تخالجنى فيه الشك » . وسالم ليس مولى لأبى حذيفة ، وانما هو مولى لامرأة من الأنصار وهى أعتقته وربته ، ونسب الى أبى حذيفة بحلف ، فجعلتم الامامة تصلح لموالى الأنصار ، ولو كان مولى لقريش لأمكن أن تحتجوا بأن مولى القوم منهم ، ومن أنفسهم . قالوا : وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذا القول تناقض ، وانما كان يكون تناقضا لو قال عمر : لو كان سالم حيا ما تخالجنى الشك فى توليته عليكم ، أو فى تأميره . فأما قوله ما تخالجنى الشك فيه ، فقد يحتمل غير ما ذهبوا اليه . وكيف يظن بعمر رضي الله عنه أنه يقف فى خيار المهاجرين والذين شهد لهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالجنة ، فلا يختار منهم ، ويجعل الأمر شورى بينهم ، ولا يتخالجه الشك فى توليته سالما عليهم رضي الله عنه . هذا خطأ من القول وضعف فى الرأى .

ولكن عمر لما جعل الأمر شورى بين هؤلاء ، ارتاد للصلاة من يقوم بها الى أن يختاروا الامام منهم ، وأجلهم فى الاختيار ثلاثا ، وأمر عبد الله ابنه أن يأمرهم بذلك ، فذكر سالما ، فقال : لو كان حيا ما تخالجنى فيه الشك . وذكر الجارود العبدى فقال : لو كان أعيمش بنى عبد القيس حيا لقدمته . وقوله لقدمته دليل على أنه أراد فى سالم مثل ذلك من تقديمه للصلاة بهم ، ثم أجمع على صهيب الرومى فأمره بالصلاة الى ان يتفق القوم على اختيار رجل منهم .

* * *

١٩ — (قالوا حديث يكذبه النظر والخبر) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان الشمس تطلع مرتين من بين قرنى شيطان ، فلا تصلوا لطلوعها » . قالوا فجعلتهم للشيطان قرونا تبلغ السماء ، وجعلتم الشمس التى هى مثل الأرض مرات تجرى بين قرنيه ، وأنتم مع هذا تزعمون ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، فهو فى هذه الحال ألطف من كل شيء ، وهو فى تلك الحال أعظم من كل شيء ، وجعلتم علة ترك الصلاة فى وقت طلوع الشمس طلوعها من بين قرنيه ، وما على المصلى لله تعالى اذا جرت الشمس بين قرنى الشيطان . وما فى هذا مما يمنع من الصلاة لله تعالى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان انكارهم لهذا الحديث ان

كان من أجل أنهم لا يؤمنون بخلق الشياطين والجن ، وبأن الله تعالى جعل فى تركيبها أن تتحول من حال الى حال ، فتتمثل مرة فى صورة شيخ ، ومرة فى صورة شاب ، ومرة فى مثال نار ، ومرة فى مثال كلب ، ومرة فى مثال جان ، ومرة تصل الى السماء ، ومرة تصل الى القلب ، ومرة تجرى مجرى الدم ، فهؤلاء مكذبون بالقرآن ، وبما تواطأت عليه الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والأنبياء المتقدمين ، وكتب الله تعالى المتقدمة ، والأمم الخالية ، لأن الله تعالى قد أخبرنا فى كتابه أن الشياطين يقعدون من السماء مقاعد للسمع ، وانهم يرمون بالنجوم ، وأخبرنا الله تعالى عن الشيطان أنه قال « **ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله** »(٩٧) وهو لا يظهر لنا ، فكيف يامرنا بهذه الأشياء لولا أنه يصل الى القلوب بالسلطان الذى جعله الله تعالى له ، فيوسوس بذلك ، ويزين ويمنى ، كما قال الله جل وعز ، وكما روى فى الحديث أنه رئى مرة فى صورة شيخ نجدى ، ومرة فى صورة ضفدع ، ومرة فى صورة جان ، وقد سمى الله تعالى الجن رجالا كما سمانا رجالا فقال تعالى « **وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن** »(٩٨) وقال فى الحور العين « **لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان** »(٩٩) فدل ذلك على أن الجن تطمث كما يطمث الانس ، والطمث : الوطء بالتدمية(١٠٠) .

* (قال أبو محمد) ونحن لم نسرد فى هذا الكتاب أن نرد على الزنادقة ، ولا المكذبين بآيات الله عز وجل ورسله ، وانما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين الى المسلمين . وان كان انكاره لهذا الحديث لأنه رآه لا يقوم فى وهمه ، ولأنه لا معنى لترك الصلاة من أجل أن الشمس تطلع بين قرنى شيطان ، فنحن نريه المعنى حتى يتصور فى وهمه له باذن الله تعالى ، ويحسن عنده ، ولا يمتنع على نظره .

---

(٩٧) النساء : ١١٩ . (٩٨) الجن : ٦ .

(٩٩) الرحمن : ٥٦ ، ٧٤ .

(١٠٠) اى بظهور الدم كما فى وطء الأبكار .

وانما أمرنا بترك الصلاة مع طلوع الشمس لأنه الوقت الذى كانت فيه عبدة الشمس يسجدون فيه للشمس • وقد درج كثير من الأمم السالفة على عبادة الشمس • والسجود لها ، فمن ذلك ما قص الله تبارك وتعالى علينا فى نبأ ملكة سبأ أن الهدهد قال لسليمان عليه السلام انى « **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم** »(١٠١) • وكان فى العرب قوم يعبدون الشمس ويعظمونها ويسمونها الالاهة قال الأعشي :

فلم أذكر الرهب حتى انفتلت   قبيل الالاهة منها قريبا

يعنى الشمس • وكان بعض القراء يقرأ « **أتذر موسي وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك والهتك** »(١٠٢) يريد ويذرك والشمس التى تعبد • فكره لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصلى فى الوقت الذى يسجد فيه عبدة الشمس للشمس ، وأعلمنا أن الشياطين حينئذ أو أن ابليس فى ذلك الوقت فى جهة مطلع الشمس ، فهم يسجدون له بسجودهم للشمس ويؤمونه • ولم يرد بالقرن ما تصوروا فى انفسهم من قرون البقر وقرون الشاء ، وانما القرن ههنا حرف الرأس ، وللرأس قرنان ، أى حرفان وجانبان • ولا أرى القرن الذى يطلع فى ذلك الموضع سمى قرنا الا باسم موضعه ، كما تسمى العرب الشىء باسم ما كان له موضعا أو سببا فيقولون : رفع عقيرته • يريدون صوته ، لأن رجلا قطعت رجله فرفعها واستغاث من أجلها فقيل لمن رفع صوته رفع عقيرته • ومثل هذا كثير فى كلام العرب •

*وكذلك قوله فى المشرق : من ههنا يطلع قرن الشيطان ، لا يريد به ما يسبق الى وهم السامع من قرون البقر ، وانما يريد من ههنا يطلع رأس الشيطان • وكان وهب بن منبه يقول فى ذى القرنين : انه رجل من أهل الاسكندرية واسمه الاسكندروس ، وانه كان حلم حلما رأى فيه أنه

---

(١٠١) النمل : ٢٤ •   (١٠٢) الأعراف : ١٢٧ •

دنا من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقها وغربها ، فقص رؤياه على قومه ، فسموه ذا القرنين · وأراد بأخذه بقرنيها أنه أخـــذ بجانبيها والقرون أيضا خصل الشعر ، كل خصلة قرن ، ولذلك قيــل للروم ذات القرون ، يراد أنهم يطولون الشعور ، فأراد صلى اللــه عليــه وسلم أن يعلمنا أن الشيطان فى وقت طلوع الشمس وعند سجود عبدتها لها مائل مع الشمس ، فالشمس تجرى من قبل رأسه ، فأمرنا أن لا نصلى فى هذا الوقت الذى يكفر فيــه هؤلاء ويصلون للشمس وللشيطان ، وهذا أمــر مغيب عنا لا نعلم منه الا مـــا علمنا ، والذى أخبرتك بــه شىء يحتمله التأويل ويباعده عن الشناعة والله أعلم ·

* ولم يأت أهـــل التكذيب بهذا وأشباهه الا لردهم الغائب عنهم الى الحاضر عندهم ، وحملهم الأشياء على ما يعرفون من أنفسهم ، ومن الحيوان والموات ، واستعمالهم حكم ذوى الجثث فى الروحانيين · فاذا سمعوا بملائكة على كواهلها العــرش وأقدامهـــا فى الأرض السفلى ، استوحشوا من ذلك لمخالفته ما شاهدوا ، وقالوا : كيف تخرق جثث هؤلاء السموات وما بينها ، والأرضين وما فوقها ، من غير أن نرى لذلك أثرا ؟ وكيف يكون خلق لــه هذه العظمة ؟ وكيف تكون أرواحا ولهـــا كواهــل وأقدام ؟ واذا سمعوا بأن جبريل عليه السلام مرة أتى النبى صلى اللــه عليه وسلم فى صورة أعرابى ، ومرة فى صورة دحية الكلبى ، ومرة فى صورة شاب ، ومرة سد بجناحيه ما بين المشرق والمغرب ، قالوا : كيف يتحول من صورة الى صورة ؟ وكيف يكون مرة فى غاية الصغر ؟ ومرة فى غاية الكبر من غيـــر أن يزاد فى جسمه ولا جثته وأعراضه ؟ لأنهم لا يعانون الا ما كان كذلك ·

واذا سمعوا بأن الشيطان يصل الى قلب ابن آدم حتى يوسوس له ويخنس ، قالوا : من أين يدخل ؟ وهل يجتمع روحان فى جسم ؟ وكيف يجرى مجرى الدم ؟

✻ (قال أبو محمد) ولو اعتبروا ما غاب عنهم بما رأوه من قدرة الله جل وعز لعلموا أن الذى قدر على أن يفجر مياه الأرض كلها الى البحر منذ خلق الله الأرض وما عليها ، فهى تقضي اليه من غير أن يزيد فيه أو ينقص منه ، ولو جعل لنهر منها مثل دجلة أو الفرات أو النيل سبيل الى ما على وجه الأرض من المدائن والقرى والعمارات والخراب شهرا لم يبق على ظهرها شيء الا هلك ، هو الذى قدر على ما أنكروا .

وأن الذى قدر أن يحرك هذه الأرض على عظمها وكثافتها وبحارها وأطوادها وانهارها حتى تتصدع الجبال ، وحتى تغيض المياه ، وحتى ينتقل جبل من مكان الى مكان ، هو الذى لطف لما قدر . وأن الذى وسع انسان العين مع صغره وضعفه لادراك نصف الفلك على عظمه ، حتى رأى النجم من المشرق ورقيبه من المغرب وما بينها ، وحتى خرق من الجو مسيرة خمسمائة عام ، هو الذى خلق ملكا ما بين شحمه أذنه الى عاتقه مسيرة خمسمائة عام ، فهل ما أنكر الا بمنزله ما عرف ؟ وهل ما رأى الا بمنزلة ما لم يره ؟ فتعالى الله أحسن الخالقين .

✻ ✻ ✻

٢٠ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه » . ثم رويتم « الشقى من شقى فى بطن أمه ، والسعيد من سعد فى بطن أمه ، وأن النطفة اذا انعقدت بعث الله عز وجل اليها ملكا يكتب أجله ورزقه ، وشقى أو سعيد . وأنه مسح على ظهر آدم فقبض قبضة فقال : الى الجنة برحمتى ، وقبض أخرى فقال الى النار ولا أبالى » . قالوا وهذا تناقض واختلاف ، فرق بين المسلمين ، واحتج به أهل القدر وأهل الاثبات .

✻ (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا تناقض ولا اختلاف بنعمة الله تعالى . ولو عرفت المعتزلة ما معناه ما فارقت المثبتة ان لم يكن الاختلاف الا لهذا الحديث .

والفطرة ههنا الابتداء والانشاء ، ومنه قوله تعالى « **الحمد لله فاطر السموات والأرض** »(١٠٣) أى مبتدئهما وكذلك قوله « **فطرة الله التى فطر الناس عليها** »(١٠٤) يريد جبلته التى جبل الناس عليها ، وأراد بقوله : كل مولود يولد على الفطرة أخذ الميثاق الذى أخذ عليهم فى أصلاب آبائهم وأشهدهم على أنفسهم « **ألست بربكم ، قالوا بلى** »(*) فلست واجدا أحدا الا وهو مقر بأن له صانعا ومدبرا ، وان سماه بغير اسمه ، أو عبد شيئا دونه ، ، ليقربه منه عند نفسه أو وصفه بغير صفته ، او اضاف اليه ما تعالى عنه علوا كبيرا ، قال الله تعالى « **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** »(١٠٥) فكل مولود فى العالم على ذلك العهد والاقرار ، وهى الحنيفية التى وقعت فى أول الخلق ، وجرت فى فطر العقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تبارك وتعالى: « انى خلقت عبادى جميعا حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم » ثم يهود اليهود أبناءهم ، ويمجس المجوس أبناءهم ، أى يعلمونهم ذلك .

وليس الاقرار الأول مما يقع به حكم أو عليه ثواب . ألا ترى أن الطفل من أطفال المشركين ما كان بين ابويه فهو محكوم عليه بدينهما ، لا يصلى عليه ان مات ، ثم يخرج عن كنفهما الى مالك من المسلمين فيحكم عليه بدين مالكه ، ويصلى عليه ان مات ، ومن وراء ذلك علم الله تعالى فيه . وفرق ما بين أهل القدر وأهل الاثبات فى الحديث : أن الفطرة عند أهل القدر الاسلام فتناقض عندهم الحديثان والفطرة عند أهل الاثبات العهد الذى أخذ عليهم حين فطروا ، فاتفق الحديثان ولم يختلفا وصار لكل واحد منهما موضع .

* * *

٢١ — (قالوا حديث يفسد أوله آخره) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا قام أحدكم من منامه فلا يغمس يده فى

(١٠٣) فاطر : ١ .
(١٠٤) الروم : ٣٠ .
(*) الأعراف : ٧٢ .
(١٠٥) الزخرف : ٨٧ .

الاناء حتى يغسلها ثلاثا ، فانه لا يدرى أين باتت يده » . قالوا وهذا الحديث جائز لولا قوله « فانه لا يدرى أين باتت يده » . وما منا احد الا وقد درى أن يده باتت حيث بات بدنه ، وحيث باتت رجله وأذنه وانفه وسائر أعضائه ، وأشد الأمور أن يكون مس بها فرجه فى نومه ، ولو أن رجلا مس فرجه فى يقظته لما نقض ذلك طهارته ، فكيف بأن يمسه وهو لا يعلم ، والله لا يؤاخذ الناس بما لا يعملون ، فان النائم قد يهجر(١٠٦) فى نومه فيطلق ويكفر ويفترى ، ويحتلم على امراة جاره ، وهو عند نفسه فى نومه زان ، ثم لا يكون بشىء من ذلك مؤاخذا فى أحكام الدنيا ولا فى احكام الآخرة .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا النظار علم شيئا وغابت عنه أشياء . اما علم أن كثيرا من أهل الفقه قد ذهبوا الى أن الوضوء يجب من مس الفرج فى المنام واليقظة بهذا الحديث وبالحديث الآخر « من مس فرجه فليتوضأ » وان كنا نحـن لا نذهب الى ذلك ، ونرى أن الوضوء الذى أمر به من مس فرجه غسل اليد ، لأن الفروج مخارج الحدث والنجاسات . وكذلك الوضوء عندنا مما مست النار انما هـو غسل اليد من الزهم(١٠٧) والأطبخة والشواء . وقد بينا ذلك فى غير موضع وأتينا بالدلائل عليه .

* فاذا كان الوضوء من مس الفرج هو غسل اليدين تبين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر المستيقظ من منامه أن يغسل يده قبـل أن يدخلها الاناء ، لأنه لا يدرى أين باتت يده ، يقول لعله فى منامه مس بها فرجه أو دبره ، وليس يؤمن أن يصيب يده قاطر بول أو بقية منى ان كان جامع قبل المنام ، فاذا أدخلها فى الاناء قبل أن يغسلها انجس الماء وأفسده ، وخص النائم بهذا لأن النائم قد تقع يده على هذه المواضع وعلى دبره وهو لا يشعر . فأما اليقظان فانه اذا لمس شيئا من هذه المواضع فاصاب يده منه أذى علم به ، ولم يذهب عليه ، فغسلها قبل أن يدخلها فى الاناء أو يأكل أو يصافح .

* * *

(١٠٦) يهجر . أى يقول هجرا من الكلام . أى هذيانا .
(١٠٧) الزهم والزهومة : ريح الدسم .

٢٢ - (قالوا حديث يفسد أوله آخره) قالوا رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة فى أعطان الابل ، لأنها خلقت من الشياطين . ونهيه عن الصلاة فى أعطان الابل لا ينكر ، وهو جائز فى التعبد ، فلما وصلتم ذلك بأنها خلقت من الشياطين علمنا أن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أن الابل خلقت من الابل ، كما أن البقـــر خلقت من البقر ، والخيل من الخيل ، والأسد من الأسد ، والذباب من الذباب .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان النبى صلى الله عليـه وسلم وغير النبى يعلم أن البعير تلده الناقة ، وأنه لا يجوز أن تكون شيطانة تلد جملا ، ولا أن ناقة تلد شيطانا ، وانما أعلمنا انها فى أصل الخلقة خلقت من جنس خلقت منه الشياطين .

* ويدلك على ذلك قوله فى حديث آخر : « انها خلقت من أعنان الشياطين » يريد من جوانبها ونواحيها ، كما يقال بلغ فلان أعنـان السماء أى نواحيها وجوانبها ، ولو كانت من نسلها لقال : فانها خلقت من نسلها أو بطونها أو أصلابها أو ما يشبه هذا .

* ولم تزل العرب تنسب جنسا من الابل الى الحوش ، فتقول: ناقة حوشية ، وابل حشية ، وهى أنفر الابل وأصعبها ، ويزعمون أن للجن نعما ببلاد الحوش (١٠٨) وانها ضربت فى نعم الناس فنتجت هذه الحوشية ، قال رؤبة :

* جرت رحانا (١٠٩) من بلاد الحوش *

وقد يجوز على هذا المذهب أن تكون فى الأصل من نتـــاج نعم الجن لا من الجن انفسها ، ولذلك قال « من أعنان الشياطين » أى من

---

(١٠٨) بلاد الحوش وراء رمل يبرين . يزعمون انها بلاد الجن ، فلا يمر بها أحد من الناس ، او انها حى من أحياء الجن . وقد جاءت فى شعر رؤبة بن العجاج . ومنه ابل حوشية أى متوحشة . وزعموا انها ابل الجن . انظر معجم البلدان مادة (ح وش) .

(١٠٩) الرحا هنا : الابل الكثيفة .

نواحيها ، وهذا شيء لا ينكره الا من أنكر الجن انفسها والشياطين ، ولم يؤمن الا بما رأته عينه ، وأدركته حواسه ، وهو من عقد قوم من الزنادقة والفلاسفة يقال لهم الدهرية ، وليس من عقد المسلمين .

***

٢٣ ـ (قالوا حديث يفسد بعضه بعضا) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ، ولكن اقتلوا منها كل أسود بهيم » . وقال « الأسود شيطان » . قالوا : فكأنه انما قتله لأنه أسود أو لأنه شيطان ، مع عفوه عن جماعة الكلاب ، لأنها أمة ، وليس فى كونها أمة علة تمنع من القتل ولا توجبه . قالوا : ثم رويتم أنه عليه السلام أمر بقتل الكلاب حتى لم يبق بالمدينة كلب . فكيف قتلها وهى أمة أولا يمنعه ذلك من قتلها ؟ قالوا وقد صارت العلة التى عفا عنها هى العلة التى قتلها لها .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان كل جنس خلقه الله تعالى من الحيوان أمة ، كالكلاب والأسد والبقر والغنم والنمل والجراد وما أشبه هذا ، كما أن الناس أمة ، وكذلك الجن أمة ، يقول الله تعالى: **« وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم »**(١١٠) . يريد أنها مثلنا فى طلب الغداء والعشاء وابتغاء الرزق وتوقى المهالك . وكذلك الجن قد خاطبهم الله تعالى كما خاطبنا ، اذ يقول **« يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم »**(١١١) . ولو أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب على كل حال لأفنى أمة وقطع أثرها ، وفى الكلاب منافع للناس فى حراسة منازلهم وحفظ نعمهم وحرثهم ، مع الارتفاق بصيدها ، فان كثيرا من الأعراب ونازلة القفر لا غذاء لهم ولا معاش الا بها ، والله تعالى يقول : **« فكلوا مما أمسكن عليكم »**(١١٢) . وفى ذلك دليل على أنه تعالى خلقها لمنافعنا .

وقد كان أبو عبيدة يذكر أن رجلين سافرا ومع أحدهما كلب له

(١١٠) الأنعام : ٣٨ . (١١١) الأنعام : ١٣٠ .
(١١٢) المائدة : ٤ .

فوقع عليهما اللصوص ، فقاتل أحدهما حتى غلب واخذ فدفن وترك رأسه بارزا ، وجاءت الغربان وسباع الطير فجامت حـــوله تريد أن تنهشه وتقلع عينيـــه ، ورأى ذلك كلب كان معـــه ، فلم يزل ينبش التراب عنه حتى استخرجه ، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه وأسلمه(١١٣) قال : ففي ذلك يقول الشاعر :

يعرد (١١٤) عنه جاره ورفيقه ... وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

وليس لشيء من الحيوان مثل محاماته على اهله وذبه عنهم ، مع الاساءة اليه والطرد والضرب . والأخبار عن الكلاب في هذا كثيرة صحاح ، ونكره الاطالة بذكرها . وليست تخلو الكلاب من أن تكون أمة من أمم السباع ، أو تكون أمة من الجـــن كما قال ابن عبـــاس « الكلاب أمة من الحن(١١٥) ، وهي ضعفه الجن ، فاذا غشيتكم عند طعامكم فالقوا لها ، فان لها انفسا » . يعني : أن لها عيونا تصيب بها ، والنفس العين ، يقال أصابت فلانا نفس أي عين . وقال أيضا : « الجان مسيخ الجن كما مســـخت القـــردة من بني اسرائيل » . ولا يبعد أيضا أن تكون الكلاب كذلك .

وهذه أمور لا تدرك بالنظر والقياس والعقول ، وانما ينتهى فيها الى ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو ما قاله من سمع منه وشاهده ، فانهم لا يقضون على مثله الا بسماع منه ، أو سماع ممن سمعه ، أو بخبر صادق من خبر الكتب المتقدمـــة وليس هو من أمور الفرائض والسنن ، وليس علينا وكف(١١٦) ولا نقص من أن تكون الكلاب من السباع أو الجن أو الممسوخ .

فان كانت من السباع فانما امر بقتل الأسود منها ، وقال : هو شيطان ، لأن الأسود البهيم منها أضرها وأعقرها ، والكلب أليه أمرع منه الى جميعها ، وهو مع هذا أقلها نفعا ، وأسواها حرامة ، وأبعدها

---

(١١٣) أسلمه : خذله . (١١٤) يعرد : يهرب .

(١١٥) الحن بالحاء المهملة : سفلة الجن وضعفاؤهم ، أوهم خلق بين الانس والجن .

(١١٦) الوكف : العيب .

من الصيد ، وأكثرها نعاسا . وقال : هو شيطان ، يريد أنه أخبثها ، كما يقال فلان شيطان ، وما هو الا شيطان مارد ، وما هو الا أسد عاد ، وما هو الا ذئب عاد . يراد أنه شبيه بذلك .

وان كانت الكلاب من الجن أو كانت ممسوخا من الجن ، فانما أراد أن الأسود منها شيطانها ، فاقتلوه لضره ، والشيطان هو مارد الجن . والجن هم الضعفة والحن أضعف من الجن(١١٧) .

وأما قتله كلاب المدينة فليس فيه نقض لقوله : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها » لأن المدينة فى وقته صلى الله عليه وسلم مهبط وحى الله تعالى مع ملائكته ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة . كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنى محمد بن خالد بن خداش قال حدثنى مسلم بن قتيبة عن يونس بن أبى اسحق عن مجاهد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال لى جبريل عليه السلام : « لم يمنعنى من الدخول عليك البارحة الا أنه كان على باب بيتك ستر فيه تصاوير ، وكان فى بيتك كلب ، فمر به فليخرج » . وكان الكلب جروا للحسن والحسين تحت نضد لهم . وهذا دليل على أنها كما تكره الكلاب فى البيوت تكرهها أيضا فى المصر ، فامر النبى صلى الله عليه وسلم بقتلها أو بالتخفيف منها فيما قرب منها ، وأمسك عن سائرها مما بعد من مهبط الملائكة ومنزل الوحى .

* (قال أبو محمد) النضد السرير لأن الثياب تنضد فوقه .

* * *

٢٤ - (قالوا حديث يفسد وله آخره) قالوا رويتم أنه قال : « خمس فواسق يقتلن فى الحل والحرم - الغراب والحداة والكلب والحية والفارة » . قالوا فلو قال اقتلوا هذه الخمسة وخمسة معها لجاز ذلك فى التعبد فأما أن تقتل لأنها فواسق فهذا لا يجوز ، لأن الفسق والهدى لا يجوز على شىء من هذه الأشياء ، والهوام والسباع

---

(١١٧) فى المخطوطة (والجان أضعف من الشيطان) . وهو معنى مستقيم.

والطير غير الشياطين ، وغير الجن والانس الذين يكون منهم الفسق والهداية .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان المعتقد أن الهوام والسباع والطير لا يجوز عليها عصيان ولا طاعة مخالف لكتاب الله جل وعز وانبيائه ورسله وكتب الله المتقدمة ، لأن الله تعالى قد أخبرنا عن نبيه سليمان عليه السلام أنه تفقد الطير « **فقال ما لى لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين . لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتينى بسلطان مبين** »(١١٨) أى بعذر بين ، وحجة فى غيبته وتخلفه . ولا يجوز ان يعذبه الا على ذنب ومعصية ، والذنوب والمعاصي تسمى فسوقا ، وما جاز أن يسمى عاصيا جاز أن يسمى فاسقا . ثم حكى الله تعالى عن الهدهد بعد ان اعتذر الى سليمان فقال : « **أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين . انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون . الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون** »(١١٩) . وهذا لو كان من أقاويل الحكماء بل لو كان من كلام الأنبياء لكان كلاما حسنا ، وعظة بليغة ، وحجة ، فكيف لا يجوز على هذا مطيع وعاص وفاسق ومهتد .

وقد حكى الله تعالى أيضا عن النمل ما حكاه فى هذه السورة فقال« **وورث سليمان داود ، وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير** »(١٢٠) فجعلها تنطق كما ينطق الناس . وقال : « **حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل** » (١٢١) . الآية . فجعلها تنطق كما ينطق الناس وقال : « **وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم** »(١٢٢) . وقال : « **يا جبال أوبى معه والطير** »(١٢٣) . أى سبحى .

* (قال أبو محمد) وقرأت فى التوراة أن نوحا صلى الله عليه وسلم لما كان بعد أربعين يوما فتح كوة الفلك التى صنع ، ثم أرسل

---

(١١٨) النمل : ٢٠ ، ٢١
(١١٩) النمل : ٢٢ - ٢٥ .
(١٢٠) النمل : ١٦ .
(١٢١) النمل : ١٨ .
(١٢٢) الاسراء : ٤٤ .
(١٢٣) سبأ : ١٠ .

الغراب فخرج ولم يرجع حتى يبس الماء على وجه الأرض ، وأرسل الحمامة مرة بعد مرة فرجعت حين أمست وفى منقارها ورقة زيتون ، فعلم أن الماء قد قل عن وجه الأرض ، فدعا الله تعالى لها بالطوق فى عنقها ، والخضاب فى رجليها .

* (قال أبو محمد) وقرأت أيضا فى التوراة أن الله جل وعز قال لآدم حين خلقه : كل ما شئت من شجر الفردوس ، ولا تأكل من شجرة علم الخير والشر ، فانك يوم تأكل منها تمـوت . يريد انك تتحول الى حال من يموت . وكانت الحية أعزم(١٢٤) دواب البر ، فقالت للمرأة : انكما لا تموتان ان اكلتما منها ، ولكن أعينكما تنفتح وتكونان كالالاهة تعلمان الخير والشر ، فاخذت المرأة من ثمرتها فاكلت وأطعمت بعلها ، فانفتحت أبصارهما ، وعلما أنهما عريانان ، فوصلا من ورق التين واصطفاه ازارا ، ثم سمعا صوت الله تعالى فى الجنـة حين تورك(١٢٥) النهار ، فاختبأ آدم وامرأته فى شجر الجنـة ، فدعاهما فقال آدم : سمعت صـوتك فى الفردوس ورأيتنى عـريانا فاختبأت منك . فقال : ومن أراك أنك عريان ؟ لقد أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها . فقال : ان المرأة أطعمتنى . وقالت المرأة : ان الحية أطغتنى . فقال الله جل وعز للحية : من أجل فعلك هذا فأنت ملعونة ، وعلى بطنك تمشين ، وتاكلين التراب ، وساغرى بينـك وبين المرأة وولدها ، فيكون يطأ راسك وتكونين أنت تلدغينه بعقبه . وقال للمرأة: وأما أنت فاكثر أوجاعك واحبالك ، وتلدين الأولاد بالألم ، وتردين الى بعلك حتى يكون مسلطا عليك . وقال لآدم صلى الله عليه وسلم : ملعونة الأرض من أجلك ، وتنبت الحاج(١٢٦) والشوك ، وتأكل منها بالشقاء ورشح جبينك ، حتى تعود الى التراب من أجل أنك تراب .

* (قال أبو محمد) افأما ترى أن الحية أطغت واختدعت فلعنها الله تعالى ، وغير خلقها ، وجعل التراب رزقها ؟ أفما يجوز أن تسمى هذه فاسقة وعاصية ؟ وكذلك الغراب بمعصيته نوحا صلى الله عليه وسلم ؟

(١٢٤) من أعزمها : أى أشدها عزما .

(١٢٥) تورك النهار : انبسط .

(١٢٦) الحاج كما فى النهاية ضرب من الشوك . واحده حاجة .

ويرى أهل النظر أنه انما سمى غراب البين لأنه بان عن نوح عليه السلام فذهب ، ولذلك تشاءموا به ، وزجروا فى نعيقه بالفراق والاغتراب ، واستخرجوا من اسمه الغربة ، وقالوا : قذفته نوى غربة ، وهذا شاء مغرب ، وهذه عنقاء مغرب ، أى جائية من بعد . يعنون العقاب وكل هذا مشتق من اسم الغراب لمفارقته نوحا صلى الله عليه وسلم ومباينته .

* (قال أبو محمد) ومن الدليل أيضا حديث محمد بن سنان العوقى عن عبدالله بن الحارث بن أبزى المكى عن أمه زائطة بنت مسلم عن أبيها أنه قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا فقال لى: « ما اسمك ؟ قلت : غراب .. فقال : أنت مسلم » . كره أن يكون اسمه غرابا لفسق الغراب ومعصيته فسماه مسلما ، ذهب الى ضد معنى الغراب ، لأن الغراب عاص ، والمسلم مطيع ، مأخوذ من الاستسلام ، وهو الانقياد والطاعة . وكان عليه السلام يحب الاسم الحسن ويكره الاسم القبيح على ما قدمنا من القول فى هذا الكتاب .

* ولو أنا تركنا هذا المذهب الذى عليه المسلمون فى تجويز الطاعة والمعصية على الحية والغراب والفارة الى ما يجوز فى كلام العرب وفى اللغة ، لجاز لنا أن نسمى كل واحد من هذه فاسقا ، لأن الفسق الخروج على الناس والازدراء(١٢٧) عليهم . يقال : فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها ، وكل خارج عن شيء فهو فاسق ، قال الله تعالى : « **الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** »(١٢٨) . أى خرج عن أمر ربه وطاعته . فالحية تخرج على الناس من جحرها ، فتعبث بطعام الناس وتنهش وتكرع فى شرابهم وتمج فيه ريقها . والفارة أيضا تخرج من جحرها ، فتفسد أطعمتهم وتقرض ثيابهم وتضرم بالذبالة على أهل البيت بيتهم ، ولا شيء من حشرات الأرض أعظم منها ضررا . والغراب يقع على داء البعير الدبر(١٢٩) فينقره حتى

---

(١٢٧) فى المطبوعتين (والايذاء) .

(١٢٨) الكهف : ٥٠ .

(١٢٩) البعير الدبر : الذى به قرحة .

يقتله ، ولذلك تسميه العـرب ابن داية . وينزع عن الخيـر ويختلس أطعمة الناس . والكلب يعقر ويجرح ، وكذلك السباع العادية ، وكل هذه قـد يجوز أن تسمى فواسـق ، لخروجها على الناس واعتراضها بالمضار عليهم ، فأين كانوا عن هذا المخرج اذ قبح عندهم أن ينسبوا شيئا من هذه الى طاعة أو معصية .

* * *

٢٥ ـ (قالوا حديث يكذبه النظر) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى ودرعه مرهونة عند يهودى بأصواع من شعير . فياسبحان الله ، أما كان فى المسلمين مواس ولا مؤثر ولا مقرض ، وقد أكثر الله عـز وجـل الخير ، وفتح عليهم البلاد ، وجبوا ما بين أقصي اليمن الى أقصي البحرين وأقصي عمان ثم بياض نجد والحجاز ، وهذا مع أموال الصحابة كعثمان وعبد الرحمن وفلان وفلان فأين كانوا ؟

* قالوا : وهذا كذب ، وقائله أراد مدحة النبى صلى اللـه عليه وسـلم بالزهد وبالفقر ، وليس هكذا تمدح الرسـل ، وكيف يجوع من يجهز الجيوش ، ومن يسوق المئين من البدن ، وله مما أفاء الله عليه مثل فدك وغيرها ؟ وذكر مالك بن أنس عن أبى الزبير عن جابر قال : نحر النبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية سـبعين بدنة ، كل بدنة عن سبعة ، واستاق فى عمرة القضاء مكان عمرته التى صده المشركون ستين بدنة ، وكيف يجوع من وقف سبع حوائط متجاورة بالعالية(١٣٠) ، ثم لا يجد مع هذا من يقرضه أصواعا من شعير حتى يرهن درعه ؟

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذا ما يستعظم ، بل ما ينكر ، لأن النبى صلى الله عليه وسـلم كان يؤثر على نفسـه بأمواله ، ويفرقها على المحقين من أصحابه ، وعلى الفقراء والمساكين ، وفى النوائب التى تنوب المسلمين ، ولا يرد سائلا ، ولا يعطى اذا وجد الا كثيرا ، ولا يضع درهما فوق درهم . وقالت له أم سلمة : يا رسول الله

(١٣٠) العالية والعوالى : قرى بظاهر المدينة .

اراك ساهم(١٣١) الوجه ، أمن علة ؟ فقال : « لا ولكنها السبعة الدنانير التى أتينا بها أمس ، نسيتها فى خصم الفراش ، فبت ولم أقسمها » . وكانت عائشة رضي الله عنها تقول فى بكائها عليه : بأبى من لم ينم على الوثير(١٣٢) ، ولم يشبع من خبز الشعير .

وليس يخلو قولها هذا من أحد أمرين - اما أن يكون يؤثر بما عنده حتى لا يبقى عنده ما يشبعه ، وهذا بعض صفاته والله عز وجل يقول : « **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** »(١٣٣) . أو يكون لا يبلغ الشبع من الشعير ولا من غيره ، لأنه كان يكره افراط الشبع ، وقد كره ذلك كثير من الصالحين والمجتهدين ، وهو صلى الله عليه وسلم أولاهم بالفضل ، وأحراهم بالسبق .

وحدثنا أبو الخطاب قال : أخبرنا أبو عاصم عبيد الله بن عبد الله قال : أخبرنا المحبر(١٣٤) . بن هرون ، عن أبى يزيد المدنى ، عن عبد الرحمن بن المرقع ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لم يخلق وعاء ملىء شرا من بطن ، فان كان لابد فاجعلوا ثلثا للطعام ، وثلثا للشراب ، وثلثا للريح » وقد قال مالك بن دينار : انما مثل المؤمن مثل الشاة المأبورة - يزيد التى أكلت فى العلف ابرة - فهى لا تأكل اذا أكلت فى العلف الا قليلا ، ولا ينجع فيها العلف . قيل لابن عمر : فى الجوارشن(١٣٥) شيء ؟ فقال : وما أصنع

---

(١٣١) ساهم الوجه : متغير لون الوجه .

(١٣٢) الفراش الوثير : اللين . (١٣٣) الحشر : ٩ .

(١٣٤) فى المخطوطة (المحبر) . وهو هكذا فى المطبوعتين . ولم نجد محبرا هذا فيما بين أيدينا من المصادر . لكنا وجدنا محرز بن هارون التيمى من اهل المدينة . ذكره ابن حبان فى المجروحين (١٩/٣) وقال : لا تحل الرواية عنه . وقال الذهبى ضعفوه (المغنى ٥٤٥/٢) : وضبطه البخارى براءين . وهكذا فى التقريب والتهذيب . وذكر الدارقطنى أن غير البخارى يضبطونه (محرز) وهو كذلك فى الميزان قال البخارى : منكر الحديث . وقال الدارقطنى ضعيف . انظر التاريخ الكبير ٢٢/٨ وميزان الاعتدال ٤٤٣/٣ .

(١٣٥) الجوارشن : دواء لتسهيل الهضم .

به وانا لم اشبع منذ كذا ؟ يريد : انه كان يدع الطعام وبه اليه الحاجة . وقال الحسن لرجل دخل عليه وهو يأكل : كل . فقال : قد أكلت فما اشتهى شيئا . قال : يا سبحان الله ، وهل يأكل احد حتى لا يشتهى شيئا ؟ وقال مالك بن دينار أو غيره : لوددت أن رزقى فى حصاة أمصها ، ولقد استحييت من الله تعالى لكثرة دخولى الى الخلاء . وقال بكر بن عبد الله : لم أجد طعم العيش حتى استبدلت الخمص (١٣٦) بالكظة(١٣٧) وحتى لم البس من ثيابى ما يستخدمنى ، وحتى لم آكل الا مالا اغسل يدى منه . فلما بكته صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فقالت : بأبى من لم يشبع من خبز الشعير ، وقد كان يأكل خبز الحنطة وخبز الشعير ، غير أنه لا يبلغ الشبع منه ، اما للحال الأولى أو للحال الأخرى فذكرت أخس الطعامين ، وأرادت أنه اذا كان لا يشبع منه على خساسته فغيره أحرى أن لا يشبع منه .

وقد قال عمر رضي الله عنه : لو شئت لدعوت بصلاء وصناب وكراكر(١٣٨) وأسنمة . وقال : لو شئت لأمرت بفتية(١٣٩) فذبحت وأمرت بدقيق فنخل وأمرت بزبيب فجعل فى سعن(١٤٠) حتى يصير كدم الغزال هذا وأشباهه ولكننى سمعت الله تعالى يقول لقوم **«أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون»**(١٤١) .

وقد يأتى على البخيل الموسر تارات لا يحضره فيها مال وله الضيعة والأثاث والديون ، فيحتاج الى أن يقترض والى أن يرهن ،

---

(١٣٦) الخمص : خلو البطن والجوع .
(١٣٧) الكظة : البطنة والامتلاء .
(١٣٨) الصلاء : الشواء . والصناب : نوع من المشهيات يتخذ من الخردل والزبيب . والكراكر جمع كركرة بالكسر ، وهى الجزء النائى من البعير كالقرصة يبرك عليه .
(١٣٩) الفتية : الدابة الشابة .
(١٤٠) السعن . بفتح فسكون : دسم اللحم والشحم .
(١٤١) الأحقاف : ٢٠ .

فكيف بمن لا يبقى له درهم ولا يفضل عن مواساته ونوائبه زاد ؟ وكيف يعلم المسلمون وأهل اليسار من صحابته بحاجته الى الطعام وهو لا يعلمهم ولا ينشط فى وقته ذلك اليهم .

وقد نجد هذا بعينه فى أنفسنا وأشباهنا من الناس ، ونرى الرجل يحتاج الى الشيء فلا ينشط فيه الى ولده ولا الى أهله ولا الى جاره ، ويبيع العلق(١٤٢) ويستقرض من الغريب والبعيد . وانما رهن درعه عند يهودى لأن اليهود فى عصره كانوا يبيعون الطعام ، ولم يكن المسلمون يبيعونه لنهيه عن الاحتكار ، فما الذى أنكروه من هذا حتى أظهروا التعجب منه ، وحتى رمى بعض المرقة(١٤٣) الأعمش بالكذب من أجله .

* * *

٢٦ - (قالوا حديث يبطله القياس) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أمر عمرو بن العاص أن يقضي بين قوم ، وأن عمرا قال له : اقضي يا رسول الله وانت حاضر ؟ فقال له : « اقض بينهم ، فان أصبت فلك عشر حسنات ، وان أخطأت فلك حسنة واحدة » .

قالوا : هذا الحكم لا يجوز على الله تبارك وتعالى ، وذلك أن الاجتهاد الذى يوافق الصواب من عمرو هو الاجتهاد الذى يوافق الخطأ ، وليس عليه أن يصيب ، انما عليه أن يجتهد ، وليس يناله فى موافقة الصواب من العمل والقصد العناية واحتمال المشقة الا ما يناله مثله فى موافقته الخطأ ، فبأى معنى يعطى فى أحد الاجتهادين حسنة وفى الآخر عشرا .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الاجتهاد مع موافقة الصواب ليس كالاجتهاد مع موافقة الخطأ ، ولو كان هذا على أسس كان اليهود والنصارى والمجوس والمسلمون سواء ، وأهل الآراء

---

(١٤٢) العلق بكسر العين : النفيس من المال .
(١٤٣) المرقة جمع مارق . وهو الخارج عن الدين .

المختلفة سواء اذا اجتهدوا آراءهم وأنفسهم فأدتهم عقولهم أنهم على الحق وأن مخالفيهم على الخطأ .

* (قال أبو محمد) ولكنا نقول ان من وراء اجتهاد كل امرىء توفيق الله تعالى ، وفى هذا كلام يطول ، وليس هذا موضعه ، ولو ان رجلا وجه رسولين فى بغاء ضالة له ، وأمرهما بالاجتهاد والجد فى طلبها ، ووعدهم الثواب ان وجداها ، فمضي أحدهما خمسين فرسخا فى طلبها وأتعب نفسه ، وأسهر ليله ، ورجع خائبا ، ومضي الآخر فرسخا وادعا(١٤٤) ورجع واجدا ، لم يك أحقهما بأجزل العطية وأعلى الحباء (الا) (١٤٥) الواجد وان كان الآخر قد احتمل من المشقة والعناء أكثر مما احتمله الآخر ، فكيف بهما اذا استويا . وقد يستوى الناس فى الأعمال ويفضل الله عز وجل من يشاء ، فانه لا دين لأحد عليه ولا حق له قبله .

* (قال أبو محمد) وقرات فى الانجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : مثل ملكوت السماء مثل رجل خرج غلسا(١٤٦) يستأجر عمال لكرمه ، فشرط لكل عامل دينارا فى اليوم ، ثم أرسلهم الى اكرمه ، ثم خرج فى ثلاث ساعات فرأى قوما بطالين فى السوق ، فقال : اذهبوا أنتم أيضا الى الكرم ، فانى سوف أعطيكم الذى ينبغى لكم ، فانطلقوا ثم خرج فى ست ساعات وفى تسع ساعات وفى احدى عشرة ساعة ، ففعل مثل ذلك ، فلما أمسي قال لأمينه : أعط العمال أجورهم ، ثم ابدأ بآخرهم حتى تبلغ أولهم ، فأعطاهم فسوى بينهم فى العطية ، فلما أخذوا حقوقهم سخطوا على رب الكرم وقالوا : انما عمل هؤلاء ساعة واحدة ، فجعلتهم أسوتنا فى الأجرة . فقال : انى لم

---

(١٤٤) وادعا : اى مستريحا .
(١٤٥) سقطت من الاصول .
(١٤٦) الغلس : ظلمة آخر الليل .

اظلمكم ، أعطيتكم الشرط وجدت لهؤلاء ، والمال مالى اصنع به ما اشاء ، كذلك يكون الأولون الآخرين والآخرون الأولين .

****

٢٧ - (قالوا حديثان مختلفان) قالوا رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة ، ومن عملها كتبت له عشرا . ثم رويتم « نيـة المؤمن(١٤٧) خير من عمله » فصارت النية فى الحديث الأول دون العمل ، وصارت فى الحديث الثانى خيرا من العمل ، وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا تناقض بحمد الله تعالى ، والهام بالحسنة اذا لم يعملها خلاف العامل لها ، لأن الهام لم يعمل ، والعامل لم يعمل حتى هم ثم عمل . وأما قوله صلى الله عليه وسلم « نية المؤمن خير من عمله » فان الله تعالى يخلد المؤمن فى الجنة بنيته لا بعمله ، ولو جوزى بعمله لم يستوجب التخليد ، لأنه عمل فى سنين معدودة ، والجزاء عليها يقع بمثلها ، وباضعافها، وانما يخلده الله تعالى بنيته ، لأنه كان ناويا أن يطيع الله تعالى ابدا لو أبقاه أبدا ، فلما اخترمه (١٤٨) دون نيته جزاه عليها . وكذلك الكافر نيته شر من عمله ، لأنه كان ناويا أن يقيم على الكفر لو أبقاه أبدا ، فلما اخترمه الله تعالى دون نيته جزاه عليها .

****

٢٨ - (قالوا حديث يكذبه الكتاب والنظر) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قليب (١٤٩) بدر فقال : « يا عتبة ابن ربيعة ، ويا شيبة بن ربيعة ، ويا فلان ويا فلان ، هل وجدتم

---

(١٤٧) فى المطبوعتين (المرء) . (١٤٨) اخترمه : توفاه .
(١٤٩) القليب : البئر .

ما وعدكم ربكم حقا ، فقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا » ؟ فقيل له فى ذلك ، فقال : « والذى نفسي بيده أنهم ليسمعون كما تسمعون » وان الله تعالى يقول : « **وما أنت بمسمع من فى القبور** »(١٥٠) . ويقول : « **انك لا تسمع الموتى** » (١٥١) ثم رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب : « اللهم رب الأجساد البالية ، والأرواح الفانية » . وان ابن عباس سئل عن الأرواح أين تكون اذا فارقت الأجساد ، وأين تذهب الأجساد اذا بليت ، فقال : أين يذهب السراج اذا طفىء ؟ وأين يذهب البصر اذا عمى ؟ وأين يذهب لحم الصحيح اذا مرض ؟ قال : لا أين . قال : فكذلك الأرواح اذا فارقت الأجساد . وهذا لا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم : « انهم ليسمعون كما تسمعون » وما تروونه فى عذاب القبر .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول انه اذا جاز فى المعقول وصح فى النظر ، وبالكتاب والخبر : أن الله تعالى يبعث من فى القبور بعد أن تكون الأجساد قد بليت ، والعظام قد رمت جاز أيضا فى المعقول وصح فى النظر وبالكتاب والخبر انهم يعذبون بعد الممات فى البرزخ .

* فأما الكتاب فان الله تعالى يقول : « **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**»(١٥٢) . فهم يعرضون بعد مماتهم على النار غدوا وعشيا قبل يوم القيامة ، ويوم القيامة يدخلون أشد العذاب ، والله عز وجل يقول : «**ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(١٥٣) . وهذا شيء خص الله تعالى به شهداء بدر رحمة الله عليهم ، وقد أخرجوا عند حفر القناة رطابا يتثنون ، حتى قال قائل : لا ننكر بعد هذا شيئا .

---

(١٥٠) فاطر : ٢٢ .
(١٥١) النمل : ٨٠ .
(١٥٢) غافر : ٤٦ .
(١٥٣) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠

وحدثنى محمد بن عبيد عن ابن عيينة عن أبى الزبير عن جابر قال لما أراد معاوية أن يجرى العين التى حفرها ـ قال سفيان : تسمى عين أبى زياد بالمدينة ـ نادوا بالمدينة : من كان له قتيل فليأت قتيله . قال جابر : فأتيناهم فأخرجناهم رطابا يتثنون ، وأصابت المسحاة رجل رجل منهم فانقطرت دما . فقال أبو سعيد الخدرى : لا ينكر بعدها منكر أبدا .

* ورأت عائشة بنت طلحة أباها فى المنام فقال لها : يابنية ، حولينى من هذا المكان فقد أضر بى الندى . فاخرجته بعد ثلاثين سنة أو نحوها ، فحولته من ذلك النز(١٥٤) وهو طرى لم يتغير منه شيء ، فدفن بالهجريين (١٥٥) بالبصرة . وتولى اخراجه عبدالرحمن ابن سلامة التيمى . وهذه أشياء مشهورة كانها عيان(١٥٦) .

فاذا جاز أن يكون هؤلاء الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وجاز أن يكونوا فرحين ومستبشرين ، فلم لا يجوز أن يكون أعداؤهم الذين حاربوهم وقتلوهم أحياء فى النار يعذبون ؟ واذا جاز أن يكونوا أحياء فلم لا يجوز أن يكونوا يسمعون ؟ وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الحق .

* وأما الخبر فقول النبى صلى الله عليه وسلم فى جعفر بن أبى طالب : « انه يطير مع الملائكة فى الجنة » . وتسميته له ذا الجناحين ، وكثرة الأخبار عنه فى منكر ونكير ، وفى عذاب القبر ، وفى دعائه : « أعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من عذاب القبر ، ومن فتنة المسيح الدجال » . وهذه الأخبار صحاح لا يجوز على مثلها

---

(١٥٤) النز : بتشديد النون والزاى وفتحهما : ما يتحلب من الارض من الماء .

(١٥٥) المراد : مع موتى المهاجرين .

(١٥٦) وقد رواها ابن الجوزى فى صفوة الصفوة ٢٥٠/١ .

بالتواطؤ ، وان لم يصح مثلهـا لم يصح شيء من أمور ديننـا ، ولا شيء أصح من أخبار نبينا صلى الله عليه وسلم .

* وأما قوله تعالى : « **انك لا تسمع الموتى** »(*) . « **وما أنت بمسمع من فى القبور** » ... فليس من هذا فى شيء لأنه أراد بالموتى ههنا : الجهال . وهم أيضا أهل القبور يريد : انك لا تقدر على افهـام من جعله الله تعالى جاهلا ، ولا تقدر على اسماع من جعله الله تعـالى أصم عن الهـدى . وفى هـذه الآيات دليـل على ما نقـول لأنه قال « **وما يستوى الأعمى والبصير** » يريد بالأعمى الكافر وبالبصير المؤمن « **ولا الظلمات ولا النور** » يعنى بالظلمات الكفر وبالنور الايمـان « **ولا الظـل ولا الحـرور** » يعنى بالظل الجنة وبالحرور النار « **وما يستوى الأحيـاء ولا الأموات** » يعنى بالأحيـاء العقـلاء وبالأمـوات الجهلاء . ثم قال : « **ان الله يسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من فى القبور** »(**) يعنى انك لا تسمع الجهلاء الذين كأنهم موتى فى القبور . ومثل هـذا كثير فى القـرآن . ولم يرد بالمـوتى الذين ضربهم مثـلا للجهال : شـهداء بدر فيحتج بهم علينا (بـل) (١٥٧) أولئك عنـده أحياء كما قال الله عز وجل .

* وأما قوله : « اللهم رب الأجساد البالية والأرواح الفانيـة » فانه قاله على ما يعرف الناس ، وعلى ما شاهدوا ، لأنهم يفقدون الشيء فيكون مبطلا عندهم وفانيا ، وهو عند الله معلوم وغير فان . ألا ترى أن الرجل السمين الضخم العظيم الصحيح يعتل يوما أو يومين فيذهب من جسمه نصفه أو ثلثاه ، ولا نعلم أين ذهب ذلك ، فهو عندنا فان مبطل ، والله تعالى يعلم أين ذهب ، وفى أى شيء صار ، وأن الاناء العظيم من الزجاج يكون فيه الماء أياما ، فيذهب بالحر بعضه ، وان تطاولت بـه المـدة ذهب كله ، والزجاج لا يجوز عليـه النشف (١٥٨)

(*) النمـل : ٨٠ .   (**) فـاطـر : ١٩ – ٢٢ .

(١٥٧) سقطت من المطبوعتين .

(١٥٨) النشف . بفتحتين . من نشف الحوض الماء أى شربه .

ولا الرشح ؛ ولا ندرى أين ذهب ما فيه (١٥٩) والله تعالى يعلمه ، وانا نطفىء بالنفخة نار المصباح فتذهب ؛ وتكون عندنا فانية ؛ ولا ندرى أين ذهبت ، والله تعالى يعلم كيف ذهبت ، وأين حلت ؛ كذلك الأرواح عندنا فانية ، وهى بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى حواصل طير خضر ، وفى عليين ، وفى سجين ، وتشام (١٦٠) فى الهواء ، وأشباه ذلك .

* * *

٢٩ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليؤمكم خياركم ، فانهم وفدكم الى الجنة ، وصلاتكم قربانكم ، ولا تقدموا بين أيديكم الا خياركم » . ثم رويتم : « صلوا خلف كل بر وفاجر ، ولابد من امام بر أو فاجر » وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا بنعمة الله اختلاف ، وللحديث الأول موضع ، وللثانى موضع ، واذا وضع كل واحد منهما موضعه زال الاختلاف .

أما قوله : « ليؤمكم خياركم فانهم وفدكم الى الجنة ولا تقدموا بين أيديكم الا خياركم » فانه أراد أئمة المساجد فى القبائل والمحال ، وألا تقدموا (١٦١) منهم الا الخير التقى القارىء ولا تقدموا الفاجر الأمى .

وأما قوله : « صلوا خلف كل بر وفاجر ، ولابد من امام بر أو فاجر » فانه يريد السلطان الذى يجمع الناس ويؤمهم فى الجمع والأعياد يريد : لا تخرجوا عليه ، ولا تشقوا العصا ، ولا تفارقوا جماعة

---

(١٥٩) كان ذلك قبل أن يكتشف العلم الحديث حقيقة البخار وتحوله الى سحب .

(١٦٠) تشام فى الهواء : تحس بالبناء للمجهول .

(١٦١) فى المخطوطة (ولا يقدم) .

المسلمين ، وان كان سلطانكم (١٦٢) فاجرا ، فانه لابد من امام بر أو فاجر ، ولا يصلح الناس الا على ذلك ، ولا ينتظم أمرهم . وهو مثل قول الحسن : لابد للناس من وزعة (١٦٣) يريد سلطانا يزعهم عن التظالم والباطل وسفك الدماء ، وأخذ الأموال بغير حق .

* * *

٣٠ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قتل دون ماله فهو شهيد » . ثم رويتم : « كن حلس بيتك ، فان دخل عليك فادخل مخدعك ، فان دخل عليك فقل : بؤ باثمى واثمك ، وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ، فان الله تعالى ضرب لكم بابنى آدم مثلا ، فخذوا خيرهما ودعوا شرهما » . قالوا وهذا خلاف الحديث الأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان لكل حديث موضعا غير موضع الآخر، فاذا وضعا بموضعيهما زال الاختلاف، لأنه أراد بقوله : « من قتل دون ماله فهو شهيد » من قاتل اللصوص عن ماله حتى يقتل فى منزله ، وفى أسفاره ، ولذلك قيل فى حديث آخر : « اذا رأيت سوادا فى منزلك فلا تكن أجبن السوادين » . يريد تقدم عليه بالسلاح. فهذا موضع الحديث الأول .

وأراد بقوله : «كن حلس بيتك ، فان دخل عليك فقل : بؤ باثمى واثمك وكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل » أى افعل هذا فى زمن الفتنة ، واختلاف الناس على التأويل ، وتنازع سلطانين كل واحد منهما يطلب الأمر ويدعيه لنفسه بحجة . يقول : فكن حلس بيتك فى هذا الوقت ، ولا تسل سيفا ، ولا تقتل أحدا ، فانك لا تدرى من المحق من الفريقين ومن المبطل ، واجعل دمك دون دينك . وفى مثل هذا الوقت قال : « القاتل والمقتول فى النار » .

---

(١٦٢) فى المخطوطة (سلطانهم) .

(١٦٣) وزعة : أى ولاة يمنعون محارم الله ، أو دعاة يكف بعضهم بعضا. أو السلطان وأعوانه .

* فأما قوله تعالى « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله » (١٦٤) . فانه أمر بذلك الجميع منا بعد الاصلاح وبعد البغى ، وأمر الواحد والاثنين والثلاثة اذا لم يجتمع ملؤنا على الاصلاح بينهما أن نلزم منازلنا ، ونقى أدياننا بأموالنا وأنفسنا .

* * *

٣١ - (قالوا حديث يكذبه النظر والخبر) قالوا رويتم : أن الأعمش روى عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى (١٦٥) أن عليا رضي الله عنه قال : « بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن لأقضي بينهم ، فقلت له : انه لا علم لى بالقضاء ، فضرب بيده صدرى وقال : « اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه » . فما شككت فى قضاء حتى جلست مجلسي هذا . ثم رويتم انه اختلف قوله فى أمهات الأولاد وقال بشيء ثم رجع عنه ، وقضي فى الجد بقضايا مختلفه ، مع قوله : « من أحب أن يتقحم (*) جراثيم جهنم فليقل فى الجد » . وندم على احراق المرتدين بعد الذى بلغه من فتيا ابن عباس . وجلد رجلا فى الخمر ثمانين فمات فوداه (١٦٦) ، وقال : « وديته لأن هذا شيء جعلناه بيننا » . وهو كان أشار على عمر رضي الله عنه بجلد ثمانين فى الخمر ، ورأى الرجم على مولاة حاطب ، فلما سمع قول عثمان رضي الله عنه :

---

(١٦٤) وهذا الحديث الأخير رد على بدعة الثورة ضد حكام المسلمين ، التى شاعت وهددت أمن جماعة الاسلام على أيدى جهلة يزعمون أنهم يحسنون الى الأمة ، وهم فى الواقع يعرضونها للاهتزاز والاختلال ، والرسول صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بمصالح الأمة ينهى عن ذلك فى أحاديث كثيرة رواها الامام أحمد . رواها عنه حنبل بن اسحاق بن حنبل فى كتابه (محنة أبى عبد الله أحمد بن حنبل) مخطوط ٢٠٠٠ تاريخ بدار الكتب المصرية - والآية من سورة الحجرات : ٩ .

(١٦٥) أبو البخترى - كان ممن يضع الحديث على الثقات ، ولا تجوز الرواية عنه الا على طريق التعجب ، ولا يجوز كتابة حديثه (المجروحون ٧٤/٣) . وقال الذهبى : كذبه أحمد وغيره (المغنى ٧٢٣/٢) . واذا لم يصح الحديث فلا خلاف .

(*) يتقحم : يدخل . (١٦٦) وداه : دفع ديته .

انما يجب الحد على من يعرفه ، وهذه لا تعرفه ، وكانت أعجمية تابعه ، ونازعه زيد بن ثابت فى المكاتب فأفحمه ، وقال فى أمر الحكمين :

لقد عثرت عثرة لا أجتبر سوف أكيس بعدها وأستمر
وأجمع الرأى الشتيت المنتشر

* (قال) وذكر داود بن أبى هند عن الشعبى أن عليا رضي الله عنه رجع عن قوله فى الحرام : انها ثلاث ، وقطع اليد من أصول الأصابع ، وحك أصابع الصبيان فى السرق ، وقبل شهادة الصبيان بعضهم على بعض ، والله عز وجل يقول « **وأشهدوا ذوى عدل منكم** »(١٦٧) وقال « **ممن ترضون من الشهداء** »(١٦٨) ، وجهر فى قنوت الغداة بأسماء رجال ، وأخذ نصف دية الرجل من أولياء المقتول ، وأخذ نصف دية العين من المقتص من الأعور ، وخلف رجلا يصلى العيد بالضعفاء فى المسجد الأعظم اذا خرج الامام الى المصلى . وقالوا هذه الأشياء خلاف على جميع الفقهاء والقضاة وجميع الأمراء من نظرائه . ولا يشبه هذا قوله : «ماشككت فى قضاء حتى جلست مجلسي هذا » . ولا يشبه دعاء النبى صلى الله عليه وسلم له أن يثبت الله لسانه وقلبه بل يشبه دعاءه عليه بضد ما قال .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم حين دعا له بتثبيت اللسان والقلب لم يرد ألا يزل أبدا ، ولا يسهو ولا ينسي ولا يغلط فى حال من الأحوال ، لأن هذه الصفات لا تكون لمخلوق ، وانما هى من صفات الخالق سبحانه جل وعز ، والنبى صلى الله عليه وسلم أعلم بالله تعالى ، وبما يجوز عليه وبما لا يجوز ، من أن يدعو لأحد بألا يموت ، وقد قضي الله تعالى الموت على خلقه ، وبأن لا يهرم اذا عمره وقد جعل الهرم فى تركيبه ، وفى أصل جبلته ، وكيف يدعو له بهذه الأمور فينالها بدعائه ، والنبى صلى الله عليه وسلم نفسه ربما

---

(١٦٧) الطلاق : ٢ . (١٦٨) البقرة : ٢٨٢ .

سها ، وكان ينسي الشيء من القرآن حتى قال اللـه تعالى : « **سنقرئك فلا تنسي** »(١٦٩) . وقبل الفدية فى يوم بدر فنزل : « **لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم** »(١٧٠) . وقال : « لو نزل عذاب ما نجا الا عمر » وذلك لانه اشار عليه بالقتل وترك أخذ الفداء . واراد يوم الأحزاب أن يتقى المشركين ببعض ثمار المدينة ، حتى قال له بعض الانصار مـا قال . وكـاد يجيب المشركين الى شيء مما ارادوه يتالفهم بذلك فانزل الله عز وجل : « **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجـد لك علينـا نصيرا** » (*) .

وهكذا الأنبياء المتقدمون عليهم السـلام فى السـهو والنسيان ، وتعداد هذا يطول ويكثر ، وليس به خفاء على من علمه ، وانما دعـا النبى صلى اللـه عليه وسلم له بأن يكون الصواب أغلب عليه ، والقول بالحق فى القضاء أكثر منه .

* ومثل هذا دعاؤه لابن عباس بان يعلمه الله التأويل ، ويفقهه فى الدين ، وكان ابن عباس مع دعائه لا يعرف كل القرآن ، وقال : لا اعرف « حنانا » ولا « الأواه » ولا « الغسلين » و « الرقيم » . وله اقاويل فى الفقه منبوذة مرغوب عنها ، كقولـه فى المتعة ، وقولـه فى الصرف ، وقوله فى الجمع بين الأختين الأمتين .

ومع هذا فانه ليس كل ما دعا بـه الأنبياء صلى اللـه عليهم وسلم وسألوه أجيبوا اليه ، فقد كان نبيا صلى الله عليه وسلم يدعو لأبى طالب ويستغفر له حتى نزلت عليه :« **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعـد مـا تبين لهم انهم أصحاب الجحيم** »(١٧١) وكان يقول : « اللهم اهـد قومى فانهم لا يعلمون »

---

(١٦٩) الأعـلى : ٦ . — (١٧٠) الانفـال : ٦٨ .

(*) الاسـراء : ٧٤ ، ٥٧ . — (١٧١) التـوبـة : ١١٣ .

فانزل الله تعالى عليه : « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء »(١٧٢) .

* وبعد فان أقاويل على رضي الله عنه هذه كلها ليست منبوذة يقضي عليه بالخطأ فيها ، ومن أغلظها بيع أمهات الأولاد ، وقد كن يبعن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر رضي الله عنه فى الدين ، وعلى حال الضرورة ، حتى نهى عن ذلك عمر رضي الله عنه من أجل أولادهن ، ولئلا تلحقهم السبة ، ويرجع عليهم الشين باسباب كثيرة من جهة الأمهات اذا ملكن . والناس مجمعون على أن الأمة لا تخرج عن ملك سيدها الا ببيع أو هبة أو عتق ، وأم الولد لم ينلها شيء عن ذلك ، وأحكام الاماء جارية عليها الى أن يموت سيدها ، فباى معنى يزيل الولد عنها البيع ، وانما هو شيء استحسنه عمر رضي الله عنه بما(١٧٣) أراد من النظر للأولاد ، ولسنا نذهب الى هذا ولا نعتقده ، ولكنا أردنا به التنبيه على حجة على رضي الله عنه فيه وحجة من تقدمه فى اطلاق ذلك وترك النهى عنه .

* فاين هؤلاء عن قضايا على رضي الله عنه اللطيفة التى تغمض وتدق وتعجز عن أمثالها أجلة الصحابة ، كقضائه فى العين اذا لطمت أو بخصت(١٧٤) أو أصابها مصيب بما يضعف معه البصر بالخطوط على البيضة . وكقضائه فى اللسان اذا قطع فنقص من الكلام شيء فحكم فيه بالحروف المقطعة . وكقضائه فى القارصة والقامصة والواقصة وهن ثلاث جواركن يلعبن فركبت احداهن صاحبتها فقرصتها الثالثة فقمصت(١٧٥) المركوبة فوقعت الراكبة فوقصت(١٧٦) عنقها فقضي على رضي الله عنه باليه أثلاثا وأسقط حصة الراكبة لأنها أعانت على نفسها ، وكقضائه فى رجلين اختصما اليه فى ابن امراة وقعا عليها فى طهر واحد ، فادعياه جميعا :

---

(١٧٢) القصص : ٥٦ .　　　(١٧٣) فى المخطوطة (لما أراد) .
(١٧٤) بخص عينه بوزن ضرب : قلعها .. وقيل : خسفها .
(١٧٥) قمصت : وثبت .
(١٧٦) وفصت عنقها : دقته وكسرته .

انه ابنهما جميعا يرثهما ويرثانه ، وهو للباقى منهما . وقد روى حماد عن ابراهيم عن عمر أنه قضي بمثل ذلك موافقا له عليه .

* وكان عمر رضي الله عنه ينزل القرآن بحكمه ، ويفرق(١٧٧) الشيطان من حسه ، والسكينة تنطق على لسانه ، وذكرته عائشة رضي الله عنها فقالت : كان والله أحوذيا(١٧٨) نسيج وحده(١٧٩) قد أعد للأمور أقرانها . تريد حسن السياسة . وذكره المغيرة فقال : كان والله افضل من أن يخدع ، وأعقل من أن يخدع . وقال فيه الأحنف بن قيس : والله لهو بما يكون أعلم منا بما كان يريد ، انه يصيب بظنه فلا يخطىء . وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لكل أمة محدثين أو مروعين(١٨٠) ، فان يكن فى هذه الأمة أحد منهم فهو عمر » . وقال لسارية بن زنيم الدؤلى : ياسارية ، الجبل الجبل ! وسارية فى وجه العدو فوقع فى نفس سارية ما قال ، فاستند الى الجبل فقاتل العدو من جانب واحد ، وعمر مع هذا يقول فى قضية نبهه على رضي الله عنه عليها : لولا قول على لهلك عمر ، ويقول : أعوذ بالله من كل معضلة ليس لها أبو حسن .

* حدثنا الزيادى قال أخبرنا عبد الوارث عن يونس عن الحسن أن عمر رضي الله عنه أتى بامرأة وقد ولدت لستة أشهر فهم بها ، فقال له على : قد يكون هذا . قال الله تعالى : « **وحمله وفصاله ثلاثون شهرا** »(١٨١) . وقال تعالى « **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** »(١٨٢) .

* * *

---

(١٧٧) يفرق الشيطان : يفزع ويخاف .

(١٧٨) الأحوذى : الجاد المشمر للأمور ، المتغلب عليها ، الذى لا يستعصي عليه شي .

(١٧٩) نسيج وحده : كناية عن التفرد فى العلم ، وانعدام النظير . كما ان الثوب الرفيع لا ينسج مثله غيره .

(١٨٠) محدثين بالبناء للمفعول : ملهمين . مروعين بالمعقول كذلك ، اى ممن يلقى فى روعهم وصدرهم الصواب والفراسة الصادقة .

(١٨١) الأحقاف : ١٥ .   (١٨٢) البقرة : ٢٣٣ .

٣٢ ـ قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى : « المسافر وحده شيطان ، وفى الاثنين شيطانان ، وفى الثلاثة ركب » . ثم رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يبرد البريد وحده ، وأنه خرج وأبو بكر مهاجرين . قالوا كيف يكون الواحد شيطانا اذا سافر ؟ ولا يخلو أن يكون أراد بمنزلة الشيطان ؟ أو يتحول شيطانا ، وهذا لا يجوز .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه أراد بقوله « المسافر وحده شيطان » معنى الوحشة بالانفراد وبالوحدة ، لأن الشيطان يطمع فيه ، كما يطمع فيه اللصوص ، ويطمع فيه السبع ، فاذا خرج وحده فقد تعرض للشيطان ، وتعرض لكل عاد عليه من السباع أو اللصوص كأنه شيطان . ثم قال « والاثنان شيطانان » ، لأن كل واحد منهما متعرض لذلك فهما شيطانان ، فاذا تتاموا ثلاثة زالت الوحشة ، ووقع الأنس ، وانقطع طمع كل طامع فيهم .

وكلام العرب ايماء واشارة وتشبيه ، يقولون : فلان طويل النجاد ، والنجاد حمائل السيف ، وهو لم يتقلد سيفا قط ، وانما يريدون أنه طويل القامة ، فيدلون بطول نجاده على طوله ، لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل . ويقولون : فلان عظيم الرماد ، ولا رماد فى بيته ، ولا على بابه ، وانما يريدون أنه كثير الضيافة ، فناره وارية أبدا ، واذا كثر وقود النار كثر الرماد . والله تعالى يقول فى كتابه : « **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام** »(١٨٣) . فدلنا بأكلهما الطعام على معنى الحدث لأن من أكل الطعام فلا بد له من أن يحدث . وقال تعالى حكاية عن المشركين فى النبى صلى الله عليه وسلم : « **وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فى الأسواق** »(١٨٤) فكنى بمشيه فى الأسواق عن الحوائج التى تعرض للناس ، فيدخلون لها الأسواق ، كأنهم رأوا أن النبى صلى الله عليه وسلم اذا بعثه الله تعالى أغناه عن الناس ، وعن الحوائج اليهم .

* وأما قولهم كان يبرد البريد وحده ، والبريد الرسول يبعث به من

---

(١٨٣) المائدة : ٧٥ .
(١٨٤) الفرقان : ٧ .

بلد الى بلد ، ويكتب معه وهو الفيج(١٨٥) ، فانه كان يبعث به من بلد الى بلد وحده ، ويأمره أن ينضم فى الطريق الى الرفيـــق يكون معهم ويأنس بهم ، وهذا شيء يفعله الناس فى كل زمان ، ومن أراد أن يكتب كتابا وينفذه مع رسول الى بلد شاسع (١٨٦) فانه لا يجب عليه ان يكترى ثلاثة لقول النبى صلى الله عليه وسلم : «الواحد شيطان والاثنان شيطانان والثلاثة ركب » . وانما يجب هذا على الرسول اذا هو خرج ان يلتمس الصحبة ويتوقى الوحدة .

❋ وأما خروج النبى صلى الله عليـه وســلم مع أبى بكر حين هاجــر ، فانهمـــا كانا فى ذلك الوقت خائفين على أنفســهما من المشركين ، فلم يجدا بدا من الخروج ، ولعلهما أملا أن يوافقا ركبا ، كما أن الرجل يخرج من منزله وحده على تأميل وجدان الصحابة فى الطريق ، فلما أمكنهما أن يستزيدا فى العدد استأجر أبو بكر رضي الله عنه هاديا من بنى الديل ، واستصحب عامر بن فهيرة مولاه ، فدخلوا المدينة وهم أربعة أو خمسة .

❋ ❋ ❋

٣٣ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله السارق ، يسرق البيضـــة فتقطـع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده » . ورويتم أنه قال : « لا قطع الا فى ربع دينار » . هذا والحديث الأول حجة للخوارج لأنها تقول : ان القطع على السارق فى القليل والكثير .

❋ (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الله عز وجل لمـا أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله** »(١٨٧) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله السارق ، يسرق البيضة فتقطع يده » على ظاهـر ما أنزل الله تعالى عليه فى ذلك الوقت . ثم أعلمه الله تعالى أن القطع لا يكون الا فى ربع دينار . فما فوقه ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من حكم الله تعالى الا ما علمه الله عز وجل ، ولا كان

---

(١٨٥) الفيج : رسول السلطان يمشي على قدميه .

(١٨٦) أى بعيد .

(١٨٧) المائدة : ٣٨ .

الله تبارك وتعالى يعرفه ذلك جملة ، بل ينزله شيئا بعد شيء ، ويأتيه جبريل عليه السلام بالسنن كما كان يأتيه بالقرآن ، ولذلك قال : « أوتيت الكتاب ومثله معه » . يعنى من السنن ، ألا ترى أنه فى صدر الاسلام قطع أيدى العرنيين (١٨٨) وأرجلهم ، وسمل(١٨٩) أعينهم وتركهم بالحرة ، حتى ماتوا . ثم نهى بعد ذلك عن المثلة ، لأن الحدود فى ذلك الوقت لم تكن نزلت عليه ، فاقتص منهم بأشد القصاص لغدرهم ، وسوء مكافأتهم بالاحسان اليهم ، وقتلهم رعاءه ، وسوقهم الابل . ثم نزلت الحدود ونهى عن المثلة .

❊ ومن الفقهاء من يذهب الى أن البيضة فى هذا الحديث بيضة الحديد التى تغفر الرأس فى الحرب ، وأن الحبل من حبال السفن . قال وكل واحد من هذين يبلغ دنانير كثيرة . وهذا التأويل لا يجوز عند من يعرف اللغة ومخارج كلام العرب ، لأن هذا ليس موضع تكثير لما يسرق السارق ، فيصرف الى بيضة تساوى دنانير ، وحبل عظيم لا يقدر على حمله السارق ، ولا من عادة العرب والعجم أن يقولوا قبح الله فلانا فانه عرض نفسه للضرب فى عقد جوهر ، وتعرض (١٩٠) لعقوبة الغلول فى جراب مسك ، وانما العادة فى مثل هذا أن يقال لعنه الله تعرض لقطع اليد فى حبل رث ، أو كبة شعر ، أو اداوة (أو ثوب) (١٩١) خلق . وكلما كان من هذا أحقر كان أبلغ .

❊ ❊ ❊

٣٤ — (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تعوذ بالله من الفقر ، وقال « أسألك غناى وغنى

---

(١٨٨) العرنيون . قوم من قبيلة عرينة . كانوا قد استوخموا المدينة ومرضوا ، فامرهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى لقاح له فيشربوا من أبوالها . فخرجوا وقتلوا رعاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستاقوا الابل .. وعاقبهم بتلك العقوبة أن ينزل القرآن بعقوبة المحاربين .

(١٨٩) سمل أعينهم : فقأها بحديدة محماة .

(١٩٠) فى المخطوطة (وعرض نفسه) .

(١٩١) سقطت من المطبوعتين .

مولاى ». ثم رويتم أنه قال : « اللهم أحينى مسكينا ، وأمتنى مسكينا ، واحشرنى فى زمرة المساكين » . وقال « الفقر بالمؤمن احسن من العذار الحسن على خد الفرس » . قالوا وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا اختلاف بحمد الله تعالى ، وقد غلطوا فى التأويل ، وظلموا فى المعارضة ، لأنهم عارضوا الفقر بالمسكنة ، وهما مختلفان ، ولو كان قال : اللهم احينى فقيرا وأمتنى فقيرا واحشرنى فى زمرة الفقراء ، كان ذلك تناقضا ، كما ذكروا . ومعنى المسكنة فى قوله احشرنى مسكينا : التواضع والاخبات ، كانه سأل الله تعالى ألا يجعله من الجبارين والمتكبرين ، ولا يحشره فى زمرتهم . والمسكنة حرف مأخوذ من السكون ، يقال تمسكن الرجل اذا لان وتواضع وخشع وخضع ، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم للمصلى : « تبأس وتمسكن وتقنع(١٩٢) رأسك » يريد تخشع وتواضع لله عز وجل . والعرب تقول : بى المسكين نزل الأمر . لا يريدون معنى الفقر ، انما يريدون معنى الذلة والضعف . وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم لقيلة : «يا مسكينة» لم يرد يا فقيرة وانما أراد معنى الضعف .

* ومن الدليل على ما أقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان سأل الله عز وجل المسكنة التى هى الفقر لكان الله تعالى قد منعه ما سأله ، لأنه قبضه غنيا موسرا بما أفاء الله عليه عز وجل ، وان كان لم يضع درهما على درهم . ولا يقال لمن ترك مثل بساتينه بالمدينة وأمواله ، ومثل فدك ، أنه مات فقيرا ، والله عز وجل يقول : « **ألم يجدك يتيما فآوى . ووجدك ضالا فهدى . ووجدك عائلا فأغنى** »(١٩٣) . والعائل الفقير ، كان له عيال أو لم يكن . والمعيل ذو العيال ، كان له مال أو لم يكن . فحال النبى صلى الله عليه وسلم عند مبعثه وحاله عند مماته يدلان على ما قال الله عز وجل ، لأنه بعث فقيرا وقبض

---

(١٩٢) تبأس : أظهر البؤس والفقر الى الله . وتقنع رأسك ، أى : اخفض رأسك تواضعا لله عز وجل .

(١٩٣) الضحى : ٦ — ٨ .

غنيا ، ويدل على أن المسكنة التى كان يسالها ربه عـز وجل ليسـت بالفقر ٠

*وأما قوله : ان الفقر بالمؤمن أحسن من العذار الحسن على خد الفرس ، فان الفقر مصيبة من مصائب الدنيا عظيمة ، وآفة من آفاتها اليمة ، فمن صبر على المصيبة لله تعالى ورضي بقسمه زانة الله تعالى بذلك فى الدنيا ، وأعظم له الثواب فى الآخرة ٠ وانما مثل الفقر والغنى مثل السقم والعافية ، فمن ابتلاه الله تعالى بالسقم فصبر كان كمن ابتلى بالفقر فصبر (١٩٤) ، وليس ما جعل الله تعالى فى ذلك من الثواب بمانعنا من أن نسال الله العافية ، ونرغب اليه فى السلامة ٠

وقد ذهب قوم يفضلون الفقر على الغنى الى أنه كان يتعوذ بالله تعالى من فقر النفس ، واحتجوا بقول الناس فلان فقير النفس ، وان كان حسن الحال ، وغنى النفس وان كان سيىء الحال ٠ وهذا غلط ٠ ولا نعلم أن أحدا من الأنبياء ولا من صحابتهم ولا العباد ولا المجتهدين كان يقول : اللهم أفقرنى ولا أزمنى (١٩٥) ولا بذلك استعبدهم الله عز وجل ، بل استعبدهم بأن يقولوا اللهم ارزقنـا ، اللهم (١٩٦) عافنا ٠ وكانوا يقولون اللهم لا تبلنـا الا بالتى هى أحسن ، يريدون لا تختبرنا الا بالخير ، ولا تختبرنا بالشر ، لأن الله تعالى يختبر عباده بهما ، ليعلم كيف شكرهم وصبرهم ٠ وقال : « **ونبلوكم بالشر والخير فتنة** »(١٩٧) أى اختبارا ٠ وكان مطرف يقول : لأن أعافى فأشـكر أحب الى من أن أبتلى فأصبر ٠

---

(١٩٤) قالوا : ان من صبروا على الفقر رأوا فيه خفة الظهر من الحساب يوم القيامة ، وعـدم الوقوف للمساءلة ٠ والبراءة من الحقـوق المتعلقة بالغير من الأموال والأعراض ، ومن شغل القلب عن الله بالحفظ والتكثير ٠ ٠ وهذا كله بشرط أن يكون الصبر جميلا ٠ أى دون حرج فى الصدر ، ونزوع الى المال ٠ ٠ وهو مقام عظيم ٠

(١٩٥) أزمنى : فعل أمر الزمانة آخره ياء المتـكلم ٠ أى : اجعلنى صـاحب مرض مزمن ٠

(١٩٦) فى المطبوعة : ارزقنى ٠٠ عافنى ٠٠ وما أثبتناه اليق بالسياق ٠

(١٩٧) الأنبيـاء : ٣٥ ٠

* (قال أبو محمد) وقد ذكرت هذا فى كتاب غريب الحديث بأكثر من هذا الشرح ولم أجد بدا من ايداعه فى هذا الكتاب أيضـا ليكون جامعا للفن الذى قصدنا له .

* * *

٣٥ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن » . ثم رويتم انه قال : « من قال لا اله الا الله فهو فى الجنة ، وان زنى وان سرق » . وفى هذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا بنعمة الله تناقض ولا اختلاف ، لأن الايمان فى اللغة التصديق يقول الله تعالى : « **وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين** »(١٩٨) أى بمصدق لنا . ومنه قول الناس : ما أومن بشيء مما تقول . أى ما أصدق به .

* والموصوفون بالايمان ثلاثة نفر :

رجل صدق بلسانه دون قلبه كالمنافقين ، فيقول : قد آمن كما قال الله تعالى فى المنافقين : « **ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا** »(١٩٩) . وقال : « **ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى** »(٢٠٠) ثم قال « **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** »(٢٠١) لأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر . ولو كان أراد بالذين آمنوا ههنا المسلمين لم يقل : « **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** » ، لأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، وانما أراد المنافقين الذين آمنوا بألسنتهم والذين هادوا والنصارى . ولا نقول له مؤمن ، كما أنا لا نقول للمنافقين مؤمنون ، وان قلنا قد آمنوا ، لأن ايمانهم لم يكن عن عقد ولا نية . وكذلك نقول لعاصي الأنبياء صلى الله عليه وسلم : عصي وغوى ، ولا نقول عاص ولا غاو لأن ذنبه لم يكن عن ارهاص ولا عقد كذنوب أعداء الله عز وجل .

---

(١٩٨) يوسف : ١٧ .
(١٩٩) المنافقون : ٣ .
(٢٠٠) الحج : ١٧ .
(٢٠١) البقرة : ١٢٦ .

* ورجل صدق بلسانه وقلبه مع تدنس بالذنوب ، وتقصير فى الطاعات ، من غير اصرار . فنقول : قد آمن ، وهو مؤمن ما تناهى عن الكبائر ، فاذا لابسها لم يكن فى حال الملابسة مؤمنا - يريد مستكمل الايمان . ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم قال « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن » يريد فى وقته ذلك ، لأنه قبل ذلك الوقت غير مصر ، فهو مؤمن ، وبعد ذلك الوقت غير مصر ، فهو مؤمن تائب . ومما يزيد فى وضوح هذا الحديث الآخر « اذا زنى الزانى سلب الايمان ، فان تاب ألبسه » .

* ورجل صدق بلسانه وقلبه ، وأدى الفرائض ، واجتنب الكبائر ، فذلك المؤمن حقا ، المستكمل شرائط الايمان . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لم يؤمن من لم يأمن جاره بوائقه » . يريد ليس بمستكمل الايمان - وقال : « لم يؤمن من لم يأمن المسلمون من لسانه ويده » أى ليس بمستكمل الايمان . وقال : « لم يؤمن من بات شبعان وبات جاره طاويا » أى لم يستكمل الايمان .

وهذا شبيه بقوله « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله تعالى عليه » يريد لا كمال وضوء ، ولا فضيلة وضوء . وكذلك قول عمر رضي الله عنه : « لا ايمان لمن لم يحج » . يريد لا كمال ايمان ، والناس يقولون فلان لا عقل له . يريدون ليس هو مستكمل العقل ، ولا دين له . أى ليس بمستكمل الدين .

* وأما قوله صلى الله عليه وسلم : « من قال لا اله الا الله فهو فى الجنة وان زنى وان سرق » فانه لا يخلو من وجهين :

أحدهما : أن يكون قاله على العاقبة ، يريد أن عاقبة أمره الى الجنة ، وان عذب بالزنا والسرقة . والآخر : أن تلحقه رحمة الله تعالى وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيصير الى الجنة بشهادة ألا اله الا الله .

* حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه عن جده عن الحسن أنه قال : لا اله الا الله ثمن الجنة .

* وحدثنى محمد بن يحيى القطعى قال أخبرنا عمر بن على عن موسى بن المسيب الثقفى قال سمعت سالم بن أبى الجعد يحدث عن المعرور ابن سويد عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يقول ربكم : ابن آدم ، انك ان تأتنى بقراب الأرض خطيئة بعد أن لا تشرك بى شيئا جعلت لك قرابها مغفرة ولا أبالى » .

*وحدثنى أبو مسعود الدارمى هو من ولد خراش قال حدثنى جدى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتى الجنة ، فاخترت الشفاعة ، لانها أعم وأكثر لعلكم ترون أن شفاعتى للمتقين ، لا ولكنها للمتلطخين بالذنوب »(٢٠٢) .

* * *

٣٦ — (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن حماد عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : كنت أفرك المنى من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصلى فيه ، فاستجاز بروايتكم هذه قوم فرك المنى من الثوب والصلاة فيه ، وجعلوه سنة .. ثم رويتم عن عمرو بن ميمون بن مهران عن سليمان بن يسار قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول : انها كانت تغسل أثر المنى من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : ثم أراه فيه بقعة أو بقعا . فابى قوم فرك المنى بروايتكم هذه ولم يستجيزوا الا غسله من الثوب اذا ارادوا الصلاة فيه . وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا تناقض ولا اختلاف لأن عائشة رضي الله عنها كانت تفركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يابسا ، والفرك لا يقع الا على يابس ، وكان ربما بقى فى شعاره حتى ييبس ، وهو ييبس فى مدة يسيرة ، لاسيما فى

---

(٢٠٢) ليس معنى هذا أن ينساق الانسان وراء شهواته ، ويمعن فى اهمال الفرائض والواجبات استنادا الى الشفاعة .. بل ان الشفاعة لمن قوى ايمانهم ، وعرفوا ربهم ، ثم غلبوا على أمرهم دون اصرار .

الصيف ، وكانت تغسله اذا رأته رطبا ، والرطب لا يجوز أن يفرك ، ولا بأس على من تركه الى أن يجف ثم فركه . أخبرنى اسحق بن ابراهيم المعروف بابن راهويه : أن السنة مضت بفرك المنى .

* * *

٣٧ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أيما اهاب دبغ فقد طهر » وأنه مر بشاة ميتة فقال : « الا انتفعوا باهابها » فأخذ قوم من الفقهاء بذلك ، وأفتوا به .. ثم رويتم انه قال : « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » . فأخذ قوم من الفقهاء بهذا وأفتوا به . وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقـول : انه ليس ههنا بحمـد الله تناقض ولا اختلاف ، لأن الاهاب فى اللغة الجلد الذى لم يدبغ ، فاذا دبغ زال عنه هذا الاسم . وفى الحديث أن عمر رضي الله عنـه دخـل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت أهب(٢٠٣) عطنة ، يريد جلودا منتنة لم تدبغ . وقالت عائشة رضي الله عنها فى أبيها رضي الله عنه : قرر الرؤوس على كواهلها ، وحقن الدماء فى أهبها ، يعنى فى الأجساد فكنت عن الجسد بالاهاب ، ولو كان الاهاب مدبوغا لم يجز أن تكنى به عن الجسد ، وقال النابغة الجعدى يذكر بقرة وحشية أكل الذئب ولها وهى غائبة عنه ثم أتته :

فلاقت بيـانا عنـه أول معهـد اهابا ومعبوطا من الجوف أحمرا

* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أيما اهاب دبغ فقـد طهر » ثم مر بشاة ميتة فقال « الا انتفع أهلها باهابها » . يريد ألا دبغوه فانتفعوا به ثم كتب : « لا تنتفعوا من الميتة باهاب ولا عصب » يريد لا تنتفعوا به وهو اهاب حتى يدبغ ـ ويدلك على ذلك قوله « ولا عصب » لأن العصب لا يقبل الدباغ ، فقرنه بالاهاب قبل أن يدبغ . وقد جاء هذا

---

(٢٠٣) أهب بضمتين . جمع اهاب .

مبينا فى الحديث . روى أبن عيينة عن الزهرى عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاة لمولاة لميمونة فقال : « ألا أخذوا اهابها فدبغوه وانتفعوا به » .

***

٣٨ — (قالوا حديثان متناقضان) قالوا رويتم عن الأشعث عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلى فى شعرنا أو لحفنا .. ثم رويتم عن وكيع عن طلحة بن يحيى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالليل وأنا الى جانبه وأنا حائض ، وعلى مرط لى (٢٠٤) وعليه بعضه . وهذا تناقض واختلاف .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذين الحديثين اختلاف ولا تناقض ، لأنه قيل فى الحديث الأول كان لا يصلى فى شعرنا ، وهو جمع شعار ، والشعار : ما ولى الجسد من الثياب . ولا يسمى شعارا حتى يلى الجسد ، ويدلك على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصار : « أنتم لى شعار ، والناس دثار » . يريد أنكم أقرب الناس الى ، كالشعار الذى يلى الجسد ، والناس دثار ، أى أبعد منكم ، كما أن الدثار فوق الشعار . والشعار يصيبه المنى والعرق والندى اذا كان بالمرء قاطر بول ، أو بدرت منه بادرة ، فكان لا يصلى فى شعر نسائه لما لا يؤمن أن ينالها اذا هو جامع أو اذا استثقلت المرأة ، أو اذا حاضت من الدم . وقيل فى الحديث الثانى : انه كان يصلى بالليل وأنا الى جانبه وعلى مرط لى ، وعليه بعضه والمرط لا يكون شعارا كما يكون الازار شعارا ، لأنه كساء من صوف وربما كان من شعر، وربما كان من خز ، وانما يلقى فوق الازار .

* (قال أبو محمد) ومما يوضح لك هذا حديث حدثنيه عبدة

---

(٢٠٤) المرط كساء خز أو صوف .

ابن عبد الله قال حدثنا محمد بن بشر العبدى قال حدثنا ذكريا بن أبى زائدة عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنهـا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود ٠ والمرحل الموشي ٠ ويقال لذلك العمـل الترحيل قال امرؤ القيس وذكر امرأته :

فقمت بهـا أمشي تجـر وراءنا على أثرينـا ذيل مرط مرحـل

ومما يوضح لك أن المرط لم يكن شعارا لعائشة رضي الله عنها : أنها قالت : كان يصلى وعليه بعض المرط وعليها بعضـه ٠ ولو كان شـعارا لانكشفت منه لأن الشـعار لطيف لا يصلح لأن يصلى فيـه ، وتكون هى مستورة به ٠

* * *

٣٩ – (قالوا حديث تكذبه حجة العقل والنظر) قالوا : رويتم أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم سـحر ، وجعـل سـحره فى بئر ذى أروان(٢٠٥) وأن عليا كرم الله وجهه استخرجه ، وكلما حل منـه عقدة وجد النبى صلى الله عليه وسلم خفة ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم كأنما أنشط من عقال ٠ ٠ وهذا لا يجوز على نبى الله صلى الله عليه وسلم ، لأن السحر كفر ، وعمـل من أعمال الشـيطان فيما يذكرون ، فكيف يصل الى النبى صلى الله عليه وسلم مع حياطة الله تعالى له ، وتسديده اياه بملائكته ، وصونه الوحى عن الشـيطان ، والله تعـالى يقول فى القرآن : «**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**»(٢٠٦) ٠ وأنتم تزعمون أن الباطل ههنا هو الشيطان ٠ وقال : « **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ٠ الا من ارتضي من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا** »(٢٠٧) ٠ أى يجعل بين يديه وخلفه رصدا من الملائكة يحفظونه ويصونون الوحى عن أن يدخل فيه الشـيطان ما ليس

---

(٢٠٥) بئر ذروان بفتح الذال وسكون الراء ٠ أو ذى أروان : بئر لبنى زريق بالمدينة ٠

(٢٠٦) فصـلت : ٤٢ ٠

(٢٠٧) الجـن : ٢٦ ، ٢٧ ٠

منه . وذهبوا فى السحر الى أنه حيلة يصرف بها وجه المرء عن اخيه، ويفرق بها بين المرء وزوجه ، كالتمائم(٢٠٨) والكذب ، وقالوا : هذه رقى (٢٠٩) ، ومنه السم يسقاه الرجل فيقطعه عن النساء ، ويغير خلقه ، وينثر شعره ولحيته ، والى أن سحرة فرعون خيلوا لموسي صلى الله عليه وسلم ما أروه ، قالوا ومثل ذلك انا نأخذ الزئبق فنفرغه فى وعاء كالحية ، ثم نرسله فى موضع جار ، فينساب انسياب الحية . قالوا : ومن الدليل على ذلك قول الله تعالى : « **فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى** » (٢١٠) . انما هو تخييل وليس ثم شيء على حقيقته . وقالوا فى قول الله تعالى : « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت** »(٢١١) . هو بمعنى النفى أى لم ينزل ذلك . وقالوا الملكين بكسر اللام وذكروا عن الحسن انه كان يقرؤها كذلك ويقول علجان من أهل بابل .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الذى يذهب الى هذا مخالف للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب ، ومخالف للأمم كلها ، الهند وهى أشدها ايمانا بالرقى ، والروم والعرب فى الجاهلية وفى الاسلام ، ومخالف للقرآن ، معاند له بغير تأويل ، لأن الله جل وعز قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : « **قل أعوذ برب الفلق . من شر ما خلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد** » (٢١٢) فاعلمنا : أن السواحر ينفثن فى عقد يعقدنها ، كما يتفل الراقى والمعوذ . وكانت قريش تسمى السحر العضه(٢١٣) ولعن

---

(٢٠٨) التمائم جمع تميمة . وهو : ما يتقى به السحر من المكتوب والمقروء

(٢٠٩) الرقى جمع رقية . وهى : ما يتعوذ به من الكلام .

(٢١٠) طـه : ٦٦ . (٢١١) البقرة : ١٠٢ .

(٢١٢) الفلق : ١ — ٤ .

(٢١٣) العضه بكسر أوله وفتح ثانيه : الكذب والسحر . والعاضة الساحر. والجمع : عضون بكسر أوله .

رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة ، يعنى بالعاضهة الساحرة وبالمستعضهة التى تسالها أن تسحر لها . وقال الشاعر :

أعــوذ بربى مــن النافثـــا ت فى عقــد العاضــه المعضه(٢١٤)

يعنى السواحر . وقد روى ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنهــا : وهــذا طريق مرضي صحيح أنه قال حين سحر : « جاءنى رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما : ما وجع الرجــل ؟ قال : مطبــوب(٢١٥) فقال : من طبه ؟ قال : لبيــد بن الأعصم . قال : فى أى شيء ؟ قال : فى مشــط ومشاطة ، وجف(٢١٦) طلعة ذكر . قال : وأين هــو ؟ قال : فى بئر ذى أروان » . وليس هذا مما يجتر(٢١٧) الناس به الى أنفسهم نفعا ، ولا يصرفون عنها ضرا ، ولا يكسبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء ومدحا ، ولا حملة هذا الحديث كذابين ، ولا متهمين ، ولا معادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وما ينكر أن يكون لبيــد بن الأعصم هذا اليهودى سحر رسول الله صلى الله عليــه وسلم وقد قتلت اليهــود قبله زكريا بن آذن فى جوف شجرة ، قطعته قطعــا بالمناشــير . وذكر وهب بن منبه — أو غيره — أنه عليه السلام لما وصل المنشار الى أضلاعه أن ، فأوحى الله تعالى اليه : اما أن تكف عن أنينك ، واما أن أهلك الأرض ومن عليها . وقتلت بعده ابنه يحيى يقول بغى واحتيالهــا فى ذلك . وادعت — يعنى اليهود — أنها قتلت المسيح وصلبته ، ولو لم يقل الله تعالى : « **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** »(٢١٨) لم نعلم نحن أن ذلك شبهه ، لأن اليهود أعداؤه ، وهم يدعون ذلك ، والنصارى

---

(٢١٤) المعضه : اسم فاعل من اعضه .

(٢١٥) مطبوب : مسحور .

(٢١٦) جف طلعة ذكر . وعاء الطلع الذى يكون فيه .

(٢١٧) يجتر الناس به نفعا : يجرون الى انفسهم نفعا .

(٢١٨) النســاء : ١٥٧ .

أولياؤه وهم يقرون لهم به . وقتلت الأنبياء وطبختهم وعذبتهم بأنواع العذاب . ولو شاء الله جل وعز لعصمهم منهم .

وقد سم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذراع شاة مشوية ، سمته يهودية ، فلم يزل السم يعاوده ، حتى مات وقال صلى الله عليه وسلم : « مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى » . فجعل الله تعالى لليهودية عليه السبيل حتى قتلته . ومن قبل ذلك ما جعل الله لهم السبيل على النبيين .

والسحر أيسر خطبا من القتل والطبخ والتعذيب ، فان كانوا انما انكروا ذلك لأن الله تعالى لا يجعل للشيطان على النبى صلى الله عليه وسلم سبيلا ، ولا على الأنبياء ، فقد قرأوا فى كتاب الله تعالى : **« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته »**(٢١٩) يريد اذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته . يعزيه عما ألقاه الشيطان على لسانه حين قرأ فى الصلاة « وتلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى » . غير انه لا يقدر أن يزيد فيه أو ينقص منه ، أما تسمعه يقول : **« فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته »**(٢١٩) أى يبطل ما ألقاه الشيطان ، ثم قال **« ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض »**(*) . وكذلك قوله فى القرآن **« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه »** (٢٢٠) . أى لا يقدر الشيطان أن يزيد فيه أولا ولا آخرا .

* (قال أبو محمد) حدثنى أبو الخطاب حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان جبريل عليه السلام أتانى فقال : ان عفريتا من الجن يكيدك ، فاذا أويت الى فراشك فقل : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم »**(٢٢١) حتى تختم آية الكرسي » وقد حكى الله تعالى عن أيوب صلى الله عليه وسلم فقال : **« أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب »**(٢٢٢) .

---

(٢١٩) الحج : ٥٢ .
(٢٢٠) فصلت : ٤٢ .
(٢٢٢) سورة ص : ٤١ .
(*) الحج : ٥٣ .
(٢٢١) البقرة : ٢٢٥ .

* (قال أبو محمــد) وأما قولهم فى الســـحر الذى رآه موسي صلى الله عليه وسلم : انه تخييل اليه وليس على حقيقته ، فما ننــكر هذا ولا ندفعه ، وانا لنعلم أن الخــلائق كلهــا لو اجتمعوا على خلق بعوضة لما استطاعوا ، غير أنا لا ندرى أهــو بالزئبق الذى ادعوا انهم جعلوه فى سلوخ الحيات حتى جرت أم بغيره . ولا يعلم حقيقة هــذا الا من كان ساحرا ، أو من سمع فيه شيئا من السحرة .

* وأما قولهم فى قول الله تبــارك وتعــالى : « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** » ثم قال « **يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين** »(٢٢٣) ان تأويله ولم ينزل على الملكين ببـــابل ، فليس هذا بمنكر من تأويلاتهم المستحيلة المنكوســة ، فاذا كان لم ينزل على الملكين ببابل هاروت وماروت صار الكلام فضلا لا معنى له ، وانما يجوز بأن يدعى مدع أن السحر أنزل على الملكين ويكون فيما تقدم ذكر ذلك ، أو دليل عليه ، فيقول الله تعــالى : اتبعـــوا ذلك ، ولم ينزل على الملكين كما ذكروا . ومثال هذا أن يقول مبتدئا علمت هـــذا الرجــل القرآن وما أنزل على موسي عليه السلام ، فلا يتوهم ســامع هــذا أنك أردت أن القرآن لم ينزل على موسي عليه السلام ، لأنه لم يتقدمه قول أحد انه أنزل على موسي عليه السلام ، وانما يتوهم السامع أنك علمته القرآن والتوراة .

وتأويل هذا عندنا مبين بمعرفة الخبر المروى فيه . وجملته على ما ذكر ابن عباس أن سليمان صلى الله عليــه وسلم لمــا عوقب وخلفــه الشيطان فى ملكه ، دفنت الشياطين فى خزانته وموضع مصلاه سحرا ، وأخذا(٢٢٤) ونيرنجات (٢٢٥) فلما مات سليمان صلى الله عليه وسلم جاءت الشياطين الى الناس فقالوا : الا ندلكم على الأمر الذى سخرت به لسليمان الريح والجن ، ودانت له به الانس ؟ قالوا : بلى . فأتوا

---

(٢٢٣) البقــرة : ١٠٢ .

(٢٢٤) الأخذ بضم الهمزة والخاء جمع أخذة بضم الأول ، وهى الرقية .

(٢٢٥) النيرنج ، وجمعه نيرنجات : أخذ كالسحر وليس سحرا .

مصلاه وموضع كرسيه فاستخرجوا ذلك منه ٠ فقال العلماء من بنى اسرائيل : ما هذا من دين الله ، وما كان سليمان ساحرا ٠ وقال سفلة الناس : سليمان كان أعلم منا فسنعمل بهذا كما عمل فقال الله تعالى : « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان** » ٠ أى اتبعت اليهود ما ترويه الشياطين ٠ والتلاوة والرواية شيء واحد ٠ ثم قال : « **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين** »(٢٢٦) ٠ وهما ملكان أهبطا الى الأرض حين عمل بنو آدم بالمعاصي ليقضيا بين الناس وألقى فى قلوبهما شهوة النساء ، وأمرا ألا يزنيا ولا يقتلا ولا يشربا خمرا ، فجاءتهما الزهرة تخاصم اليهما فاعجبتهما ، فأراداها ، فأبت عليهما حتى يعلماها الاسم الذى يصعدان به الى السماء فعلماها ، ثم أراداها فأبت حتى يشربا الخمر فشرباها ، وقضيا حاجتهما ، ثم خرجا فرأيا رجلا فظنا أنه قد ظهر عليهما فقتلاه ، وتكلمت الزهرة بذلك الاسم فصعدت ، فخنست ، وجعلها الله شهابا ، وغضب الله تعالى على الملكين فسماهما هاروت وماروت ، وخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا ، فهما يعلمان الناس ما يفرقون به بين المرء وزوجه ٠

والذى أنزل الله عز وجل على الملكين فيما يرى أهل النظر ـ والله اعلم ـ هو الاسم الأعظم الذى صعدت به زهرة ، وكانا به قبلها وقبل السخط عليهما يصعدان الى السماء ، فعلمته الشياطين فهى تعلمه أولياءها ، وتعلمهم السحر ، وقد يقال ان الساحر يتكلم بكلام فيطير بين السماء والأرض ويطفو على الماء ٠

* (قال أبو محمد) حديثى زيد بن أخزم طائى قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا همام عن يحيى بن كثير أن عامل عمان كتب الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : أنا أتينا بساحرة فالقيناها فى الماء فطفت ، فكتب اليه عمر بن عبد العزيز : لسنا من الماء فى شيء ، ان قامت البينة والا فخل سبيلها ٠

---

(٢٢٦) البقرة : ١٠٢ ٠

وحدثنى زيد بن أخزم الطائى قال حدثنا عبد الصمد قال حدثنا زيد بن أبى ليلى قال حدثنا عميرة بن شكير قال : كنا مع سنان بن سلمة بالبحرين ، فاتى بساحرة ، فامر بها فالقيت فى الماء فطفت ، فامر بصلبها ، فنحتنا جذعا فجاء زوجها كانه سفود(٢٢٧) محترق ، فقال : مرها فلتطلق عنى . فقال لها : أطلقى عنه . فقالت : نعم ائتنونى بباب وغزل ، فقعدت على الباب وجعلت ترقى فى الغزل وتعقد ، فارتفع الباب فأخذا يمينا وشمالا فلم يقدر عليهما .

وحدثنا أبو حاتم عن الأصمعى قال أخبرنى محمد بن مسلم الطائفى(٢٢٨) فى حديث ذكره أن الشياطين لا تستطيع أن تغير خلقها ولكنها تسحره .

وحدثنى أبو حاتم قال قال الأصمعى عن أبى عمرو بن العلاء ان الغول ساحرة الجن . وحدثنا أبو الخطاب قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت منصورا يذكر عن ربعى بن خراش عن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لأنا أعلم بما مع الدجال ، ان معه نارا تحرق ، ونهر ماء بارد ، فمن أدركه منكم فلا يهلكن به ، وليغمض عينه ، وليقع فى التى يراها نارا فانها نهر ماء بارد » .

وحدثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن أبى الزناد قال جاءت امرأة تستفتى فوجدت النبى صلى الله عليه وسلم قد توفى ولم تجد الا امرأة من نسائه ـ يقال انها عائشة رضي الله عنها ـ فقالت لها : يا أم المؤمنين ، قالت لى امرأة : هل لك أن أعمل لك شيئا يصرف وجه زوجك اليك ، وظنه قال : فاتت بكلبين فركبت واحدا وركبت الآخر ، فسرنا ما شاء الله

---

(٢٢٧) السفود : حديدة يشوى عليها الشواء .

(٢٢٨) فى المطبوعتين (محمد بن سليم الطائى) خطا . واشار محقق البيروتية الى ما فى النسخة المصرية ولكنه لم يعثر على محمد بن مسلم فى مصادره . وفى المغنى للذهبى ٦٣٣/٢ اثنان باسم محمد بن مسلم الطائفى : أولهما مشهور وثقه ابن معين وضعفه أحمد وليس له فى صحيح مسلم الا حديث ترك الوضوء مما مست النار . والثانى شيخ عبد الله بن أحمد بن حنبل : صدوق .

ثم قالت : أتدرين أنك ببابل ، ودخلت على رجل ـ أو قالت رجلين ـ فقالا لها : بولى على ذلك الرماد ، قالت : فذهبت فلم أبل ، ورجعت اليهما . فقالا لى : ما رأيت ؟ قالت : ما رأيت شيئا . قالا : أنت على رأس أمرك قــالت : فرجعــت فتشــددت ثم بلت . فخــرج منى مثل الفارس المقنع ، فصعد فى السماء ، فرجعت اليهمـا فقــالا لى : ما رأيت ؟ فأخبرتهما فقالا : ذلك ايمانك قد فارقـك ، فخرجت الى المرأة فقلت : والله ما علمانى شيئا ، ولا قالا لى كيف أصنع ، قالت : فما رأيت ؟ قلت كذا . قالت : أنت أســحر العرب اعملى وتمنى . قالت فقطعت جداول وقالت احقل (٢٢٩) فاذا هو زرع يهتز فقالت : أفرك (٢٣٠) فاذا هو قد يبس قالت فأخذته ففركته وأعطتنيه فقالت : جشي(٢٣١) هذا واجعليه سويقا واسقيه زوجك فلم أفعل شيئا من ذلك وانتهى الشأن الى هـذا . فهـل لى من توبة . قالت ورأت رجـلا من خزاعة كان يسكن أمج(٢٣٢) فقالت : يا أم المؤمنين هذا أشبه الناس بهاروت وماروت .

(قال أبو محمد) وقد روى هذا ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضي الله عنها .

* (قال أبو محمد) وهذا شيء لم نؤمن به من جهــة القيــاس ولا من جهة حجة العقل وانما آمنا به من جهة الكتب وأخبــار الأنبياء صلى الله عليهم وسلم ، وتواطؤ الأمم فى كل زمان عليه ، خلا هــذه العصابة التى لا تؤمن الا بما أوجبه النظر ، ودل عليه القيــاس ، فيما شاهدوا ورأوا .

* وأما قول الحسن : انهما علجان من أهل بابل ، وقراءته الملكين بالكسر فهذا شيء لم يوافقه عليه أحـد من القراء ، ولا المتــاولين فيما

---

(٢٢٩) احقل : يعنى : كن حقلا ذا زرع .
(٢٣٠) افرك : كن ثمرا حان ان يفرك .
(٢٣١) جشي هذا : دقيه واجعليه سويقا .
(٢٣٢) أمج : مكان بين مكة والمدينة .

أعلم ، وهو أشد استكراها ، وأبعد مخرجا ، وكيف يجوز أن ينزل على علجين شيء يفرقان به بين المرء وزوجه .

* * *

٤٠ – (قالوا حديثان متدافعان متناقضان) قالوا رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «لا نبى بعدى ، ولا أمة بعد أمتى ، فالحلال ما أحله الله تبارك وتعالى على لسانى الى يوم القيامة ، والحرام ما حرمه الله تعالى على لسانى الى يوم القيامة » . ثم رويتم أن المسيح عليه السلام ينزل فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويزيد فى الحلال. وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول : قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : خاتم الأنبياء ، ولا تقولوا لا نبى بعده . وهذا تناقض .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذا تناقض ولا اختلاف ، لأن المسيح صلى الله عليه وسلم نبى متقدم رفعه الله تعالى ثم ينزله فى آخر الزمان . علما للساعة ، قال الله تعالى : « **وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها** » (٢٣٣) وقرأ بعض القراء « وانه لعلم للساعة »(*) . واذا نزل المسيح عليه السلام لم ينسخ شيئا مما أتى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يتقدم الامام من أمته ، بل يقدمه ، ويصلى خلفه . وأما قوله « يزيد فى الحلال » فان رجلا قال لأبى هريرة : ما يزيد فى الحلال الا النساء فقال : وذاك . ثم ضحك أبو هريرة .

* (قال أبو محمد) وليس قوله «يزيد فى الحلال» أنه يحل للرجل أن يتزوج خمسا ولا ستا ، وانما أراد أن المسيح عليه السلام لم ينكح النساء حتى رفعه الله تعالى اليه ، فاذا أهبطه تزوج امرأة فزاد فيما أحل الله له ، أى ازداد منه ، فحينئذ لا يبقى أحد من أهل الكتاب الا علم أنه عبد الله عز وجل ، وأيقن أنه بشر .

وأما قول عائشة رضي الله عنها : قولوا لرسول الله صلى الله عليه

---

(٢٣٣) الزخرف : ٦١ .　　　(*) بفتح العين واللام .

وسلم : خاتم الانبياء ، ولا تقولوا لا نبى بعده • فانها تذهب الى نزول عيسي عليه السلام ، وليس هذا من قولها ناقضا لقـول النبى صلى الله عليه وسلم لا نبى بعدى ، لأنه أراد لا نبى بعـدى ينسـخ ما جئت به ، كما كانت الأنبياء صلى الله عليهم وسلم تبعث بالنسـخ ، وأرادت هى لا تقولوا ان المسيح لا ينزل بعده(٢٣٤) •

* * *

٤١ ــ (قالوا حديثان متدافعان متناقضان) قالـوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى على المدين اذا لم يترك وفاء بدينه (٢٣٥) •• ثم رويتم أنه قال : « من ترك مالا فلأهله ومن ترك دينا فعلى » • وفى حديث آخر « من ترك كلا فالى الله ورسوله » يعنى عيـالا فقراء واطفـالا لا كافل لهم ، فكيف يترك الصـلاة على من الزم نفسه قضاء الدين عنه ، والقيام بأمر ولده وعياله بعده • وهذا تناقض •

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذا بحمد الله تعالى تناقض ، لأن تركه الصلاة على المـدين اذا لم يترك وفاء بدينـه كان ذلك فى صدر الاسلام ، قبل أن يفتح عليه الفتوح ، ويأتيه المال ، وأراد ألا يستخف الناس بالدين ، ولا يأخذوا ما لا يقدرون على قضائه • فلما أفاء الله عز وجل عليه وفتح له الفتوح وأتته الأموال جعل للفقراء والذرية نصيبا فى الفىء ، وقضي منه دين المسلم •

* * *

٤٢ ــ (قالوا حديثان متدافعان متناقضان) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم لم يرجم ماعزا حتى أقر عنـده بالزنا أربع مرات كل ذلك يعرض عنه ثم رجمه فى الرابعة • فأخذ بهـذا قوم من فقهائكم وقالوا : لا نرجم حتى يكون اقراره فى عدد الشهود عليه ، وبذلك كان يقـول على بن أبى طالب رضي الله عنـه •• ثم رويتم أنه

---

(٢٣٤) فى المخطوطة بعد هذا (الجزء الثانى) • أى من الكتاب •

(٢٣٥) فى المخطوطة (وفاء لدينه) •

رجلين تقدما الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : ان ابنى كان عسيفا(٢٣٦) على هذا ، وانه زنى بامرأته ، فافتديت منه بمائة شاة وخادم ، ثم انا سألنا رجالا من أهل العلم فقالوا : على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأة هذا الرجم . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله ، المائة شاة والخادم رد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، وعلى امرأة هذا الرجم » فقضي بينهما بذلك ، وقال : « أغد يا أنيس على امرأة هذا ، فان اعترفت فارجمها » . فاعترفت فرجمها . ولم يقل أحد انه قال أربع مرات فى مجلس ولا فى مجالس . وهذا مخالف لحديث ماعز .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا بحمد الله تعالى اختلاف ولا تناقض ، لأن اعراض النبى صلى الله عليه وسلم عن ماعز أربع مرات انما كان كراهية منه لاقراره على نفسه بالزنا ، وهتكه ستر الله تعالى عليه ، لا لأنه أراد أن يقر عنده أربع مرات . وراد أيضا أن يستبرىء أمره ، ويعلم أصحيح هو أم به جنة ، فوافق ما أراد من استبرائه أربع مرات . ولو وافق ذلك مرتين أو ثلاثا أو خمسا أو ستا ما كان فيه بينة تلزم .

ويدل على كراهته لاقرار الزانى عنده بالزنا رواية مالك عن زيد ابن أسلم فى رجل اعترف بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فجلد ، ثم قال : « يا أيها الناس ، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله تعالى ، فمن أتى من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله عز وجل ، فانه من أبدى لنا صفحته نقم عليه كتاب الله عز وجل » .

ويدل على أن الاعتراف قد يكون أكثر من الأربع وأقل اذا زالت الشبهة فى أمر المقر حديث يحيى بن سعيد عن هشام الدستوائى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى قلابة عن أبى المهلب عن عمران بن حصين قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته امرأة من جهينة وهى

---

(٢٣٦) العسيف : الأجير .

حامل من زنا ، فقالت : يا رسول الله انى أصبت حدا فاقمه على . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم وليها ، فأمره أن يحسن اليها ، فاذا وضعت حملها أتاه بها . فأتاه بها وقد وضعت ، فأمرها أن ترضع ولدها، فاذا فطمته أتته ، ففعلت ، فأتاه بها ، فأمر بها فشق عليها ثيابها ثم رجمت ثم صلى عليها . ولم يذكر فى هذا الحديث أنها اعترفت أربع مرات . وهذا شاهد للحديث الذى ذكر فيه أنه قال : « اغد يا أنيس على امرأة هذا ، فان اعترفت فارجمها » .

ومن الدليل أيضا أن ماعز بن مالك لما رجم ، جزع ففر ، فرجموه ، وأعلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعه فقال : « هلا رددتموه حتى أنظر فى أمره » . ولو كان اقراره أربع مرات هو الذى ألزمه الحد لما كان لقول النبى صلى الله عليه وسلم « هلا رددتموه» معنى ، لأنه قد أمضي فيه حكم الله تعالى ، ولا يجوز بعد اقراره أربع مرات أن يقبل منه رجوعه ان رجع ، واذا كان الاقرار بغير توقيت جاز له أن يرجع متى شاء ، وأن يقبل ذلك منه .

* * *

٤٣ ـ (قالوا أحكام قد أجمع عليها يبطلها القرآن ويحتج بها الخوارج ـ قالوا حكم فى الرجم يدفعه الكتاب) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ورجمت الأئمة بعده ، والله تعالى يقول فى الاماء « **فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** »(٢٣٧) . والرجم اتلاف للنفس لا يتبعض ، فكيف يكون على الاماء نصفه . وذهبوا الى أن المحصنات ذوات الأزواج ـ قالوا : وفى هذا دليل على أن المحصنة حدها الجلد .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان المحصنات لو كن فى هذا الموضع ذوات الأزواج لكان ما ذهبوا اليه صحيحا ، ولزمت به هذه

---

(٢٣٧) النساء : ٢٥ .

الحجة . وليس المحصنات ههنا الا الحرائر . وسمين محصنات وان كن أبكارا ، لأن الاحصان يكون لهن وبهن ، ولا يكون بالاماء ، فكأنه قال : فعليهن نصف ما على الحرائر من العذاب ـ يعنى الأبكار . وقد تسمى العرب البقرة « المثيرة » وهى لم تثر من الأرض شيئا ، لأن اثارة الأرض تكون بها دون غيرها من الأنعام . وتسمى الابل فى مراعيها هديا ، لأن الهدى الى الكعبة يكون منها ، فتسمى بهذا الاسم وان لم تهد .

ومما يشهد لهذا التأويل الذى تأولناه فى المحصنات وأنهن فى هذا الموضع الحرائر الأبكار قوله تعالى فى موضع آخر : « **ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ماملكت أيمانكم** »(٢٣٨). والمحصنات ههنا الحرائر ، ولا يجوز أن يكن ذوات الأزواج ، لأن ذوات الأزواج لا ينكحن .

* * *

٤٤ ـ (قالوا حكم فى الوصية يدفعه الكتاب) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا وصية لوارث » والله تعالى يقول : « **كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين** »(٢٣٩) . والوالدان وارثان على كل حال لا يحجبهما أحد عن الميراث ، وهذه الرواية خلاف كتاب الله عز وجل.

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذه الآية منسوخة ، نسختها آية المواريث . فان قال : وما فى آية المواريث من نسخها ، فانه قد يجوز أن يعطى الأبوان حظهما من الميراث ويعطيا أيضا الوصية التى يوصي بها لهما ؟ قلنا له : لا يجوز ذلك ، لأن الله تعالى جعل حظهما من ذلك الميراث المقدار الذى نالهما بالوراثة . وقال عز وجل بعد آية المواريث : « **تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى**

---

(٢٣٨) النساء : ٢٥ .   (٢٣٩) البقرة : ١٨٠ .

من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين »(٢٤٠) . فوعد على طاعته فيما حد من المواريث أعظم الثواب ، وأوعد على معصيته فيما حد من المواريث بأشد العقاب ، فليس لأحد أن يوصل الى وارث من المال أكثر مما حد الله تعالى وفرض . وقد يقال : انهـا منسـوخة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا وصية لوارث » . وسـنبين نسخ السنة للقرآن كيف يكون ان شاء الله تعالى .

* * *

٤٤ — (قالوا حكم فى النكاح يدفعه الكتاب) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها » . وأنه قال : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » . والله عز وجل يقول : « حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم » (٢٤١) . الى آخر الآية . ولم يذكر الجمع بين المرأة وعمتها وخالتهـا ، ولم يحـرم من الرضاع الا الأم المرضعة والأخت بالرضـاع ، ثم قال : « وأحـل لـكم ما وراء ذلكم »(٢٤٢) . فدخلت المرأة على عمتها وخالتها . وكل رضاع سوى الأم والأخت فيما أحله الله تعالى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الله عز وجل يختبر عباده بالفرائض ، ليعلم كيف طاعتهم أو معصيتهم ، وليجازى المحسن والمسيء منهم ، من غير أن يكـون فيما أحله أو حـرمه علة توجب التحليـل أو التحريم . وانما يقبح كل قبيح بنهى الله تعالى عنه ، ويحسن الحسن بأمر الله عـز وجـل به ، خلا أشياء جعل الله فى الفطر استقباحها ، كالكذب والسعاية والغيبة والبخل والظلم وأشباه ذلك .

فاذا جاز أن يبعث الله عز وجل رسولا بشريعة ، فتستعمل حقبا

---

(٢٤٠) النساء : ١٣ ، ١٤ (٢٤١) النساء : ٢٣
(٢٤٢) النساء : ٢٤

من الدهر ، ويكون المستعملون لها مطيعين لله تعالى ، ثم يبعث رسولا ثانيا بشريعة ثانية تنسخ تلك الأولى ، ويكون المستعملون لها مطيعين لله تعالى ، كبعثة موسى عليه السلام بالسبت ، ونسخ السبت بالمسيح عليه السلام ، وبعثه اياه بالختان فى اليوم السابع ، ونسخ ذلك ايضا بالمسيح عليه السلام ، جاز أيضا أن يفرض شيئا على عباده فى وقت ، ثم ينسخه فى وقت آخر ، والرسول واحد ، وقد قال عز وجل : « **ماننسخ من آية او ننسها نات بخير منها أو مثلها**»(٢٤٣) يريد بخير منها أسهل منها • واذا جاز أن ينسخ الكتاب بالكتاب ، جاز أن ينسخ الكتاب بالسنة ، لأن السنة يأتيه بها جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى، فيكون المنسوخ من كلام الله تعالى الذى هو قرآن ، بناسخ من وحى الله عز وجل الذى ليس بقرآن • ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أوتيت الكتاب ومثله معه » • يريد أنه أوتى الكتاب ومثل الكتاب من السنة • ولذلك قال الله عز وجل : «**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** »(٢٤٤) • وقد علم الله عز وجل أنا نقبل منه ما بلغناه عنه من كلام الله تعالى ، ولكنه علم أنه سينسخ بعض القرآن بالوحى اليه ، فاذا وقع ذلك قدح فى بعض القلوب ، وأثر فى بعض البصائر ؛ فقال لنا : « **وما آتاكم الرسول فخذوه** » • اى ما آتاكم به الرسول مما ليس فى القرآن أو مما ينسخ القرآن فاقبلوه •

* (قال أبو محمد) والسنن عندنا ثلاث •

سنة أتاه بها جبريل عليه السلام عن الله تعالى كقوله « لا تنكح المرأة على عمتها وخالتها » ، « ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » ، « ولا تحرم المصة ولا المصتان » ، و « الدية على العاقلة » وأشباه هذه من الأصول •

(والسنة الثانية) سنة أباح الله له أن يسنها ، وأمره باستعمال

---

(٢٤٣) البقرة : ١٠٦ (٢٤٤) الحشر : ٧

رأيه فيها ، فله أن يترخص فيها لمن شاء على حسب العلة ، والعذر ، كتحريمه الحرير على الرجال ، واذنه لعبد الرحمن بن عوف فيه لعلة كانت به ، وكقوله فى مكة : « لا يختلى خلاها ، ولا يعضد شجرها » فقال العباس بن عبد المطلب : يا رسول الله الا الاذخر(٢٤٥) فانه لقيوننا(٢٤٦) . فقال « الا الاذخر » . ولو كان الله تعالى حرم جميع شجرها لم يكن يتابع العباس على ما أراد من اطلاق الاذخر ، ولكن الله تعالى جعل له أن يطلق من ذلك ما رآه صلاحا ، فاطلق الاذخر لمنافعهم ، ونادى مناديه : « لا هجرة بعد الفتح » ثم أتاه العباس شفيعا فى أخى مجاشع بن مسعود ليجعله مهاجرا بعد الفتح ، فقال : « اشفع عمى ولا هجرة » . ولو كان هذا الحكم نزل لم تجز فيه الشفاعات . وقال : « عادى (٢٤٧) الأرض لله ولرسوله ، ثم هى لكم منى ، فمن أحيا مواتا فهو له» ـ وقال فى العمرة : «ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأهللت بعمرة » ـ وقال فى صلاة العشاء : « لولا أن أشق على أمتى لجعلت وقت هذه الصلاة هذا الحين » . ونهى عن لحوم الأضاحى فوق ثلاث ، وعن زيارة القبور ، وعن النبيذ فى الظروف . ثم قال : « انى نهيتكم عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث ، بدا لى أن الناس يتحفون ضيفهم ، ويحتبسون لغائبهم ، فكلوا وأمسكوا ما شئتم ، ونهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، ولا تقولوا هجرا(٢٤٨) فانه بدا لى أنه يرق القلوب . ونهيتكم عن النبيذ فى الظروف فاشربوا ولا تشربوا مسكرا» .

* (قال أبو محمد) ومما يزيد فى وضوح هذا : حديث حدثنيه محمد بن خالد بن خداش قال حدثنى مسلم بن قتيبة قال حدثنا يونس عن مدرك بن عمارة قال دخل النبى صلى الله عليه وسلم حائط رجل من الأنصار ، فرأى رجلا معه نبيذ فى نقير ، فقال : «أهرقه» فقال الرجل :

---

(٢٤٥) الاذخر : نبت طيب الرائحة تسقف به البيوت فوق الخشب .

(٢٤٦) القيون جمع قين وهو الحداد . وفى المخطوطة : لقبورنا .

(٢٤٧) نسبة الى عاد . وهى نسبة مشهورة لكل قديم عند العرب .

(٢٤٨) الهجر : الفاحش من القول .

أو تاذن لى أن اشربه (٢٤٩) ثم لا أعود ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « اشربه ولا تعد » . فهذه الأشياء تدلك على أن الله عز وجل أطلق له صلى الله عليه وسلم أن يحظر وأن يطلق . بعد أن حظر لمن شاء ، ولو كان ذلك لا يجوز له فى هذه الأمور لتوقف عنها ، كما توقف حين سئل عن الكلالة ، وقال للسائل : « هذا ما أوتيت ، ولست أزيدك حتى أزاد » وكما توقف حين أتته المجادلة فى زوجها تسأله عن الظهار، فلم يرجع اليها قولا وقال : « يقضي الله عز وجل فى ذلك » . وأتاه أعرابى وهو محرم وعليه جبة صوف وبه أثر طيب فاستفتاه ، فما رجع اليه قولا حتى تغشي ثوبه ، وغط غطيط الفحل ، ثم أفاق فأفتاه .

* (والسنة الثالثة) ما سنه لنا تاديبا ، فان نحن فعلناه كانت الفضيلة فى ذلك ، وان نحن تركناه فلا جناح علينا ان شاء الله . كأمره فى العمامة بالتلحى(٢٥٠) ، وكنهيه عن لحوم الجلالة ، وكسب الحجام ، وكذلك نقول فى تحريمه لحوم الحمر الأهلية ، وكل ذى ناب من السباع ، وذى مخلب من الطير ، مع قول الله جل وعز : « **قل لا أجد فى ما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به** »(٢٥١) أراد أنه لا يجد فى وقت نزول هذه السورة أكثر من هذا فى التحريم ، ثم نزلت المائدة ونزل فيها تحريم « **المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ماذكيتم** »(*) ، فزادنا الله تعالى فيما حرم بالكتاب ، وزادنا فى ذلك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريم سباع الوحش والطير والحمر الأهلية .

* وكذلك نقول فى قصر الصلاة فى الأمن مع قول الله تبارك وتعالى : « **فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم**

---

(٢٤٩) فى المخطوطة (تاذن لى فاشربه) .
(٢٥٠) فى المطبوعتين (فى العمة) . والتلحى رد طرف العمامة تحت اللحية ووصله من الجهة الأخرى .
(٢٥١) الأنعام : ١٤٥ (*) المائدة : ٣ ـ بلفظ « والمنخنقة » .

الذين كفروا »(٢٥٢) . أعلمنا أنه لا جناح علينا فى قصرنا مع الخوف ، وأعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لابأس بالقصر فى الأمن أيضا عن الله عز وجل . وكذلك المسح على الخفين مع قول الله تعالى : « **فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم** »(٢٥٣) .

وقد روى عيسي بن يونس عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير أنه قال : « السنة قاضية على الكتاب وليس الكتاب بقاض على السنة » . أراد انها مبينة للكتاب منبئة عما أراد الله تعالى فيه .

* * *

٤٥ – (قالوا حكم فى الغسل يوم الجمعة مختلف) قالوا : رويتم عن مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » . ثم رويتم عن همام عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ، ومن اغتسل فهو أفضل » . قالوا وهذا مخالف للأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان قوله « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » لم يرد به أنه فرض ، وانما هو شيء أوجبه على المسلمين ، كما يجب غسل العيدين على الفضيلة والاختيار ، ليشهدوا المجمع بأبدان نقية من الدرن(٢٥٤) ، سليمة من التفل(٢٥٥) وقد أمر مع ذلك بالتطيب ، وتنظيف الثوب ، وأن يلبس ثوبين لجمعته ، سوى ثوبى مهنته . وهذا كله اختيار منه وايجاب على الفضيلة ، لا على جهة الفرض .

ثم علم عليه السلام أنه قد يكون فى الناس العليل والمشغول ، ويكون فى البلد الشديد البرد الذى لا يستطاع فيه الغسل الا بالمشقة

---

(٢٥٢) النساء : ١٠١ (٢٥٣) المائدة : ٦

(٢٥٤) الدرن : الوسخ . (٢٥٥) التفل : تغير الرائحة .

الشديدة ، فقال : « من توضا فبها ونعمت » أى فجائز ، ثم بين بعد ذلك أن الغسل لمن قدر عليه أفضل ، كما نهى عن ادخار لحوم الأضاحى فوق ثلاث ثم قال : « بدا لى أن الناس كانوا يتحفون ضيفهم ، ويخبئون لغائبهم ، فكلوا وأمسكوا ما شئتم » ونهى عن زيارة القبور ثم قال : « بدا لى أن ذلك يرق القلوب ، فزوروها ولا تقولوا هجرا » .

* * *

٤٦ ـ (قالوا حديث يكذبه العيان) قالوا : رويتم عن ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان(٢٥٦) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لو جعل القرآن في اهاب ثم القى فى النار ما احترق » . قالوا : وهذا خبر لا نشك فى بطلانه ، لأنا قد نرى المصاحف تحترق وينالها ما ينال غيرها من العروض والكتب .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان لهذا تأويلا ذهب عليهم ولم يعرفوه ، وأنا مبينه ان شاء الله تعالى .

* حدثنى يزيد بن عمرو قال سألت الأصمعى عن هذا الحديث فقال : يعنى لو جعل القرآن فى انسان ثم ألقى فى النار ما احترق . وأراد الأصمعى : أن من علمه الله تعالى القرآن من المسلمين ، وحفظه اياه ، لم تحرقه النار يوم القيامة ان القى فيها بالذنوب ، كما قال أبو أمامة : « احفظوا القرآن ـ أو اقرأوا القرآن ـ ولا تغرنكم هذه المصاحف ، فان الله تعالى لا يعذب بالنار قلبا وعى القرآن » . وجعل الجسم ظرفا للقرآن كالاهاب . والاهاب : الجلد الذى لم يدبغ ، ولو كان الاهاب يجوز أن يكون مدبوغا ما جاز أن يجعله كناية عن الجسم . ومثله قول عائشة رضي الله عنها حين خطبت ووصفت أباها فقالت : قرر الرؤوس على كواهلها ، وحقن الدماء فى أهبها . تعنى فى الأجساد .

---

(٢٥٦) مشرح بن هاعان هكذا فى جميع الأصول . وقد صححه محقق البيروتية الى عاهان من القاموس . وكتب الرجال أولى بالصواب . قال عنه ابن حبان : والصواب فى أمره ترك ما انفرد به ، والاعتبار بما وافق عليه الثقات (المجروحون ٢٨/٣) وقال الذهبى : وثقه ابن معين (المغنى ٦٥٩/٢) .

* وفيه قول آخر . قال بعضهم : كان هذا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم علما للنبوة ، ودليلا على أن القرآن كلام الله تعالى ، ومن عنده نزل ، أبانه الله تعالى بهذه الآية فى وقت من تلك الأوقات ، عند طعن المشركين فيه ، ثم زال ذلك بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما تكون الآيات فى عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، من ميت يحيا ، وذئب يتكلم ، وبعير يشكو ، ومقبور تلفظه الأرض ، ثم يعدم ذلك بعدهم .

* وفيه قول آخر وهو : أن يرد المعنى فى قوله « ما احترق » الى القرآن لا الى الاهاب . يريد أنه ان كتب القرآن فى جلد ثم القى فى النار احترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن . كان الله عز وجل يرفعه منه ويصونه عن النار . ولسنا نشك فى أن القرآن فى المصاحف على الحقيقة لا على المجاز ، كما يقول أصحاب الكلام : ان الذى فى المصحف دليل على القرآن ، وليس به . والله تبارك وتعالى يقول : **« انه لقرآن كريم . فى كتاب مكنون . لا يمسه الا المطهرون »**(٢٥٧) . والنبى صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تسافروا بالقرآن الى أرض العدو » يريد المصحف .

* * *

٤٧ - (قالوا حديث ينقضه القرآن) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صلة الرحم تزيد فى العمر » . والله تبارك وتعالى يقول : **« فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، ولا يستقدمون »**(٢٥٨) . قالوا : فكيف تزيد صلة الرحم فى أجل لا يتأخر عنه ولا يتقدم .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الزيادة فى العمر تكون بمعنيين .

---

(٢٥٧) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ (٢٥٨) الأعراف : ٣٤ ؛ والنحل : ٦١

أحدهما السعة ، والزيادة فى الرزق ، وعافية البدن . وقد قيل : الفقر هو الموت الأكبر . وجاء فى بعض الحديث : ان الله تعالى أعلم موسي صلى الله عليه وسلم أنه يميت عـدوه ثم رآه بعد يسف(٢٥٩) الخوص ، فقال : يارب وعدتنى أن تميته قال : قد فعلت ، قد أفقرته . وقال الشاعر :-

ليس من مـات فاستراح بميت ... انما الميت ميت الأحياء

يعنى الفقير . فلما جاز أن يسمى الفقر موتا ، ويجعل نقصا من الحياة ، جاز أن يسمى الغنى حياة ، ويجعل زيادة فى العمر .

* والمعنى الآخر أن الله تعالى يكتب أجل عبده عنده مائة سنة ويجعل بنيته وتركيبه وهيئته لتعمير ثمانين سنة فاذا وصل رحمه زاد الله تعالى فى ذلك التركيب وفى تلك البنية ، ووصل ذلك النقص ، فعاش عشرين أخرى ، حتى يبلغ المائة ، وهى الأجل الذى لا مستأخر عنه ولا متقدم .

* * *

٤٨ - (قالوا حديث يبطله القرآن والاجماع) قالوا : رويتم أن الصدقة تدفع القضاء المبرم . والله عز وجل يقول : « **انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون** »(٢٦٠) . وأجمع الناس على أنه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول فى تأويل ذلك : ان المرء قد يستحق بالذنوب قضاء من العقوبة ، فاذا هو تصدق دفع عن نفسه ما قد استحق من ذلك . يدلك عليه قوله : « صدقة السر تطفىء غضب الرب » . أفلا ترى أن من غضب الله عـز وجـل عليه تعرض(٢٦١)

---

(٢٥٩) يسف الخوص : ينسجه . (٢٦٠) النحل : ٤٠

(٢٦١) تعرض عقابه : أى تعرض لعقابه . وهو أسلوب صحيح فى اللغة .

عقابه ، فاذا ازال ذلك الغضب بصدقته أزال العقاب . ومثل هذا رجل اجرمت عليه(٢٦٢) جرما عظيما ، فخفت بوائقه ، وعاجل جزائه ، فاهديت له هدية كففته بها ، وقلت : الهدية تدفع العقاب المستحق .

* * *

٤٩ ـ (قالوا حديث يبطل أوله آخره) قالوا : رويتم أنه سيكون عليكم أئمة ان اطعتموهم غويتم ، وان عصيتموهم ضللتم . وهذا لا يجوز فى المعقول ، وكيف يكونون بمعصيتهم ضالين وبطاعتهم غاوين .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذا الحديث تناقض مع التأويل ، ومعناه فيما يرى ـ أنهم ان اطيعوا فى الذى يامرون به من معصية الله تعالى وظلم الرعية وسفك الدماء بغير حقها غوى مطيعهم ، وان عصوا فخرج عليهم ، وشقت عصا المسلمين ، كما فعل الخوارج ، ضل عاصيهم .

* والذى يؤل اليه معنى الحديث : أنه لا يعمل لهم ، ولا يخرج عليهم . ويجوز أن يكون أراد ما يامرون به على المنابر من الخير ، ان عصوا فيه ضل عاصيهم ، وما يامرون به من المعاصي فى غير ذلك المقام ، ان أطيعوا فيه غوى مطيعهم .

* * *

٥٠ ـ (قالوا حديث يكذبه القرآن وحجة العقل) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون فى رؤيته » . والله تعالى يقول : « **لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** »(٢٦٣) ويقول « **ليس كمثله شيء** »(٢٦٤) . قالوا وليس يجوز فى حجة العقل أن يكون الخالق يشبه المخلوق فى شيء من الصفات ، وقد قال موسي عليه السلام :

---

(٢٦٢) اجرمت عليه : اجرمت اليه وفى حقه .

(٢٦٣) الانعام : ١٠٣ (٢٦٤) الشورى : ١١

« **رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى** »(٢٦٥) ؛ قالوا : فان كان هذا الحديث صحيحا ، فالرؤية فيه بمعنى العلم كما قال تعالى : « **ألم تر الى ربك كيف مد الظل** » (٢٦٦) . وقال : « **ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير** »(٢٦٧) .

* (قال ابو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث صحيح لا يجوز على مثله الكذب ، لتتابع الروايات عن الثقات به من وجوه كثيرة . ولو كان يجوز أن يكون مثله كذبا ، جاز أن يكون كل ما نحن عليه من أمور ديننا فى التشهد الذى لم نعلمه الا بالخبر ، وفى صدقة النعم وزكاة الناض من الاموال ، والطلاق والعتاق وأشباه ذلك من الامور التى وصل الينا علمها بالخبر ، ولم يات لها بيان فى الكتاب باطلا .

وأما قوله تعالى : « **لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار** » وقول موسي عليه السلام : « **رب أرنى أنظر اليك ، قال لن ترانى** » . فليس ناقضا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ترون ربكم يوم القيامة » – لأنه اراد جل وعز بقوله لا تدركه الابصار فى الدنيا . وقال لموسي عليه السلام «**لن ترانى**» يريد فى الدنيا. لانه جل وعز احتجب عن جميع خلقه فى الدنيا ، ويتجلى لهم يوم الحساب ، ويوم الجزاء والقصاص ، فيراه المؤمنون كما يرون القمر فى ليلة البدر ، ولا يختلفون فيه كما لا يختلفون فى القمر . ولم يقع التشبيه بها على كل حالات القمر فى التدوير والمسير والحدود وغير ذلك . وانما وقع التشبيه بها على أنا ننظر اليه عز وجل كما ننظر الى القمر ليلة البدر ، لا يختلف في ذلك كما لا يختلف فى القمر . والعرب تضرب المثل بالقمر . قال ذو الرمة :

وقد بهرت فما تخفى على أحد   الا على احد لا يعرف القمرا

وقوله فى الحديث « لا تضامون فى رؤيته » دليل ، لأن التضام

---

(٢٦٥) الأعراف : ١٤٣ .   (٢٦٦) الفرقان : ٤٥

(٢٦٧) البقرة : ١٠٦ – وفى الأصل « الم تر .. » خطأ .

من الناس يكون فى أول الشهر عند طلبهم الهلال ، فيجتمعون ويقول واحد : هو ذاك ، هو ذاك ، ويقول آخـر : ليس به ، وليس القمـر كذلك ، لأن كل واحد يراه بمكانه ولا يحتاج الى أن ينضم الى غيـره لطلبه .

* وحديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم قاض على الكتاب ومبين له ، فلما قال الله تعالى : « **لا تدركه الأبصار** » وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيح من الخبر : ترون ربكم تعالى فى القيامة ، لم يخف على ذى فهم ونظر ولب وتمييز أنه فى وقت دون وقت . وفى قول موسي عليه السلام « **رب أرنى أنظـر اليـك** » أبين الدلالة على أنه يرى فى القيامة . ولو كان الله تعالى لا يرى فى حال من الأحوال ، ولا يجوز عليه النظر ، لكان موسي عليه السلام قد خفى عليه من وصف الله تعالى ما علموه .

* ومن قال بأن الله تعالى يدرك بالبصر يوم القيامة فقد حده عندهم ، ومن كان الله تعالى عنده محدودا فقـد شبهه بالمخلوقين ، ومن شبهه عندهم بالخلق فقد كفر .

فما يقولون فى موسي عليه السلام فيما بين : أن الله تعالى نبأه وكلمه من الشجرة الى الوقت الذى قال لـه فيـه : « **رب أرنى أنظـر اليك** » . أيقضون عليه بأنه كان مشبها لله محددا ؟ لا لعمر الله ، لا يجوز أن يجهل موسي عليه السلام من الله عز وجل مثـل هذا لو كان على تقديرهم ، ولكن موسي عليه السلام علم أن الله تعالى يرى يوم القيامة ، فسأل اللـه عز وجل أن يجعل له فى الدنيا ما أجله لأنبيائه وأوليائه يوم القيامة ، فقال له : « **لن ترانى** » . يعنى فى الدنيـا « **ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى** » (*) .

أعلمه أن الجبل لا يقوم لتجليه حتى يصير دكا ، وأن الجبال اذا

(*) الأعراف : ١٤٣

ضعفت عن احتمال ذلك فابــن آدم أحــرى أن يكون أضعف ، الى أن يعطيه الله تعالى يوم القيامة ما يقوى بــه على النظر ، ويكشف عن بصره الغطاء الذى كان فى الدنيا . والتجلى هو الظهور ، ومنه يقال جلوت العــروس اذا أبرزتها ، وجلوت المــرآة والسيف اذا أظهرتهما من الصدأ .

وأما قولهم : ان الرؤية فى قوله : « ترون ربكم يــوم القيامة » بمعنى العلم كما قال تعالى **«ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»**(*) يريد ألم تعلم . فانه يستحيل ، لأنا نعلمه فى الدنيا أيضا . فأى فائدة فى هذا الخبر اذا كان الأمر فى يوم القيامة وفى الدنيا واحدا .

* وقرأت فى الانجيل أن المسيح عليه السلام حين فتح فاه بالوحى قال : طوبى للذين يرحمون ، فعليهم تكون الرحمة . طوبى للمخلصة قلوبهم فانهم الذين يرون الله تبارك وتعالى .

والله تبارك وتعالى يقول : « **وجــوه يومئذ ناضرة . الى ربهــا ناظرة** »(٢٦٨) . ويقول فى قوم سخط عليهم : « **كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون . ثم انهم لصالوا الجحيم** »(٢٦٩) . أفما فى هذا القول دليل على أن الوجوه الناضرة التى هى الى ربهــا ناظرة هى التى لا تحجب اذا حجبت هذه الوجوه .

* فان قالوا لنا : كيف ذلك النظر والمنظور اليه ؟ قلنا : نحن لا ننتهى فى صفاته جل جلاله الا الى حيث انتهى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٧٠) ، ولا ندفع ما صح عنه ، لأنه لا يقوم فى أوهامنا

(*)فى الاصل « الم تر .. » خطأ .

(٢٦٨) القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .   (٢٦٩) المطففين : ١٥ ، ١٦

(٢٧٠) أليس هــذا الــكلام من ابن قتيبة يرفع عنــه ما اتهمــه به ابن فورك وابن الجوزى من أنه يشبه الله بخلقه ؟ انظر (مشكلة الحديث لابن فورك ص٦٧).

ولا يستقيم على نظرنا ، بل نؤمن بذلك من غير أن نقول فيـه بكيفية أو حد ، أو أن نقيس على ما جاء ما لم يأت . ونرجو أن يكون فى ذلك من القول والعقـد سـبيل النجاة ، والتخلص من الأهواء كلها غـدا ان شاء الله تعالى .

* * *

٥١ — (قالوا حديث فى التشبيه يكذبه القرآن وحجة العقل)
قالوا : رويتم أن قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عز وجل . فان كنتم أردتم بالأصابع ههنا النعم ، وكان الحديث صحيحا ، فهو مذهب . وان كنتم أردتم الأصابع بعينها ، فان ذلك يستحيل ، لأن الله تعالى لا يوصف بالأعضاء ، ولا يشبه بالمخلوقين . وذهبوا فى تأويل الأصابع الى أنه النعم ، لقول العرب ما أحسن أصبع فلان على ماله ! يريدون أثره . وقال الراعى فى وصف ابله :

ضعيف العصا بادى العروق ترى له عليها اذا مـا أمحل الناس أصبعا

أى ترى لـه عليها أثـرا حسـنا

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث صحيح ، وان الذى ذهبوا اليه فى تأويل الأصبع لا يشبه الحديث ، لأنه عليه السلام قال فى دعائه : « يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك » . فقالت لـه أحدى أزواجه : أو تخاف يارسول الله على نفسـك ؟ فقال : « ان قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الله عز وجل » . فان كان القلب عندهم بين نعمتين من نعم الله تعالى فهو محفوظ بتينك النعمتين ، فلأى شيء دعا بالتثبيت ؟ ولم احتج على المرأة التى قالت له أتخاف على نفسك بما يؤكد قولها ؟ وكان ينبغى الا يخاف اذا كان القلب محروسا بنعمتين .

* فان قال لنا : ما الأصبع عندك ههنا ؟ قلنا : هو مثل قوله فى

الحديث الآخر « يحمل الأرض على أصبع ، وكذا على أصبعين » .
ولا يجوز ان تكون الأصبع ههنا نعمة ، وكقوله تعالى : « **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** »(٢٧١) . ولم يجز ذلك (٢٧٢) . ولا نقول : أصبع كأصابعنا ، ولا يد كأيدينا ، ولا قبضة كقبضاتنا ، لأن كل شيء منه عز وجل لا يشبه شيئا منا(٢٧٣) .

* * *

٥٢ — (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم أن كلتى يديه يمين . وهذا يستحيل ان كنتم أردتم باليدين العضوين ، وكيف تعقل يدان كلتاهما يمين .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث صحيح ، وليس هو مستحيلا ، وانما أراد بذلك معنى التمام والكمال . لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه . فى القوة والبطش والتمام ، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر ، لما فى اليمين من التمام ، وفى اليسار من النقص . ولذلك قالوا : اليمن والشؤم ، فاليمن من اليد اليمنى ، والشؤم من اليد الشؤمى ، وهى اليد اليسرى . وهذا وجه بين .

* ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعا ، لأن اليمنى هى المعطية ، فاذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما . وقد روى فى

---

(٢٧١) الزمر : ٦٧

(٢٧٢) يعنى : ولم يجز تفسير ذلك على أن الاصبع النعمة .

(٢٧٣) هذا هو المذهب الاقوم الأسلم .. واضطرب ابن فورك فى تأويل هذا الحديث فى كتابه (ص ٢٥٨) .. فنقل ما ذكره ابن قتيبة ثم قال : « واحتمل أن يكون أنه يريد به أصبع بعض خلقه ، وليس ينكر فى مقدور الله ان يخلق خلقا على هذا الوجه . ونقل عن الثلجى أنه خلق من خلق يوافق اسمه اسم الاصبع وقال: انه يحمل السموات والأرض على ذلك » .

والرازي يقول فى أساس التقديس : « انه يتعذر حمل اللفظ على حقيقته ، ولذا وجب حمله على مجازه صونا للنص من التعطيل » .

حديث آخر : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « يمين الله سحاء(٢٧٤) لا يغيضها شيء الليل والنهار » . أى تصب العطاء ، ولا ينقصها ذلك والى هذا ذهب المرار حين قال :

وان على الأوانة من عقيل فتى كلتا اليدين له يمين

❋ ❋ ❋

٥٣ ـ (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « عجب ربكم من الكم(٢٧٥) وقنوطكم(٢٧٦) وسرعة اجابته اياكم ، وضحك من كذا » وانما يعجب ويضحك من لا يعلم ، ثم يعلم . فيعجب ويضحك .

❋ (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان العجب والضحك ليس على ما ظنوا ، وانما هو على (معنى)(٢٧٧) : حل عنده كذا بمحل ما يعجب منه ، وبمحل ما يضحك منه ، لأن الضاحك انما يضحك لأمر معجب له . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصارى الذى ضافه ضيف وليس فى طعامه فضل عن كفايته ، فأمر امرأته باطفاء السراج ليأكل الضيف ، وهو لا يشعر أن المضيف له لا يأكل : « لقد عجب الله تعالى من صنيعكما البارحة » أى حل عنده محل ما يعجب الناس منه . وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « **وان تعجب فعجب قولهم** » (٢٧٨) لم يرد أنه عندى عجب وانما أراد أنه عجب عند من سمعه .

❋ ❋ ❋

(٢٧٤) سحاء على وزن فعلاء . أى ساحة هاطلة بالخير دائما .

(٢٧٥) قال ابن الأثير : الال : شدة القنوط ، أو رفع الصوت بالبكاء ، قال أبو عبيد : المحفوظ عن أهل اللغة أنه بفتح الهمزة . والمحدثون يروونه بالفتح ؛

(٢٧٦) وفى رواية عند أحمد وأبى داود : «عجب ربكم من اياسكم وقنوطكم» وعند البخارى فى العجب «عجب ربنا من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل » .

(٢٧٧) سقطت من المطبوعتين (٢٧٨) الرعد : ٥ .

٥٤ – (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تسبوا الريح ، فانها من نفس الرحمن » . وينبغى أن تكون الريح عندكم غير مخلوقة ، لأنه لا يكون من الرحمن جل وعز شيء مخلوق .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه لم يرد بالنفس ما ذهبوا اليه ، وانما أراد أن الريح من فرج الرحمن عز وجل وروحه . يقال اللهم نفس عنى الأذى . وقد فرج الله عن نبيه صلى الله عليه وسلم بالريح يوم الأحزاب . وقال تعالى : « **فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها** »(٢٧٩) . وكذلك قوله : « انى لأجد نفس ربكم من قبل اليمن » .

* (قال أبو محمد) وهذا من الكناية ، لأن معنى هذا : انه قال : كنت فى شدة وكرب وغم من أهل مكة ، ففرج الله عنى بالأنصار يعنى أنه يجد الفرج من قبل الأنصار ، وهم من اليمن ، فالريح من فرج الله تعالى وروحه ، كما كان الأنصار من فرج الله تعالى(٢٨٠) .

* (قال أبو محمد) وقد بينت هذا فى كتاب غريب الحديث بأكثر من هذا البيان ولم أجد بدا من ذكره ههنا ليكون الكتاب جامعا للفن الذى قصدوا له .

* * *

٥٥ – (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم أنه قال لأحد ابنى ابنته : « والله انكم لتجبنون وتبخلون ، وانكم من ريحان الله ، وان آخر وطأة وطئها الله بوج » .

---

(٢٧٩) الأحزاب : ٩

(٢٨٠) ومما يدل على ذلك قوله تعالى : « وأرسلنا الرياح لواقح » (الحجر : ٢٢) . فالريح تنفيس للناس فى الأرزاق كما تنفس عن النفوس المهمومة . والعرب تقول : اذا كثرت الرياح كثر الخصب والخير ، واذا تنسم الريح عليل أو محزون وجد لنسيمها خفة ومرحا وينشدون :

فان للصبا ريح اذا ما تنسمت   على نفس محزون تجلت همومها

وانظر (شكل الحديث لابن فورك ٢١٣) .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان لهذا الحديث مخرجا حسنا قد ذهب اليه بعض أهل النظر ، وبعض أهل الحديث . قالوا : ان آخر ما أوقع الله عز وجل بالمشركين بالطائف ، وكانت آخر غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بوج . ووج واد قبل الطائف . وكان سفيان بن عيينة يذهب الى هذا .

قال وهو مثل قوله فى دعائه : « اللهم أشدد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع القحط عليهم سبع سنين ، حتى أكلوا القد(٢٨١) والعظام . وتقول فى الكلام : اشتدت . وطأة السلطان على رعيته ، وقد وطئهم وطأ ثقيلا ، ووطء المقيد . قال الشاعر :

ووطئتنا وطأ على حنق ... وطء المقيد نابت الهرم

والمقيد أثقل شيء وطأ ، لأنه يرسف فى قيده فيضع رجليه معا . « والهرم » نبت ضعيف ، فاذا وطئه (المقيد) كسره وفته(٢٨٢) . وهذا المذهب بعيد من الاستكراه ، قريب من القلوب ، غير انى لا اقضي به على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنى قرأت فى الانجيل الصحيح : أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : ألم تسمعوا أنه قيل للأولين : لا تكذبوا اذا حلفتم بالله تعالى ، ولكن اصدقوا . وأنا أقول لكم : لا تحلفوا بشيء ، لا بالسماء فانها كرسي الله تعالى ، ولا بالأرض فانها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم(٢٨٣) (بيت المقدس) فانها مدينة الملك الأكبر ، ولا تحلف برأسك فانك لا تستطيع أن تزيد فيه شعرة سوداء ولا بيضاء ، ولكن ليكن قولكم : نعم .. نعم ، ولا .. ولا ، وما كان سوى ذلك فانه من الشيطان .

---

(٢٨١) القد : جلد السخلة . (٢٨٢) سقطت من المطبوعتين .
(٢٨٣) نقل ابن فورك كلام ابن قتيبة كما هو تقريبا فى كتابه . انظر (مشكل الحديث ٢٩٧) .

* (قال ابو محمد) هذا مع حديث حدثنيه يزيد بن عمرو قال حدثنا عبدالله بن الزبير المكى قال حدثنا عبدالله بن الحارث عن أبى بكر بن عبد الرحمن عن كعب قال : « ان وجا مقدس ، منه عرج الرب الى السماء يوم قضاء خلق الأرض »(٢٨٤) ·

* * *

٥٦ - (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ضرس الكافر فى النار مثل أحد ، وكثافة جلده أربعون ذراعا بباع(٢٨٥) الجبار » ·

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان لهذا الحديث مخرجا حسنا ، ان كان النبى صلى الله عليه وسلم أراده ، وهو : أن يكون الجبار ههنا الملك · قال الله تبارك وتعالى : « **وما أنت عليهم بجبار** »(٢٨٦) ·أى بملك مسلط · والجبابرة الملوك · وهذا كما يقول الناس : هو كذا وكذا ذراعا بذراع الملك · يريدون بالذراع الأكبر · وأحسبه ملكا من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب اليه ·

* * *

٥٧ - (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم أن ابن عباس قال : « الحجر الأسود يمين الله تعالى فى الأرض ، يصافح بها من شاء من خلقه » ·

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا تمثيل وتشبيه · وأصله أن الملك كان اذا صافح رجلا قبل الرجل يده ، فكان الحجر لله تعالى بمنزلة اليمين للملك · تستلم وتلثم · وبلغنى عن عائشة رضي الله عنها

---

(٢٨٤) يريد أنه من الأخبار المتشابهة ، التى نؤمن بها كما جاءت ، ونسلم علمها الى الله ، فلا نقول فيها برأى ولا تأويل ·

(٢٨٥) فى المخطوطة بذراع · (٢٨٦) سورة ق : ٤٥

إنها قالت : ان الله تبارك وتعالى حين أخذ الميثاق من بنى آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، جعل ذلك فى الحجر الأسود . وقالت(٢٨٧) : أما سمعتم اذا استلموه يقولون : ايمانا بك ، ووفاء بعهدك . أى قد وفينا بعهدك : انك أنت ربنا . وذلك أن الجاهلية قد استلموه وكانوا مشركين ، لم يستلموه بحقه ، لأنهم كانوا كفارا(٢٨٨) .

* * *

٥٨ ـ (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ربى فى أحسن صورة ، ووضع كفه(٢٨٩) بين كتفى ، حتى وجدت برد أنامله بين ثندوتى »(٢٩٠) .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الله تعالى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، يعنى فى الدنيا . فاذا كان يوم القيامة رآه المؤمنون كما يرون القمر ليلة البدر . وقد سأله موسي صلى الله عليه وسلم فقال : رب أرنى أنظر اليك . يريد أن يتعجل من الرؤية ما أجلة الله تعالى له ولأمثاله من أوليائه . فقال : لن ترانى . ولذلك يقول قوم : ان نبينا صلى الله عليه وسلم لم يره الا فى المنام ، وعند تغشي الوحى له ، وأن الاسراء ليلة الاسراء كان بروحه دون جسمه . ألا تسمع الى قول الله عز وجل : **« وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن»**(٢٩١). يعنى بالرؤيا : ما رآه ليلة أسرى به . فاخبر بذلك ، فارتد به قوم ، وقالوا : كيف يذهب الى بيت المقدس ، ثم يصعد الى السماء ، ثم يهبط الى الأرض فى ليلة ؟ وتوهموا أنه ادعى

---

(٢٨٧) فى المطبوعتين : (وقال) .

(٢٨٨) ويرى ابن فورك فى مشكل الحديث ١٢٤ أن المراد أن ذلك الحجر من نعم الله على عباده ، بأن جعله سببا يثابون على التقرب الى الله بمصافحته ، فيؤجرون على ذلك .. ثم قال : ويحتمل أن اضافه الى نفسه تكريما ، وهو فعل من أفعال الله تعالى سماه يمينا .

(٢٨٩) فى المخطوطة (يده) .

(٢٩٠) الثندوة : الثدى .

(٢٩١) الاسراء : ٦٠ .

الاسراء بجسمه . وكان ابو بكر رضي الله عنه ممن صدق بذلك ، وحاج فيه ، فسمى الصديق .

* قالوا : وقد قالت احدى أزواجه فى ليلة الاسراء : انا ما فقدنا جسمه. وحدثنا أبوالخطاب قال حدثنامالك بن سعيد قال حدثنا الأعمش قال سمعت الوليد بن العيزار يذكر عن أبى الأحوص فى قوله تعالى : « **ولقد رآه بالأفق المبين** »(٢٩٢) قال : رأى جبريل عليه السلام فى صورته وله سبعمائة جناح . قالوا : ومما يدل على ذلك أيضا حديث رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن مروان بن عثمان عن عمارة بن عامر عن أم الطفيل امرأة أبى ابن كعب انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يذكر أنه رأى ربه فى المنام فى صورة شاب موفر فى خضرة ، على فراشه فراش من ذهب ، فى رجليه نعلان من ذهب (٢٩٣) .

* (قال أبو محمد) ونحن لم نذكر قول من تأول هذا التأويل فى هذا الحديث أننا رأيناه صوابا ، وانما ذكرناه ليعلم أن الحديث قد تأوله قوم ، واحتجوا له بهذين الحديثين اللذين ذكرناهما . وكيف يكون ذلك كما تأولوا والله جل وعز يقول : « **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا** »(٢٩٤) الآية . وهذا لا يجوز أن يتأول فيه هذا التأويل ، ولا يدفع بمثل هذه الأحاديث . ونحن نعوذ بالله أن نتعسف ، فنتأول فيما جعله الله فضيلة لمحمد ، ونحن نسلم للحديث ، ونحمل الكتاب على ظاهره .

* * *

(٢٩٢) التكوير : ٢٣

(٢٩٣) سند هذا الحديث فيه مقال . ففيه عمارة بن عامر . قال الذهبى : يروى عن أم الطفيل فى الرؤية . لا يعرف (المغنى ٤٦١/٢) ومروان بن عثمان قال أبو حاتم : ضعيف . وقال النسائى : ومن مروان بن عثمان حتى يصدق على الله - يريد حديث أم الطفيل - (المغنى ٦٥٢/٢) والحديث مروى بسند آخر فيه يوسف بن عطية الصفار كان يقلب الأسانيد ، ويلزمه المتون الموضوعة بالأسانيد الصحيحة ، لا يجوز الاحتجاج به بحال (المجروحون ١٣٤/٣) .

(٢٩٤) الاسراء : ١

٥٩ — (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل خلق آدم على صورته ، والله تبارك وتعالى يجل عن ان يكون له صورة أو مثال ٠

﴿ (قال أبو محمد) ونحن نقول كما قالوا : ان الله تعالى — وله الحمد — يجل عن أن يكون له صورة أو مثال ، غير أن الناس ربما ألفوا الشيء وأنسوا به ، فسكنوا عنده ، وأنكروا مثله ٠ ألا ترى أن الله تعالى يقول فى وصفه نفسه : « **ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير** »(٢٩٥) ٠ وظاهر هذا يدل على أن مثله لا يشبهه شيء ، ومثل الشيء غير الشيء ، فقد صار على هذا الظاهر : لله تعالى مثل ٠

﴿ ومعنى ذلك فى اللغة أنه يقام المثل مقام الشيء نفسه ، فيقول القائل : مثلى لا يقال له هذا الكلام ٠ ومثلى لا يفتات عليه ٠ لا يريد أن نظيرى لا يقال له ، ولا يفتات عليه ، وانما يريد أنا نفسي لا يقال لى كذا وكذا ٠ وكذلك قوله تعالى : « **ليس كمثله شيء** » — يريد : ليس كهو شيء ٠ فخرج هذا مخرج كلام العرب ٠ ويجوز أن تكون الكاف زائدة كما تقول فى الكلام كلمنى بلسان كمثل السنان ٠ ولها بنان كمثل العنم(٢٩٦) ٠ وكقول الراجز :

﴿ وصاليات ككما يؤثفين(٢٩٧) ﴾

فأدخل الكاف على الكاف وهى بمعنى مثل ٠

﴿ وقد اضطرب الناس فى تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه خلق آدم عليه السلام على صورته ٠

---

(٢٩٥) الشورى : ١١

(٢٩٦) العنم : شجر بالحجاز ثمره احمر ، يشبه البنان المخضوب ٠

(٢٩٧) يؤثفين : مضارع من اثفى الحقت به نون النسوة — بضم الياء وفتح الهمزة وسكون الثاء — يعنى وهو من اثفيت القدر اى جعلت لها اثافى ٠ وهى حجارة توضع تحت القدر ويوقد تحتها ٠ والصاليات : الاثافى السود ٠ والمعنى أنها سوداء كما هى فى موضع الطبخ ٠

فقال قوم من أصحاب الكلام : أراد خلق آدم على صورة آدم لم يزد على ذلك . ولو كان المراد هذا ما كان فى الكلام فائدة ، ومن يشك فى أن الله تعالى خلق الانسان على صورته ، والسباع على صورها ، والأنعام على صورها ؟

* وقال قوم : ان الله تعالى خلق آدم على صورة عنده . وهذا لا يجوز ، لأن الله عز وجل لا يخلق شيئا من خلقه على مثال .

* وقال قوم فى الحديث : « لا تقبحوا الوجه ، فان الله تعالى خلق آدم على صورته » يريد أن الله جل وعز خلق آدم على صورة الوجه . وهذا أيضا بمنزلة التأويل الأول ، لا فائدة فيه ، والناس يعلمون أن الله تبارك وتعالى خلق آدم على خلق ولده ، ووجهه على وجوههم .

* وزاد قوم فى الحديث : أنه عليه السلام مر برجل يضرب وجه رجل آخر ، فقال : « لا تضربه ، فان الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورته » . أى على صورة المضروب . وفى هذا القول من الخلل ما فى الأول .

ولما وقعت هذه التأويلات المستكرهة ، وكثر التنازع فيها ، حمل قوما اللجاج على أن زادوا فى الحديث . فقالوا روى ابن عمر عن النبى صلى اللـه عليه وسلم فقالوا : « ان اللـه عـز وجـل خلق آدم على صـورة الرحمن » . يريدون أن تكون الهاء فى صورته لله جل وعز ، وأن ذلك يتبين بأن يجعلوا الرحمن مكان الهاء ، كما تقول : ان الرحمن خلق آدم على صورته . فركبوا قبيحا من الخطأ ، وذلك أنه لا يجوز أن نقول : ان الله تعالى خلق السماء بمشيئة الرحمن ، ولا على ارادة الرحمن ، وانما يجوز هذا اذا كان الاسم الثانى غير الاسم الأول ، أو لو كانت الرواية : لا تقبحوا الوجه فانه خلق على صورة الرحمن ، فكان الرحمن غير الله ، أو الله غير الرحمن ، فان صحت رواية ابن عمر عن النبى

صلى الله عليه وسلم بذلك فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا تأويل ولا تنازع فيه .

* (قال أبو محمد) ولم أر فى التأويلات شيئا أقرب من الاطراد ، ولا أبعد من الاستكراه من تأويل بعض أهل النظر ، فانه قال فيه : أراد أن الله تعالى خلق آدم فى الجنـة على صورته فى الأرض . كان قوما قالوا : ان آدم كان من طوله فى الجنة كذا ، ومن حليته كذا ، ومن نوره كذا ، ومن طيب رائحته كذا ، لمخالفة ما يكون فى الجنة ما يكون فى الدنيا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق آدم ـ يريد فى الجنة ـ على صورته ـ يعنى فى الدنيا ـ .

* ولست أحتم بهذا التأويل على هذا الحديث ، ولا اقضي بانه مراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيه ، لأنى قرأت فى التوراة : أن الله جل وعز لما خلق السماء والأرض قال : نخلق بشرا بصورتنا ، فخلق آدم من أدمة الأرض(٢٩٨)، ونفخ فى وجهه نسمةالحياة . وهذا لا يصلح له ذلك التأويل . وكذلك حديث ابن عباس أن موسي صلى الله تعالى عليه وسلم ضرب الحجر لبنى اسرائيل فتفجر ، وقال : اشربوا يا حمير . فأوحى الله تبارك وتعالى اليه : عمدت الى خلق من خلقى ، خلقتهم على صورتى، فشبهتهم بالحمير ؟ فما برح حتى عوتب(٢٩٩) هذا معنى الحديث .

* (قال أبو محمد) والذى عندى والله تعالى أعلم : أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين ، وانما وقع الالف لتلك لمجيئها فى القرآن ، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت فى القرآن . ونحن نؤمن بالجميع ولا نقول فى شيء منه بكيفية ولا حد(٣٠٠) .

* * *

---

(٢٩٨) أدمة الأرضي : باطنها . (٢٩٩) فى المطبوعتين :(عوقب) .
(٣٠٠) قال ابن فورك حين تعرض لهـذا الحديث « واعلم أن بعض=

٦٠ — (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم فى حديث أبى رزين العقيلى من رواية حماد بن سلمة أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟ فقال : « كان فى عماء ، فوقه هواء وتحته هواء » . قالوا وهذا تحديد وتشبيه .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ان حديث أبى رزين هذا مختلف فيه ، وقد جاء من غير هذا الوجه بألفاظ تستشنع أيضا ، والنقلة له أعراب ، ووكيع بن حدس الذى روى عنه حديث حماد بن سلمة أيضا لا يعرف . غير أنه قد تكلم فى تفسير هذا الحديث أبو عبيد القاسم ابن سلام .

* حدثنا عنه أحمد بن سعيد اللحيانى أنه قال : العماء السحاب ، وهو كما ذكر فى كلام العرب ان كان الحرف ممدودا ، وان كان مقصورا كأنه كان فى عمى ، فانه أراد كان فى عمى عن معرفة الناس ، كما تقول : عميت عن هذا الأمر ؛ فأنا أعمى عنه عمى ، اذا أشكل عليك فلم تعرفه ، ولم تعرف جهته ، وكل شيء خفى عليك فهو فى عمى عنك . وأما قوله : «فوقه هواء وتحته هواء» . فان قوما زادوا فيه (ما) فقالوا ما فوقه هواء ، وما تحته هواء ، استيحاشا من أن يكون فوقه هواء

= أصحابنا المتكلمين فى تأويل هذا الحديث حاد عن وجه الصواب ، وسلك طريق الخطأ والمحال فيه ، وهو ابن قتيبة ، توهما منه انه مستمسك بظاهره غير تارك له فقال : ان لله عز وجل صورة لا كالصور ، كما انه شيء لا كالأشياء . فاثبت لله تعالى صورة قديمة زعم انها لا كالصور ، وان الله خلق آدم على تلك الصورة ، وهذا جهل من قائله ، وتوغل فى تشبيه الله تعالى بخلقه . (مشكل الحديث ٦٧) .

وقال ابن الجوزى : قد ذهب ابن قتيبة فى هذا الحديث الى مذهب قبيح فقال : لله تعالى صورة لا كالصور ، خلق آدم عليها . وهذا تخليط وتهافت ؛ لان معنى كلامه أن صورة آدم كصورة الحق تعالى (رفع شبه من شبه ص ٤٨) .

وهذا كلام ابن قتيبة الذى اختاره وقال : انه مذهبى والحق عندى . ليس فيه شيء مما اتهمه به ابن فورك ولا ابن الجوزى .. بل هو مذهب السلف من أهل السنة الذين يؤمنون بالنص كما هو دون تأويل له ولا كيف ولا حد .

وتحته هواء ، ويكون بينهما ٠ والرواية هى الأولى والوحشة لا تزول بزيادة (ما) لأن فوق وتحت باقيان والله أعلم ٠

* * *

٦١ ـ (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا تسبوا الدهر ، فان الله هو الدهر » فوافقتم فى هذه الرواية الدهرية ٠

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان العرب فى الجاهلية كانت تقول : أصابنى الدهر فى مالى بكذا ، ونالتنى قوارع الدهر وبوائقه ومصايبه ، ويقول الهرم : حنانى الدهر ، فينسبون كل شيء تجرى به أقدار الله عز وجل عليهم من موت أو سقم أو ثكل أو هرم الى الدهر ، ويقولون : لعن الله هذا الدهر ، ويسمونه المنون ، لأنه جالب المنون عليهم عندهم ، والمنون المنية ٠ قال أبو ذؤيب :

أمن المنون وريبه تتوجع — والدهر ليس بمعتب من يجزع

* (قال أبو محمد) هكذا أنشدنيه الرياشي عن الأصمعى عن ابن أبى طرفة الهذلى عن أبى ذؤيب ٠ والناس يروونه (وريبها تتوجع) ويجعلون المنون المنية وهذا غلط ٠ ويدلك على ذلك قوله :

* والدهر ليس بمعتب من يجزع *

* كأنه قال : أمن الدهر وريبه تتوجع ٠ والدهر ليس بمتعب من يجزع ٠

وقال الله عز وجل : « **نتربص به ريب المنون** » (٣٠١) ٠ أى ريب الدهر وحوادثه ٠ وكانت العرب تقول : لا ألقاك آخر المنون ٠ أى آخر الدهر ٠

---

(٣٠١) الطور : ٣٠٠

وقد حكى الله عز وجل عن أهل الجاهلية ما كانوا عليه من نسب اقدار الله عز وجل وأفعاله الى الدهر ، فقال : **«وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم، ان هم الا يظنون»**(٣٠٢)٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر » اذا أصابتكم المصايب ، ولا تنسبوها اليه ، فان الله عز وجل هو الذى أصابكم بذلك ، لا الدهر ، فاذا سببتم الفاعل وقع السب بالله عز وجل ٠ الا ترى أن الرجل منهم اذا أصابته نائبة أو جائحة فى مال أو ولد أو بدن فسب فاعل ذلك به وهو ينوى الدهر : أن المسبوب هو الله عز وجل ٠

* وسامثل لهذا الكلام مثالا اقرب به عليك ما تاولت ، وان كان بحمد الله تعالى قريبا ، كان رجلا يسمى زيدا أمر عبدا له يسمى فتحا أن يقتل رجلا ، فقتله فسب الناس فتحا ولعنوه ، فقال لهم قائل : لا تسبوا فتحا فان زيدا هو فتح ٠ يريد أن زيدا هو القاتل ، لأنه هو الذى أمره ، كانه قال : ان القاتل زيد لا فتح ٠ وكذلك الدهر ، تكون فيه المصايب والنوازل ، وهى بأقدار الله عز وجل ، فيسب الناس الدهر لكون تلك المصايب والنوازل فيه ، وليس له صنع ، فيقول قائل : « لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر » (٣٠٣) ٠

* * *

٦٢ ـ (قالوا حديث فى التشبيه) قالوا : رويتم عن أبى ذر وابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله عز وجل: « من تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا ، ومن أتانى يمشي أتيته هرولة » ٠

---

(٣٠٢) الجاثية : ٢٤

(٣٠٣) نقل ابن فورك كلام ابن قتيبة بالحرف ولم يشر الى مصدره انظر (مشكل الحديث ٢٩٣ ، ٢٩٤) ٠ غير أنه غير اسمى زيد وفتح ، فجعلهما زيدا وبكرا ٠

وعند الشيخين عن ابى هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال عن ربه : « يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر ، وانا الدهر ، بيدى الأمر ، اقلب الليل والنهار » ٠ واخرجه مسلم عن أبى هريرة بنحوه مع اختلاف فى الألفاظ ٠

* (قال ابو محمد) ونحن نقول : ان هذا تمثيل وتشبيه ، وانما أراد : من أتانى مسرعا بالطاعة ، أتيته بالثواب أسرع من اتيانه ، فكنى عن ذلك بالمشي وبالهرولة . كما يقال : فلان موضع فى الضلال . والايضاع : سير سريع . لا يراد به أنه يسير ذلك السير ، وانما يراد أنه يسرع الى الضلال ، فكنى بالوضع عن الاسراع . وكذلك قوله : « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين » (٣٠٤) . والسعى : الاسراع فى المشي . وليس يراد أنهم مشوا دائما ، وانما يراد أنهم أسرعوا بنياتهم وأعمالهم والله أعلم .

* * *

٦٣ - (قالوا حديث يبطله الاجماع والكتاب) قالوا : رويتم أن ابن أم مكتوم استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده امرأتان من أزواجه ، فأمرهما بالاحتجاب ، فقالتا : يا رسول الله ، انه أعمى . فقال : « أفعمياوان أنتما » . والناس مجمعون على أنه لا يحرم على النساء أن ينظرن الى الرجال اذا استترن . وقد كن يخرجن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد ، ويصلين مع الرجال . وقلتم فى تفسير قول الله عز وجل : « ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها » (٣٠٥) : انه الكحل والخاتم .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الله عز وجل أمر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب اذ أمرنا الا نكلمهن الا من وراء حجاب . فقال « واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء حجاب »(٣٠٦) . وسواء دخل عليهن الأعمى أو البصير من غير حجاب بينه وبينهن ، لأنهما جميعا يكونان عاصيين لله عز وجل . ويكون أيضا عاصيات الله تعالى اذا أذن لهما فى الدخول عليهن ، وهذه خاصة لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما خصصن بتحريم النكاح على جميع المسلمين . فاذا خرجن عن منازلهن لحج أو غير ذلك من الفروض ، أو الحوائج التى لا بد من الخروج لها ، زال فرض الحجاب ،

---

(٣٠٤) الحج : ٥١ ، وسبأ: ٥ (٣٠٥) النور : ٣١

(٣٠٦) الأحزاب : ٥٣ .

لانه لا يدخل عليهن حينئذ داخل ، فيجب أن يحتجبن منه ، إذا كن فى السفر بارزات . وكان الفرض انما وقع فى المنازل التى هن بهـا نازلات .

* * *

٦٤ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضي أن الخراج بالضمان ، يريد العبد يشتريه مشتريه فيستغله حينا ثم يظهر على عيب به ، فيرده بالعيب : انه لا يرد ما صار اليه من غلته ، وهو الخراج ، لأنه كان ضامنا له ولو مات مات من ماله .. ثم رويتم أنه قال : « من اشترى مصراة فهو بالخيار ثلاثة أيام ، ان شاء ردها ورد معها صاعا من طعام » . قالوا وهذا مخالف للحكم الأول ، لأن الذى أخذه من لبنها غلة ، ولأنه كان ضامنا لو ماتت الشاة ماتت من ماله ، فهو والخراج بالضمان سواء لا فرق بينهما .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان بينهما فرقا بينا ، لأن المصراة من الشاة والمحفلة شيء واحد ، وهى التى جمع اللبن فى ضرعها ، فلم تحلب أياما حتى عظم الضرع لاجتماع اللبن فيه ، فاذا اشتراها مشتر واحتلب ما فى ضرعها استوعبه فى حلبة أو حلبتين ، فاذا انقطع اللبن بعد ذلك وظهر على أنها كانت محفلة ردها ، ورد معها صاعا من طعام ، لأن اللبن الذى اجتمع فى ضرعها كان فى ملك البائع لا فى ملكه ، فرد عليه قيمته ، والعبد اذا بيع وبه عيب ولم يظهر على ذلك العيب ، لا يباع ومعه غلة ، وانما تكون الغلة فى ملك المشترى ، فلا يجب أن يرد عليه منها شيئا .

* * *

٦٥ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم أن عمرو ابن الشريد سمع أبا رافع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الجار أحق بصقبه » . وعن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « جار الدار أحق بدار الجار أو الأرض » .

ثم رويتم عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر قال : « انما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفعة في كل مال لم يقسم ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة . قالوا وهذا خلاف الأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول في هذا الحديث الثاني : انه لا يدل على أن جابرا سمع ما قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم . الا تراه يقول : انما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفعة في كل مال لم يقسم ، فهو حكم منه ، وظن منه أو سماع من رجل عنه . والحديثان الأولان متصلان ، وعلى أنهما جميعا يرجعان الى تاويل واحد . أما الأول فمعناه : الجار أحق بملاصقه(٣٠٧) من دار جاره . والصقب : الدنو بالملاصقة ، قال الشاعر :

كوفيـــة نازح(٣٠٨) محلتها   لا أمم دارهـــا ولا صقب

يريد بقـوله : « لا أمم دارها » أي لا قـريب ، « ولا صـقب » ولا ملاصقة .

والحديث الثاني انما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفعة في كل مال لم يقسم ، فاذا وقعت الحدود فلا شفعة ، كأن ربعا فيه منازل وهو لأقوام عشرة مشتركين فيه فان باع واحد منهم حصة من تلك المنازل كانت الشفعة لجميعهم في الحصة ، وصار لكل واحد منهم تسعها ، فان قسمت تلك المنازل قبل أن يبيع واحد منهم شيئا فصار لكل واحد منهم منزل بعينه ، فاذا اراد أحدهم أن يبيع منزله لم يكن للقوم شفعة ، وانما تجب الشفعة لجاره الملاصق له . فدلنا بهذا الحديث على أن القسمة اذا وقعت زال حكم المشاع .

* * *

(٣٠٧) في المخطوطة : (بما لاصقه) .
(٣٠٨) الدار النازح : البعيدة .

٦٦ — (قالوا حديث يكذبه النظر) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا وقع الذباب فى اناء أحدكم فامقلوه ، فان فى أحد جناحيه سما ، وفى الآخر شفاء ، وانه يقدم السم ويؤخر الشفاء » . قالوا : كيف يكون فى شيء واحد سم وشفاء ؟ وكيف يعلم الذباب بموضع السم فيقدمه وبموضع الشفاء فيؤخره ؟ .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث صحيح ، وقد روى أيضا بغير هذه الألفاظ .

* حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا أبو عتاب قال حدثنا عبد الله ابن المثنى قال حدثنى ثمامة قال : وقع ذباب فى اناء ، فقال أنس(٣٠٩) بأصبعه فغمزه فى الماء ، وقال : بسم الله . فعل ذلك ثلاثا . وقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يفعلوا ذلك، وقال : « فى أحد جناحيه سم وفى الآخر شفاء » .

* (قال أبو محمد) ونقول : ان من حمل أمر الدين على ما شاهد ، فجعل البهيمة لا تقول ، والطائر لا يسبح ، والبقعة من بقاع الأرض لا تشكو الى أختها ، والذباب لا يعلم موضع السم . وموضع الشفاء ، واعترض على ما جاء فى الحديث مما لا يفهمه فقال : كيف يكون قيراط مثل أحد ، وكيف يتكلم بيت المقدس ، وكيف يأكل الشيطان بشماله ويشرب بشماله ، وأى شمال له ، وكيف لقى آدم موسى صلى الله تعالى عليهما وسلم حتى تنازعا فى القدر وبينهما احقاب ، وأين تنازعا(٣١٠) ، فانه منسلخ من الاسلام معطل ، غير أنه يتستر (٣١١) بمثل هذا وشبهه من القول واللغو والجدال ، ودفع

---

(٣٠٩) قال باصبعه : اى فعل باصبعه (غمزه باصبعه) . وهو اسلوب عربى متداول .

(٣١٠) فى المخطوطة : (التقيا) .

(٣١١) فى المطبوعتين : (يستعد) .

الاخبار والآثار ، مخالف لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولما درج عليه الخيار من صحابته والتابعون .

ومن كذب ببعض ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان كمن كذب به كله . ولو أراد أن ينتقل عن الاسلام الى دين لا يؤمن فيه بهذا واشباهه لم يجد منتقلا ، لأن اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والثنوية يؤمنون بمثل ذلك ، ويجدونه مكتوبا عنـــدهم . وما علمت احدا ينكر هذا الا قوما من الدهرية ، وقد اتبعهم على ذلك قوم من أهل الكلام والجهمية .

(وبعد) فماذا ينكر من أن يكون فى الذباب سم وشفاء ، اذا نحن تركنا طريق الديانة ورجعنا الى الفلسفة . وهل الذباب فى ذلك الا بمنزلة الحية ؟ فان الأطباء يذكرون أن لحمها شفاء من سمها اذا عمل منـــه الترياق الأكبر ، ونافع من لدغ العقارب ، وعض الكلاب الكلبة ، والحمى الربع (٣١٢) ، والفالج واللقوة (٣١٣) والارتعاش والصرع .

وكذلك قالوا فى العقرب : انها اذا شق بطنها ثم شدت على موضع اللسعة نفعت ، واذا أحرقت فصارت رمادا ثم سقى منها من به الحصاة نفعته ، وربما لسعت المفلوج فأفاق ، وتلقى فى الدهن حينـــا فيكون ذلك الدهن مفرقا للأورام الغليظة .

والأطباء القدماء يزعمون أن الذباب اذا ألقى فى الاثمد وسحق معه ثم اكتحل به زاد ذلك فى نور البصر ، وشد مراكز الشعر من الأجفان فى حافات الجفون ، وحكوا عن صاحب المنطق أن قوما من الأمم كانوا يأكلون الذباب فلا يرمدون ، وقالوا فى الذباب اذا شدخ ووضـــع على موضع لسعة العقرب سكن الوجع ، قالوا من عضه الكلب احتاج الى أن

---

(٣١٢) حمى الربع : هى التى تأخذ صاحبها .
(٣١٣) اللقوة : مرض فى الوجه يشل نصفه ، ويفسد نظامه .

يستر وجهه من سقوط الذباب عليه ، لئلا يقتله . وهذا يدل على طبيعة فيه شنعاء أو سم .

* (قال أبو محمد) وكيف تكون البهائم والحشرات لا تفهم اذا نحن تركنا طريق الديانة ، وقلنا بالفلسفة ، وبما يلحقه العيـــان ، ونحن نرى الذرة تدخر فى الصيف للشتاء ، فاذا خافت العفن على ما ادخرت من الحب أخرجته الى ظاهر الأرض فنشرته ليلا فى القمـر ، واذا خافت نبات الحب نقرت وسـط الحبة ، لئـلا تنبت . وقال ابن عيينـة : ليس شيء يدخر الا الانسـان والنملة والفارة . وهـــذه الغربان لا تقـرب نخلة موقرة(٣١٤) ، فاذا صرمت النخلة سقطت عليها فلقطت ما فى القلبة يعنى الكرب (٣١٥) وقالت الفلاسـفة : اذا نهشت الابل حيـة أكلت السراطين . وقال ابن ماسويه : فلذلك نظـــن السراطين صـــالحة للمنهوشين . قالوا والسلحفاة اذا أكلت أفعى أكلت سعترا جبليــا ، وابن عرس اذا قاتل الحية أكل السـذاب (٣١٦) والكلاب اذا كان فى أجوافها دود أكلت سنبل القمح .

* (قال أبو محمد) فأرى هذه على مذاهب الفلاسفة تفهـم ، وتحسن الطب أيضا ، وهذا أعجب من معرفة الذباب بالسم والشـــفاء فى جناحيه . وكيف لا يعجبون من حجر يجذب الحـــديد من بعد ، ويطيعه حتى يذهب به يمينا وشمالا بذهابه ، وهذا حجر المغناطيس . وكيف صدقوا بقول أرسطاطاليس فى حجر السنفيل : انه اذا ربط على بطن صاحب الاستسقاء نشف منه الماء ، وأن الدليل على ذلك أنه يوزن بعد أن يشد على بطنـه فيوجـــد قد ززاد فى وزنه . وذاكرت أيوب

---

(٣١٤) النخلة الموقرة - بكسر القاف : هى ذات الحمل من الثمر ، وصرمت جذ ثمرها .

(٣١٥) القلبة - بضم القاف : شحمة النخلة . والكرب - بفتح الكاف والراء : أصول السعف .

(٣١٦) السذاب : بقل معروف .

المتطبب بهذا أو حنينا فعرفه ، وقال : هذا الحجر مذكور فى التوراة ، او قال فى غيرها من كتب الله عز وجل ، وبقوله فى حجر يسبح فى الخل كانه سمكة ، وخرزة تصير فى حقو المرأة فلا تحبل ، وحجر يوضع على حرف التنور فيتساقط خبز التنور كله ، وحجر يقبض عليه القابض بكفيه فيلقى كل شيء فى جوفه ، وبالصعيد من ارض مصر شجرة تعرف بالسنطة يشهر عليها السيف وتتوعد بالقطع فتذبل .

وحدثنى شيخ لنا عن على بن عاصم عن خالد الحذاء عن محمد ابن سيرين قال : اختصم رجلان الى شريح فقال احدهما : انى استودعت هذا وديعة ، فابى أن يردها على . فقال له شريح : رد على الرجل وديعته . فقال يا أبا أمية ، انه حجر اذا رآته الحبلى القت ولدها ، واذا وقع فى الخل غلى ، واذا وضع فى التنور برد . فسكت شريح ولم يقل شيئا حتى قاما .

وهذه الأشياء رحمك الله لا يضبطها وهم ، ولا يعرف اكثرها بقياس ، ولو تتبعنا مثل هذا من عجائب الخلق لكثر وطال .

* * *

٦٧ - (قالوا حديث يحتج به الروافض فى اكفار أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم تسليما) قالوا رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليردن على الحوض أقوام ، ثم ليختلجن دونى ، فاقول: يارب أصيحابى أصيحابى. فيقال لى : انك لا تدرى ما احدثوا بعدك ، انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» . قالوا وهذه حجة للروافض فى اكفارهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عليا وأبا ذر والمقداد وسلمان وعمار بن ياسر وحذيفة .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انهم لو تدبروا الحديث وفهموا الفاظه لاستدلوا على أنه لم يرد بذلك الا القليل . يدلك على

ذلك قوله : ليردن على الحوض أقوام . ولو كان أرادهم جميعا الا من ذكروا لقال : لتردن على الحوض ، ثم لتختلجن دونى . ألا ترى أن القائل اذا قال : أتانى اليوم أقوام من بنى تميم ، وأقوام من أهل الكوفة ، فانما يريد قليلا من كثير . ولو أراد أنهم أتوه الا نفرا يسيرا قال : أتانى بنو تميم ، وأتانى أهل الكوفة . ولم يجز أن يقول : قوم ، لان القوم هم الذين تخلفوا .

ويدلك أيضا قوله : يا رب أصيحابى ، بالتصغير . وانما يريد بذلك تقليل العدد ، كما تقول مررت بأبيات متفرقة ، ومررت بجميعة. ونحن نعلم أنه قد كان يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ويحضر معه المغازى المنافق لطلب المغنم ، والرقيق الدين ، والمرتاب والشاك ، وقد ارتد بعده أقوام منهم عيينة بن حصن ، ارتد ولحق بطليحة بن خويلد حين تنبأ وآمن به ، فلما هزم طليحة هرب فأسره خالد بن الوليد ، وبعث به الى أبى بكر رضي الله عنه فى وثاق ، فقدم به المدينة ، فجعل غلمان المدينة ينخسونه بالجريد ويضربونه ويقولون : أى عدو الله كفرت بالله بعد ايمانك ، فيقول عدو الله : والله ما كنت آمنت . فلما كلمه أبو بكر رضي الله عنه رجع الى الاسلام ، فقبل منه ، وكتب له أمانا ، ولم يزل بعد ذلك رقيق الدين حتى مات . وهو الذى كان أغار على لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة(٣١٧) ، فقال له الحارث بن عوف : ما جزيت محمد صلى الله عليه وسلم ، أسمنت(٣١٨) فى بلاده ثم غزوته . فقال : « هو ما ترى » وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا الأحمق المطاع » . ولعيينة بن حصن أشباه ارتدوا حين ارتدت العرب . فمنهم من رجع وحسن اسلامه ، ومنهم من ثبت على النفاق ، وقد قال الله تبارك وتعالى : **« وممن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة ، مردوا على النفاق لا تعلمهم ، نحن نعلمهم»**(٣١٩)

---

(٣١٧) الغابة : موضع معروف بالحجاز . واللقاح : جمع لقحة ، وهى الابل.

(٣١٨) يعنى سمنت ماشيتك . (٣١٩) التوبة : ١٠١ .

الآية . فهؤلاء هم الذين يختلجون دونه ـ وأما جميع أصحابه الا الستة الذين ذكروا فكيف يختلجون ؟ وقد تقدم قول الله تبارك وتعالى فيهم : **«محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم»**(٣٢٠) الى آخر السورة . وقوله تعالى : « **لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة** » (٣٢١) .

* (قال أبو محمد) وحدثنى زيد بن أخزم الطائى قال حدثنا أبو داود قال حدثنا قرة بن خالد عن قتادة قال قلت لسعيد بن المسيب: كم كانوا فى بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة . قال قلت : فان جابر بن عبد الله قال : كانوا أربع عشرة مائة . قال أوهم (٣٢٢) رحمه الله . هو الذى حدثنى أنهم كانوا خمس عشرة مائة . فكيف يجوز أن يرضي الله عز وجل عن أقوام ويحمدهم ، ويضرب لهم مثلا فى التوراة والانجيل ، وهو يعلم انهم يرتدون على أعقابهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الا ان يقولوا : انه لم يعلم ، وهذا هو شر الكافرين .

* * *

٦٨ ـ (قالوا حديث فى القدر) قالوا : رويتم أن موسي عليه السلام كان قدريا ، وحاج آدم عليه السلام فحجه(٣٢٣) . وأن أبا بكر كان قدريا ، وحاج عمر فحجه عمر .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا تخرص وكذب على الخبر ، ولا نعلم أنه جاء فى شيء من الحديث أن موسي عليه السلام كان قدريا ، ولا أن أبا بكر رضي الله عنه كان قدريا .

* حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا بشر بن المفضل قال حدثنا داود

---

(٣٢٠) الفتح : ٢٩

(٣٢١) الفتح : ١٨

(٣٢٢) أوهم : غلط .

(٣٢٣) حجه : غلبه وأقام عليه الحجة .

ابن أبي هند عن عامر عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقى موسي آدم صلى الله عليهما وسلم فقال : أنت آدم أبو البشر الذى أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة ؟ قال : نعم . فقال : الست موسي الذى اصطفاك الله على الناس برسالاته وبكلامه ؟ قال : بلى . قال : افليس تجد فيما أنزل عليك : أنه سيخرجنى منها قبل أن يدخلنيها ؟ قال : بلى . قال فخصم (٣٢٤) آدم موسي صلى الله عليهما وسلم .

* (قال أبو محمد) فاى شيء فى هذا القول يدل على أن موسي عليه السلام كان قدريا ، ونحن نعلم أن كل شيء بقدر الله وقضائه ، غير انا ننسب الأفعال الى فاعليها ، ونحمد المحسن على احسانه ، ونلوم المسيء باساءته ، ونعتد على المذنب بذنوبه .

*وأما قولهم : ان أبا بكر رضي الله عنه كان قدريا فهو أيضا تحريف ، وزيادة فى الحديث ـ وانما تنازعا فى القدر وهما لا يعلمان ، فلما علما كيف ذلك اجتمعا فيه على أمر واحد ، كما كانا لا يعلمان أمورا كثيرة من أمر الدين . وأمر التوحيد ، حتى أعلمهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الكتاب ، وحدث السنن ، فعلما بعد ذلك .

على أن الحديث عن أبى بكر وعمر رضي الله عنهما عند أهل الحديث ضعيف يرويه اسماعيل بن عبد السلام عن زيد ابن عبد الرحمن(٣٢٥) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ويرويه رجل من أهل خراسان عن مقاتل بن حيان عن عمرو بن شعيب وهؤلاء لا يعرف أكثرهم .

* * *

(٣٢٤) خصمه : غلبه فى الخصومة .

(٣٢٥) زيد بن عبد الرحمن عن عمرو بن شعيب مجهول (المغنى ٣٤٧/١) واسماعيل بن عبد السلام لم تعثر عليه .

٦٩ – (قالوا حديث يكذبه النظـــر) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحياء شعبة من الايمـــان » . قالوا : والايمان اكتساب ، والحياء غريزة مركبة فى المـــرء ، فكيـــف تكون الغريزة اكتسابا .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان المستحيى ينقطع بالحياء عن المعاصي ، كما ينقطع بالايمان عنها ، فكانه شعبة منه . والعرب تقيم الشيء مقام الشيء اذا كان مثله ، أو شبيها به ، أو كان سببا له . ألا تراهم سموا الركوع والسجود صلاة ، وأصل الصلاة الدعاء ؟ وسموا الدعاء صلاة كما قال الله تعالى : « **وصل عليهم** » . أى ادع لهـــم . وقال تعالى : « **لولا دعاؤكم** »(٣٢٦) أى لولا صلاتكم . وقال ابن عمر انه كان اذا دعى عليه السلام الى وليمة فان كان مفطرا أكل ، وان كان صائما صلى أى دعا . وأصل الصلاة الدعاء . قال الله تعالى « **وصـــل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم** »(٣٢٧) . أى ادع لهم وقال الله عز وجل: « **أن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** »(٣٢٨) . أى ادعوا له . وما جاء فى هذا كثير .

فلما كان الدعاء يكون فى الصلاة سـميت الصـــلاة به . وكذلك الزكاة ، وهى تطهير المال ونماؤه ، فلما كان النماء يقـع باخـــراج الصدقة عن المال سمى زكاة ، ومثل هذا كثير .

حدثنى أبو الخطاب قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليث بن أبى سليم يحدث عن واصل بن حيان عن أبى وائل عن ابن مسعود قال كان آخـــر ما حفظ من كلام النبـــوة : « اذا لم تستح فاصـــنع ما شئت » . يراد به أنه من لم يستح وكان فاسقا ، ركب كل فاحشة ، وقارف كل قبيح ، لأنه لا يحجزه عن ذلك دين ولا حياء . أفما ترى

(٣٢٦) الفرقان : ٧٧ . (٣٢٧) التوبة : ١٠٣ .
(٣٢٨) الأحزاب : ٥٦

ان الحياء قد صار والايمان يعمــلان عمــــلا واحدا ، فكانهمـــا شيء واحد(٣٢٩) .

* * *

٧٠ ـ (قالوا أحاديث فى الصلاة متناقضة) قالوا: رويتم عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه انه صلى مع رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم ، واذا رجلان لم يصليا فى ناحية المسجد ، فدعا بهما فجاءا ترعد فرائصهما ، فقال عليه السلام : « ما منعكما أن تصليا معنا ؟ قالا : قد صلينا فى رحالنا . قال عليه السلام : فلا تفعلوا ، اذا صلى أحدكم فى رحله ثم أدرك الامام ولم يصل فليصل معه ، فانها له نافلة » .

ثم رويتم عن معن بن عيسي عن سعيد بن السائب الطائفى عن نوح بن صعصعة عن يزيد بن عامر قال : جئت والنبى صلى الله عليه وسلم فى الصلاة فجلست ولم أدخل معهم ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « الم تسلم يا يزيد ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : فما منعك أن تدخل مــع النـــاس فى صلاتهم ؟ قلت : انى كنت صليت فى منزلى ، وأنا أحسب أن قد صليتم . فقال : اذا جئت للصلاة فوجدت الناس يصلون فصل معهم ، وان كنت قد صليت تكن لك نافلة وهذه مكتوبة » .

ثم رويتم عن يزيد بن زريع عن حسين عن عمرو بن شعيب عن سليمان مولى ميمونة قال : أتيت ابن عمر وهو على البلاط ، وهم يصلون ، فقلت : ألا تصـــلى معهم ؟ قال : قد صليت ، أو ما(٣٣٠) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تصلوا صـلاة فى

---

(٣٢٩) واذا كان الايمان والحياء شيئا واحدا ، ويعملان عملا واحدا ، وكان أحدهما عزيزة وفطرة ، دل ذلك على أن الايمان بمعناه فطرة فى النفوس ، كمـــا دل على أنه يمكن تحصيل معانى الفطرة اكتسابا مع جهاد النفس .

(٣٣٠) فى المخطوطة (أنى سمعت) .

يوم مرتين » . قالوا وهذا تناقض واختلاف ، وكل حديث منها يوجب غير ما يوجبه الآخر .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس فى هذه الأحاديث تناقض ولا اختلاف ، أما الحديث الأول فانه قال « اذا صلى أحدكم فى رحله ثم أدرك الامام ولم يصل فليصل معــه ، فانها له نافلة » . يريد أن الصلاة التى صلى مع الامام نافلة ، والأولى هى الفريضة ، لأن النيــة قــد تقدمت بأدائها ، حتى كملت . وتقضت ، والأعمــال بالنيات .

*وأما الحديث الثانى فقال « اذا جئت للصلاة فوجدت الناس يصلون فصــل معهم ، وان كنت قــد صــليت ، تكن لك نافلة وهــذه مكتوبة » . كانه قال تكن لك هذه الصلاة التى صليت مع الامام نافلة ، وهذه الأخرى التى صليتها فى بيتك مكتوبة . ولو جعل مكان(٣٣١) قوله هذه « وتلك مكتوبة » كان أوضح للمعنى . ولا فرق بينهما ، وانما يشكل بقوله وهذه — فاغفل بعض الرواة هذه فى الموضع الأول وذكره فى الموضع الثانى ، وجعله مكان تلك . وقد ذكرت لك مثل هذا من اغفال النقلة للحرف ، والشيء اليسير يتغير به المعنى .

* وما الحديث الثالث الذى ذكر فيه ابن عمر أن رســول اللــه صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصلوا صلاة فى يوم مرتين » ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصلوا فريضة فى يوم مرتين». كانك صليت فى منزلك الظهر مرة ثم صليتها مرة أخرى . او صليتها مع امام ثم أعدتها مع امام آخر . فاستعمل ما سمع من هذا الحديث فى الموضع الذى أطلق فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى الرجل ويجعله نافلة . ولعله لم يكن سمع هذا ولم يبلغه — ومن صلى فى منزله الفريضة وصلى مع الامام تلك الصلاة وجعلها نافلة لم يصل

(٣٣١) لا مفر من أن فى الحديث اضطرابا فى متنه مع انه صحيح .

صلاة فى يوم مرتين ، لأن هاتين صلاتان مختلفتان احداهما فريضة والأخرى نافلة .

* * *

٧١ ـ (قالوا أحاديث فى الوضوء متناقضة) قالوا : رويتم عن سفيان عن الزهرى عن أبى سلمة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن ينام وهو جنب توضأ وضوءه للصلاة . ثم رويتم عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يأكل أو ينام توضأ ، تعنى وهو جنب . . ثم رويتم عن سفيان عن أبى اسحق عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام وهو جنب من غير أن يمس ماء .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا كله جائز ، فمن شاء أن يتوضأ وضوءه للصلاة بعد الجماع ثم ينام ، ومن شاء غسل يده وذكره ونام ، ومن شاء نام من غير أن يمس ماء ، غير أن الوضوء أفضل ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هذا مرة ليدل على الفضيلة ، وهذا مرة ليدل على الرخصة ، ويستعمل الناس ذلك ، فمن أحب أن يأخذ بالأفضل أخذ ، ومن أحب أن يأخذ بالرخصة أخذ .

* * *

٧٢ ـ (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم عن سفيان عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن الأعرابى بال فى المسجد فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « صبوا عليه سجلا من ماء ، أو قال ذنوبا من ماء » . ثم رويتم عن جرير بن حازم قال سمعت عبد الملك بن عمير يحدث عن عبد الله بن معقل بن مقرن أنه قال فى هذه القصة : « خذوا ما بال عليه من التراب فألقوه ، وأهريقوا على مكانه ماء » . قالوا وهذا خلاف الأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الخلاف وقع فى هذا من

قبل الراوى . وحديث أبى هريرة أصح ، لأنه حضر الأمر ورآه ، وعبدالله بن معقل بن مقرن ليس من الصحابة ، ولا ممن أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، فلا نجعل قوله مكافئا لقول من حضر ورأى . وكان أبوه معقل بن مقرن أبو عمرة المزنى يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فأما عبدالله ابنه فلا نعلمه .

* * *

٧٣ ــ (قالوا حديثان فى الصوم متناقضان) قالوا : رويتم فى غير حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الصوم فى السفر ، فقال : « ان شئت فصم ، وان شئت فأفطر » . ثم رويتم عن عبيد الله بن موسي عن أسامة بن زيد عن ابن شهاب عن أبى سلمة عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صيام رمضان فى السفر كفطره فى الحضر » .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لقوم رغبوا عن رخصة الله تعالى ، وما وهب لهم من الرفاهة فى السفر ، وتجشموا المشقة والشدة ، فأعلمهم أن اثمهم فى الصيام فى السفر كاثمهم فى الفطر فى الحضر . وسماهم فى حديث آخر عصاة ، لتركهم قبول ما أنعم الله تعالى به ، ويسر فيه . ومن رغب عن يسر الله تعالى كان كمن قصر فى عزائمه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صائم الدهر : « لا صام ولا أفطر » . وقال : « من صام الدهر ضيقت عليه جهنم » . وأما من سافر فى الزمن البارد ، والأيام القصار ، أو كان فى كن وسعة ، وكان مخدوما ، فالصوم عليه سهل ، فذلك الذى خيره النبى صلى الله عليه وسلم بين الصوم والفطر ، فقال : « ان شئت فصم ، وان شئت فأفطر » .

* * *

٧٤ - (قالوا حديثان فى الصوم متناقضان) قالوا : رويتم فى غير حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم . ثم رويتم عن أبى نعيم عن اسرائيل عن زيد بن جبير عن أبى يزيد الضبى عن ميمونة بنت سعد مولاة النبى صلى الله عليه وسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل قبل امرأته وهو صائم فقال : « قد أفطر » .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان القبلة للصائم تفسد الصوم ، لانها تبعث الشهوة ، وتستدعى المذى . وكذلك نقول فى المباشرة ، فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه معصوم ، وتقبيله فى الصوم أهله كتقبيل الوالد ولده ، والأخ أخاه . ويدلك على ذلك قول عائشة رضي الله عنها : « وأيكم يملك اربه(٣٣٢) كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه » . وكذلك نقول فى نوم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا يوجب الوضوء ، لقوله : « ان عينى تنام ولا ينام قلبى » . ولذلك كان ينام حتى يسمع فخيخه(٣٣٣) ثم يصلى من غير أن يتوضا . وأحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم تخالف أحكام أمته فى غير موضع .

* * *

٧٥ - (قالوا حديث يبطله النظر) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : «استوصوا بالمعزى خيرا ، فانه مال رقيق ، وهو من الجنة » . قالوا : كيف يكون من الجنة ، وهو عندنا يولد . وان كان فى الجنة معزى ، فينبغى أن يكون فيها بقر وابل وحمير وخيل .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه لم يرد أن هذه المعزى

---

(٣٣٢) يملك اربه يعنى يتحكم فى شهواته ، ولا تحكمه شهواته . وهذا هو الفرق بين المعصوم وغير المعصوم . وبين الكامل والناقص .. ومن هنا لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم كالبشر تملكهم شهواتهم .

(٣٣٣) الفخيخ : الغطيط فى النوم .

باعيانها فى الجنة . وكيف تكون فى الجنة وهى عندنا ، وانما اراد ان فى الجنة معزى ، وقد خلق الله تعالى هذه فى الدنيا لها مثالا ، وكذلك ايضا الضان والابل والخيل ، ليس منها شيء الا ولها فى الجنة مثال ، وانما تخلو الجنة من الخبائث ، كالقرود والخنازير والعقارب والحيات . واذا جاز ان يكون فى الجنة لحم جاز أن يكون فيها معزى وضان ، واذا جاز أن يكون فيها طير يؤكل جاز أن يكون فيها نعم يؤكل ، قال الله تعالى : « **ولحم طير مما يشتهون** »(٣٣٤) .

* (قال ابو محمد) وحدثنى أحمد بن الخليل قال حدثنا الاصمعى قال حدثنا أبو هلال الراسبى عن عبدالله بن بريدة عن ابيه بريدة الأسلمى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سيد ادام اهل الدنيا والآخرة اللحم ، وسيد ريحان أهل الدنيا وأهل الجنة الفاغية » . ومما يدل على ما قلت : أنه قال فى حديث آخر : « امسحوا الرغام عن أنوفها ، فانها من دواب الجنة » . يريد أنها من الدواب التى خلقت فى الجنة .

* * *

٧٦ ـ (قالوا حديث يكذبه القرآن من جهتين) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الميت يعذب ببكاء الحى عليه » . وهذا يبطل من وجهين : (أحدهما) بقول الله جل وعز : « **ولا تزر وازرة وزر اخرى** »(٣٣٥) . (والآخر) بقول الله تعالى : « **قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة** »(٣٣٦) . ثم قال تعالى يذكر احوال المخلوق منذ كان طينا الى أن يبعثه : « **ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم انكم بعد ذلك**

---

(٣٣٤) الواقعة : ٢١ .
(٣٣٥) فاطر : ١٨ .
(٣٣٦) الجاثية : ٢٦ .

لميتون . ثم انكم يوم القيامة تبعثون »(٣٣٧) . قالوا : ولم يذكر الله تعالى أنه يحييه فيما بين الموت والبعث ، ولا أنه يعذبه ، ولا أنه يثيبه ، حين أجمل ولا حين فصل .

* (قال ابو محمد) ونحن نقول : ان كتاب اللــه تعالى يأتى بالايجاز والاختصار ، وبالاشارة والايماء ، ويأتى بالصفة فى موضع ، ولا يأتى بها فى موضع آخــر ، فيستدل على حذفها من أحــد المكانين بظهورها فى المكان الآخر . وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبين للكتاب ، ودال على ما أريد فيه .

* فمن المحذوف فى كتاب الله جل وعز قوله تعالى : « **فمن كان منكم مريضا أو على سـفر فعدة من أيام أخـر** »(٣٣٨) . وظاهر هذا يدل على أن من كان مريضا أو على سفر صام عدة أيام أخر ، وان صام فى السفر ، وعلى حال المرض ، وانما أراد : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فافطر فعليه عدة من أيام أخر . فحذف « فافطر » .

*وكذلك قوله جل وعز : « **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** »(٣٣٩) . وظاهر هذا الكلام يــدل على أن المريض أو القمل(٣٤٠) فى رأســه تجب عليه الفدية ، وانما أراد فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق ، فعليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك . واشباه هذا كثير .

* ومما اتت فيه الصفة ولم تات فى مثله فاستدل باحدهما على الاخر قوله تعالى : « **واشهدوا ذوى عدل منكم** »(٣٤١) . وقال تعالى فى موضع آخر « **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** »(٣٤٢) . ولــم

---

(٣٣٧) المؤمنون : ١٢ – ١٦ . (٣٣٨) البقرة : ١٨٤ .
(٣٣٩) البقرة : ١٩٦ .
(٣٤٠) القمل بفتح القاف وكسر الميم : كثير القمل .
(٣٤١) الطلاق : ٢ . (٣٤٢) بقرة : ٢٨٢ .

يقل : عدلين ، اقتصارا على ما وصف فى المكان الآخر . وقال فى موضع : « **فتحرير رقبة مؤمنة** »(٣٤٣) . وفى موضع آخر : « **فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا** »(٣٤٤) . ولم يقل مؤمنة .

* وأما ما استدل عليه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفات الصلوات ، وكيف الركوع والسجود والتشهد ، وكم العدد ، وما فى المال من الصدقات والزكوات ، ومقدار ما يقطع فيه السارق ، وما يحرم من الرضاع ، وأشباه هذا كثير .

وقد أعلمنا الله تعالى فى كتابه أنه يعذب قوما قبل يوم القيامة اذ يقول : « **النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** »(٣٤٥) . ولا يجوز أن يعرض هؤلاء على النار غدوا وعشيا فى الدنيا ، ولا فى يوم القيامة ، لقوله تعالى : « **ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** »(٣٤٦) . ولأن يوم القيامة ليس فيها غدو ولا عشي ، الا على مجاز فى قوله جل وعز : « **ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا** »(٣٤٧) . يجوز فى ذلك الموضع ولا يجوز فى هذا الموضع . وقد أخبرت به فى كتابى المؤلف فى تأويل مشكل القرآن .

وقال فى موضع آخر بعد أن ذكر عذاب يوم القيامة : « **وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون** »(٣٤٨) . وقد تتابعت الروايات عن النبى صلى الله عليه وسلم من جهات كثيرة بنقل الثقات أنه كان يتعوذ بالله من عذاب القبر .

(من ذلك) حديث مالك عن أبى الزبير عن طاوس عن

---

(٣٤٣) النساء : ٩٢ . (٣٤٤) المجادلة : ٣ .
(٣٤٥) غافر : ٤٦ . (٣٤٦) غافر : ٤٦ .
(٣٤٧) مريم : ٦٢ . (٣٤٨) الطور : ٤٧ .

ابن عبـاس أن النبى صلى اللـه عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من فتنة الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وعذاب القبر » .

(ومن ذلك) حـديث شـعبة عن بديل بن ميسرة عن عبدالله ابن شقيق عن أبى هريرة أن النبى صلى اللـه عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعـوذ بـك من فتنـة القبر وعذابه ، وفتنـة الدجال » .

(ومن ذلك) حديث هشام عن قتادة عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم انى أعوذ بك من فتنة المحيا ، ومن فتنة الممات ، وعذاب القبر » .

هذا مع أخبار كثيرة فى منكر ونكير ومسألتهما .

(منها) حديث حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبدالله ابن عباس قال : « ان أحدكم ليجلس فى قبره اجلاسا ، فيقال له : من أنت ؟ فيقول : أنا عبدالله حيا وميتا ، وأشهد أن لا الـه الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فيقال لـه : صدقت . فيفسح لـه فى قبره ما شاء الله ، ويرى مكانه من الجنة . وأما الآخر فيقال له : من أنت ؟ فيقول : لا أدرى . فيقال له : لا دريت . فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه » . وهذا مما لا يعلمه الا نبى ـ ولم يكن عبدالله ليحكيه الا وقد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(وروى) عباد بن راشد عن داود بن أبى هند عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه ذكر : أن الملك يأتى العبد اذا وضع فى قبره ، قال : « فان كان كافرا أو منافقا فيقال له : ما تقول فى هذا الرجل ـ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : لا أدرى ، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته . فيقول : لا دريت

ولا ائتليت . ولا اهتديت » . وهذه الأخبار تدل على أن عذاب القبر للكافر .

* (وأما قولهم) : كيف يعذب الميت ببكاء الحى والله تعالى يقول « **ولا تزر وازرة وزر أخرى** »(٣٤٩) ؟ فانا أيضا نظن أن التعذيب للكافر ببكاء أهله عليه . وكذلك قال ابن عباس : انه مر بقبر يهودى ، فقال : انه ليعذب ، وان أهله ليبكون عليه . فان كان كذلك فهذا ما لا يوحش ، لأن الكافر يعذب على كل حال . وان كان أراد المسلم المقصر كما قال فى المعذب بالغيبة والبول ، فان قول الله عز وجل : « **ولا تزر وازرة وزر أخرى** » انما هو فى أحكام الدنيا . وكان أهل الجاهلية يطلبون بثأر القتيل فيقتل أحدهم أخاه أو أباه أو ذا رحم بـه ، فاذا لم يقدر على أحد من عصبته ولا ذوى الرحم به قتل رجلا من عشيرته . فأنزل الله تبارك وتعالى : « **ولا تزر وازرة وزر أخرى** » . وأخبرنا أيضا انه مما أنزل على ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل رأى معه ابنه : « لا تجنى عليـه ولا يجنى عليك » .

* فاما عقاب الله تعـالى اذا هو أتى فيعم ، وينـال المسيء والمحسن . قال الله تعالى : «**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** »(٣٥٠) . يريد أنها تعم فتصيب الظالم وغيره . وقال عـز وجل : « **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا** »(٣٥١) . وقالت أم سلمة : « يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ فقال : نعم اذا كثر الخبث » . وقـد تبين لهم أن الله تعالى غرق أمة نوح عليه السلام كلها ، وفيهم الأطفال والبهائم ، بذنوب البالغين . وأهلك قوم عاد بالريح العقيم . وثمود بالصاعقة . وقوم لوط بالحجارة . ومسخ أصحاب السبت قردة وخنازير . وعذب بعذابهم الأطفال .

---

(٣٤٩) فـاطر : ١٨ .
(٣٥٠) الأنفـال : ٢٥ .
(٣٥١) الـروم : ٤١ .

* وأخبرنى رجل من الكوفيين قرأ فى الكتب المتقدمة من كتب الله تعالى فوجد فى كتاب منها : أنا الله الحقود(٣٥٢) آخذ الأبناء بذنوب الآباء . وروى عن ابن عباس أن دانيال عليه السلام قال : بحق (أقول لكم) (٣٥٣) لكم يابنى اسرائيل أنى بذنوبكم أعذب .. وقال أنس بن مالك : ان الضب فى جحره ليموت هزلا بذنب ابن آدم . وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر ، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابعت عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز(٣٥٤) . فنال ذلك الجدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع .

* (قال أبو محمد) وقد رأينا بعيوننا ما أغنى عن الأخبار ، فكم من بلد فيه الصالحون والأبرار ، والأطفال والصغار ، أصابته الرجفة فهلك به البر والفاجر ، والمسيء والمحسن ، والطفل والكبير ، كقومس ومهرجان وقذق والرى ومدن كثيرة من مدن الشام واليمن ، وهذا شيء يعرفه كل من عرف الله عز وجل من أهل الديانات وان اختلفوا .

* (قال أبو محمد) وحدثنى رجل من أصحاب الأخبار أن المنصور سمر ذات ليلة ، فذكر خلفاء بنى أمية وسيرتهم ، وأن بعضهم لم يزل(٣٥٥) على استقامة حتى أفضي أمرهم الى أبنائهم المترفين فكان همهم من عظيم شأن الملك وجلالة قدره قصد الشهوات ، وايثار

---

(٣٥٢) لا ندرى كيف أهمل المؤلف التعليق على هذا الوصف ، وهو يعلم يقينا أنه من فعل من حرفوا كتب الله السابقة ، فذكروا فيها كثيرا من هذا السفه : قالوا : ندم الله على خلق الخلق ، واغتاظ من الوئام بين الناس فبلبل السنتهم ليقع بينهم التناحر .. الى آخره .

(٣٥٣) سقطت من المطبوعتين .

(٣٥٤) العلهز : طعام من الدم والوبر كانوا ياكلونه في المجاعة .

(٣٥٥) فى المطبوعتين (وأنهم لم يزالوا) .

اللذات ، والدخول فى معاصي الله عز وجل ومساخطه ، جهلا منهم باستدراج الله تعالى ، وأمنا من مكره تعالى ، فسلبهم الله تعالى الملك والعز ، ونقل عنهم النعمة . فقال له صالح بن على : ياأمير المؤمنين ، ان عبيد الله بن مروان لما دخل أرض النوبة هاربا فيمن اتبعه سأل ملك النوبة عنهم ، فأخبر ، فركب الى عبيد الله فكلمه بكلام عجيب فى هذا النحو لا أحفظه ، وازعجه عن بلده ، فان راى أمير المؤمنين أن يدعو به من الحبس بحضرتنا فى هذه الليلة ويسأله عن ذلك . فأمر المنصور باحضاره وساله عن القصة ، فقال : ياأمير المؤمنين قدمت أرض النوبة بأثاث سلم لى ، فافترشته بها ، وأقمت ثلاثا ، فاتانى ملك النوبة . وقد خبر أمرنا ، فدخل على رجل طوال اقنى ، حسن الوجه فقعد على الأرض ولم يقرب الثياب ، فقلت : ما يمنعك أن تقعد على ثيابنا ؟ فقال : انى ملك وحق على كل ملك أن يتواضع لعظمة الله جل وعز اذ رفعه الله ، ثم اقبل على فقال لى : لم تشربون الخمر وهى محرمة عليكم فى كتابكم ؟ فقلت : اجترأ على ذلك عبيدنا وسفهاؤنا . قال : فلم تطؤن الزروع بدوابكم . والفساد محرم عليكم فى كتابكم ؟ . قلت يفعل ذلك جهالنا . قال : فلم تلبسون الديباج والحرير وتستعملون الذهب والفضة وهو محرم عليكم ؟ فقلت : زال عنا الملك ، وقل انصارنا ، فانتصرنا بقوم من العجم دخلوا فى ديننا ، فلبسوا ذلك على الكره منا . فاطرق مليا وجعل يقلب يده وينكت فى الأرض ، ثم قال : ليس ذلك كما ذكرت ، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم عليم ، وركبتم ما عنه نهيتم ، وظلمتم فيما ملكتم ، فسلبكم الله تعالى العز ، والبسكم الذل بذنوبكم ، ولله تعالى فيكم نقمة لم تبلغ نهايتها ، وأخاف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدى فيصيبنى معكم ، وانما الضيافة ثلاث ، فتزودوا ما احتجتم اليه وارتحلوا عن بلدى . ففعلت ذلك .

* وقد أخبرنا الله تعالى فى كتابه أنه يحفظ الأبناء فى الآباء ، فقال عز وجل : « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان

تحته كنـز لهما وكان أبوهما صـالحا فأراد ربـك أن يبلغا أشـدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك »(٣٥٦) وقال عمر رضي الله عنه في خطبته يوم استسقى بالعباس : « اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم ، وبقية آبائه ، وكبراء رجاله فانك تقول وقولك الحق « **وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صـالحا فأراد ربـك أن يبلغا أشـدهما ويستخرجا كنزهما** » فحفظتهما لصلاح أبيهما ، فاحفظ اللهم نبيك فى عمه ، فقد دلونا به اليك مستشفعين ومستغفرين » • وقد يجوز كما حفظ أبنـاء أوليائه لآبائهم ، ألا يحفظ أبناء أعدائه لآبائهم ، وهو الفعال لما يشاء •

* وقد كانت عائشة رضي الله عنها تنكر هذا الحديث وتقول : من قال به فقد فجر • وهذا ظن من عائشة وتأويل • ولا يجوز رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لظنها • ولو كانت حكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فى مخالفته كان قولها مقبولا ـ ولو كان عبدالله بن عمر نقله وحده توهم عليه كما قالت الغلط ، ولكن قـد نقله جماعة من الصحابة فيهم عمر وعمران بن حصين وابن عمر وأبو موسي الأشعرى •

فان قالوا : فان هذا ظلم ، وقد تبرأ الله عز وجل من الظلم اذ يقول « **ومـا أنـا بظـلام للعبيـد** »(٣٥٧) • أجبناهم بقـول اياس ابن معاوية فانه قال : قلت لبعضهم ما الظلم فى كلام العرب ؟ فقال : أن يأخذ الرجل ما ليس له • قلت ؟ فان الله تعالى له كل شيء •

* * *

٧٧ ـ (قالوا حديث يبطله النظر) قالوا : رويتم أن أبا ذر قال لرسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فى مباضعة الرجـل أهلـه : يلـذ يارسول الله ويؤجر ؟ قال : « أرأيت لو وضعته فى حرام الست تاثم ؟

---

(٣٥٦) الكهف : ٨٢ •

(٣٥٧) سورة ق : ٢٩ •

قال : نعــم . قال : فكذلك تؤجر فى وضعك اياه فى الحلال » . قالوا : والوضع فى الحرام معصية ، والوضع فى الحلال اباحة ، فكيف يجوز أن يؤجر فى الاباحة ؟ ولو جاز هذا لجاز ان يؤجر على أكل الطعام اذا جاع ، وعلى شرب الماء اذا عطش . وكيف يقول هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الخلق بالكلام ، وبما يجوز وبما لا يجوز ؟

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الرجل قد تكون له المرأة العجوز ، أو القبيحة ، فتطمح نفسه الى غيرها من الحرام ، وهو له معترض وممكن ، فيدعه طاعة لله عز وجل ، فيكون فى اتيان الحلال وهو له غير مشته ماجورا . وتكون له المراتان احداهما سوداء شوهاء ، والأخرى بيضاء حســناء ، فيسوى بينهما ، وهو فى الواحدة منهما راغب ، ولما يأتيه الى الأخرى متجشم ، فيؤجر فى ذلك . ولو أن رجلا اكل خبز الشعير الحلال وترك النقى الحرام وهو يقدر عليه كان عند جميع الناس ماجورا على أكل خبز الشعير ، بــل لو قال قائل : ان المؤمن ماجور على أكله وشربه وجماعه مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن المؤمن ليؤجر فى كل شيء حتى فى رفع اللقمة إلى فيه » ما كان فيما أرى الا مصيبا(٣٥٨) .

* * *

٧٨ - (قالوا حــديث يكذبــه النظــر) قالوا : رويتم أن قرودا رجمت قردة فى زنا ، فان كانت القرود انما رجمتها فى الاحصان فذاك أظرف للحديث . وعلى هذا القياس فانكم لا تدرون لعل القرود تقيم من أحكام التوراة أمورا كثيرة ، ولعل دينها اليهودية بعد . وان كانت القرود يهودا فلعل الخنازير نصارى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول فى جواب هذا الاستهزاء : ان

---

(٣٥٨) نعم .. لأن العمل بالنية . والمباح اذا أخذ بنية الاستعانة به على الطاعة ، والقوة على الجهاد كان ماجورا ، وان اخذه بنية القوة على المعاصي ، او بنية التجبر والتكبر كان مأزورا . وهذا من مسلمات أصول السلوك الاسلامى .

حديث القرود ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن أصحابه ، وانما هو شيء ذكر عن عمرو بن ميمون . حدثني محمد بن خالد بن خداش قال حدثنا مسلم بن قتيبة عن هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون قال : زنت قردة في الجاهلية فرجمتها القرود ورجمتها معهم .

* (قال أبو محمد) وقد يمكن أن يكون رأى القرود ترجم قردة فظن أنها ترجمها لأنها زنت ، وهذا لا يعلمه أحد الا ظنا ، لأن القرود لا تنبيء عن أنفسها ، والذي يراها تتسافد لا يعلم أزنت أم لم تزن . هذا ظن .

ولعل الشيخ(٣٥٩) عرف أنها زنت بوجه من الدلائل لا نعلمه ، فان القرود أزنى البهائم ، والعرب تضرب بها المثل فتقول : أزنى من قرد . ولولا أن الزنا منه معروف ما ضربت به المثل ، وليس شيء أشبه بالانسان في الزواج والغيرة منه . والبهائم قد تتعادى ، ويثب بعضها على بعض ، ويعاقب بعضها بعضا . فمنها ما يعض ، ومنها ما يخدش ، ومنها ما يكسر ويحطم ، والقرود ترجم بالأكف التي جعلها الله لها ، كما يرجم الانسان . فان كان انما رجم بعضها بعضا لغير زنا فتوهم الشيخ لزنا فليس هذا ببعيد . وان كان الشيخ استدل على الزنا منها بدليل ، وعلى أن الرجم كان من أجله فليس ذلك أيضا ببعيد ، لأنها على ما أعلمتك أشد البهائم غيرة ، وأقربها من بني آدم أفهاما .

* (قال أبو محمد) وأنا أظن : أنها الممسوخ بأعيانها توالدت . واستدللت على ذلك بقول الله عز وجل : « **قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير** »(٣٦٠) فدخول الألف واللام في القردة والخنازير يدل

---

(٣٥٩) يعني : عمرو بن ميمون راوي الخبر .

(٣٦٠) المائدة : ٦٠

على المعرفة ، وعلى أنها هى القردة التى نعاين ، ولو كان أراد شيئا انقرض ومضي لقال وجعل منهم قردة وخنازير ، الا أن يصح حديث أم حبيبة فى الممسوخ فيكون كما قال النبى صلى الله عليه وسلم . ولسنا نقول : انها فعلت ذلك لانها عملت(٣٦١) بحكم التوراة كما يقول المستهزىء ، ولكنا نقول : انها عاقبت بالرجم ، اما على الزنا أو على غير ذلك ، من أجل أكفها ، كما يخدش غيرها . ويعض ويكسر ، اذ كانت أكفها كأكف بنى آدم ، وكان ابن آدم لا ينال ما يريد أذاه اذا بعد عنه الا بالرجم . ومما يزيد فى الدلالة على أن القرود هى الممسوخ بأعيانها اجماع الناس على تحريمها بغير كتاب ولا أثر ، كما أجمعوا على تحريم لحوم الناس بغير كتاب ولا أثر .

* * *

٧٩ — (قالوا أحاديث تدل على خلق القرآن) قالوا : رويتم قلب القرآن يس ، وسنام القرآن البقرة ، وتجىء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان(٣٦٢) أو خرقان(٣٦٣) من طير صواف(٣٦٤) ويأتى القرآن الرجل فى قبره فيقول له كيت وكيت ، وهذا كله يدل على أن القرآن مخلوق . ولا يجوز أن يكون ماله قلب وسنام وما كان غمامة أو غياية غير مخلوق .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه قد كان ينبغى لهؤلاء اذ كانوا أصحاب كلام وقياس أن يعلموا أن القرآن لا يكون جسما ، ولا ذا حدود وأقطار ، وانما أراد بقوله : سنام القرآن البقرة أعلاه ، كما أن السنام من البعير أعلاه ، وأراد بقوله : قلب القرآن يس ، أنها من القرآن كمحل القلب من البدن ، وأراد بقوله تجىء البقرة وآل عمران كأنهما غمامتان ، أن ثوابهما ، يأتى قارئهما حتى يظله يوم القيامة ،

(٣٦١) فى المخطوطة (علمت) .

(٣٦٢) الغيايتان مثنى غياية ، وهى كل ما أظل الانسان كالسحاب من فوق.

(٣٦٣) الخرقان بالكسر ، وهى القطعة من الجراد . وقيل : الحزقان بالزاى ، وهى الجماعة من الناس والطير .

(٣٦٤) صواف . جمع صافة . أى باسطة أجنحتها وهى طائرة .

ويأتى ثوابه الرجل فى قبره ، ويأتى الرجل يوم القيامة حتى يجادل عنه ، ويجوز أن يكون الله تعالى يجعل له مثالا يحاج عنه ويستنقذه .

* (قال أبو محمد) حدثنا أبو الخطاب بن زياد يحيى قال : حدثنا عبد الأعلى . قال حدثنا محمد بن اسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يمثل القرآن يوم القيامة برجل ، ويؤتى بالرجل قد كان يضيع فرائضه ، ويتعدى حدوده ، ويخالف طاعته ، ويركب معصيته . قال فينتتل(٣٦٥) خصما له ، فيقول : أى رب ، حملت اياى شر حامل ، تعدى حدودي ، وضيع فرائضي ، وترك طاعتى ، وركب معصيتى ، فما يزال يقذف بالحجج عليه ، حتى يقال له : فشانك به . قال : فيأخذ بيده فلا يفارقه حتى يكبه على منخره فى النار .

ويؤتى بالرجل قد كان يحفظ حدوده ، ويعمل بفرائضه ، ويأخذ بطاعته ، ويجتنب معصيته ، فينتتل خصما له ، فيقول : أى رب ، حملت اياى خير حامل ، اتقى حدودى ، وعمل بفرائضي ، واتبع طاعتي ، وترك معصيتى ، فما يزال يقذف له بالحجج عليه حتى يقال : فشأنك به . قال : فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكسوه حلة الاستبرق ، ويعقد على رأسه تاج الملك ، ويسقيه بكأس الخلد .

أفما فى قوله : « يمثل القرآن » دليل على أنه يجعل له مثال ليعلم صاحبه التالى له والعامل به أن القرآن وهو المستنقذ له والقرآن نفسه لا يكون رجلا ولا جسما ، ولا يتكلم لأنه كلام (الله تعالى غير مخلوق) (٣٦٦) .

ولو أمعن هؤلاء النظر وأوتوا طرفا من التوفيق ، لعلموا أنه لا يجوز أن يكون القرآن مخلوقا ، لأنه كلام الله تعالى ، وكلام الله من الله ، وليس من الله عز وجل شيء مخلوق . ويعتبر ذلك برد

---

(٣٦٥) ينتتل : يستعد للخصام .

(٣٦٦) فى المطبوعتين (لأنه كلام) .

الأمر الى ما يفهمون من كلامنا ، لأن كلامنا ليس عملا لنا ، انما هو صوت وحروف مقطعة ، وكلاهما لا يجوز أن يكون لنا فعلا ، لأنهما جميعا خلق الله ٠ وانما لنا من العمل فيهما الأداء(٣٦٧) ٠ والثواب من الله تعالى يقع عليه ٠

* ومثل ذلك مثل رجل أودعته مالا ، ثم استرجعته منه ، فأداه اليك بيده ، فليس له في المال ولا في اليد ثواب ، وانما الثواب في تأدية المال ٠ وكذلك الثواب لك فى تأدية القرآن بالصوت والحروف المقطعة ٠ والقرآن بهذا النظم وهذا التاليف كلام الله تعالى ، ومنه بدأ ، وكل من أداه فهو مؤد لكلام الله تعالى ، لا يزيل ذلك عنه أن يكون هو القارىء له ٠ ولو أن رجلا ألف خطبة ، أو عمل قصيدة ، ثم نقل ذلك عنه لم يكن الكلام ولا الشعر عملا للناقل ، وانما يكون الشعر للمؤلف ، وليس للناقل منه الا الأداء(٣٦٨) ٠

* * *

٨٠ - (قالوا احاديث يخالفها الاجماع) قالوا : رويتم عن أيوب عن ابن سيرين عن عمرو بن وهب الثقفى عن المغيرة بن شعبة أن النبى صلى الله عليه وسلم تبرز لحاجته ، فأتبعته بماء ، فتوضأ ومسح على عمامته ، ثم صلى الغداة ٠ ورويتم عن أبى معاوية عن الأعمش عن الحكم عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة عن بلال أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح على الخمار ٠ ورويتم عن الوليد ابن مسلم عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عمرو بن أمية الضمرى قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ فمسح على العمامة ٠ قالوا وهذه طرق جياد

---

(٣٦٧) يعنى الحنجرة خلق الله ، والهواء خلق الله ، والعقل خلق الله ، ونحن نستعمل خلق الله ليكون منه الكلام ٠٠ وعليه يكون الثواب والعقاب ٠

(٣٦٨) هذا رد على من قال : نطقى بالقرآن مخلوق ٠٠ فهذا القول تعسف يجانب الحقيقة التى ذكرها ابن قتيبة ، فالمخلوق ليس كلام الله ، وانما وسائل نطقك بكلام الله ٠ ولو قال : وسائل نطقى بكلام الله مخلوقة لكان أوفق .

عندكم ، وقد تركتم العمل بها ، من غير أن ترووا لذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخا .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الحق يثبت عندنا بالاجماع أكثر من ثبوته بالرواية ، لأن الحديث قد تعترض فيه عوارض من السهو والاغفال ، وتدخل عليه الشبه والتاويلات والنسخ ، وياخذه الثقة من غير الثقة ، ، وقد ياتى بأمرين مختلفين وهما جميعا جائزان ، كالتسليمة الواحدة والتسليمتين ، وقد يحضر الأمر يامر به النبى صلى الله عليه وسلم رجل ثم يامر بخلافه ، ولا يحضره هو فينقل الينا الأمر الأول ، ولا ينقل الينا الثانى ، لأنه لم يعلمه . والاجماع سليم من هذه الأسباب كلها ، ولذلك كان مالك رحمه الله يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث ثم يقول : والعمل ببلدنا على كذا ، لأمر يخالف ذلك الحديث ، لأن بلده بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

واذا كان العمل فى عصره على أمر من الأمور صار العمل فى العصر الثانى عليه ، وكذلك فى العصر الثالث والرابع وما بعده . ولا يجوز أن يكون الناس جميعا ينتقلون عن شيء كانوا عليه فى بلده وعصره الى غيره . فقرن عن قرن أكثر من واحد عن واحد .

* وقد روى الناس أحاديث متصلة وتركوا العمل بها ، (منها) حديث سفيان وحماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن جابر عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمدينة آمنا لا يخاف . والفقهاء جميعا على ترك العمل بهذا ، اما لأنه منسوخ ، أو لأنه فعله فى حال ضرورة ، اما لمطر أو شغل .

(ومنها) حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن عوسجة عن ابن عباس أن رجلا توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يدع وارثا الا مولى هو أعتقه ، فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ميراثه . والفقهاء على خلاف ذلك ، اما لاتهامهم عوسجة بهذا ، وانه ممن لا يثبت به فرض أو سنة ، واما لتحريف فى التاويل كان تاويله لم يدع وارثا الا مولى هو أعتق الميت ، فيجوز على هذا التاويل ان يكون وارثا لأنه مولى المتوفى .

واما لنسخ (ومنها) حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقنت فى صلاة الصبح والمغرب والناس يتنازعون فى القنوت فى الصبح ، ولا يختلفون فى تركه فى المغرب ، ومثل هذا كثير وكذلك المسح على العمامة والخمار . وقد أجمع الفقهاء على تركه ولم يجمعوا على ذلك مع مجيئه من الطريق المرتضي عندهم الا لنسخ، أو لأنه رئى يمسح على العمامة وعلى الرأس تحت العمامة ، فنقل الناقل اغرب الخبرين ، لأن المسح على الرأس لا يندر ولا يستغرب ، اذ كان الناس جميعا عليه . وانما يستغرب الخمار .

واستشهدوا على ذلك بحديث أخر للمغيرة رواه الوليد بن مسلم عن ثور عن رجاء بن حيوة عن وراد عن المغيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته وعمامته ، والمسح بالناصية فرض فى الكتاب ، فلا يزول بحديث مختلف فى لفظه . ونحو هذا رواية بعضهم أنه مسح على النعلين . ورواية آخر أنه مسح على الجوربين . وانما مسح على الجوربين فى النعلين فنقل كل واحد أحد الأمرين .

* * *

٨١ - (قالوا حديثان مختلفان فى ذرارى المشركين) قالوا : رويتم أن الصعب بن جثامة قال : يا رسول الله ، ذراري المشركين تطؤهم خيلنا فى ظلم الليل عند الغارة . قال : « هم من آبائهم » . قالوا : ثم رويتم أنه بعث سرية فقتلوا النساء والصبيان ، فأنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم انكارا شديدا . فقالوا : يا رسول الله انهم ذرارى المشركين . قال : « أوليس خياركم ذرارى المشركين ».

* (قال أبو محمد) ونحن نقـــول : انه ليس بين الحديثين اختلاف ، لأن الصعب بن جثامة أعلمه أن خيل المسلمين تطؤهم فى ظلم الليل عند الغارة . فقال : هم من آبائهم . يريد أن حكمهم فى الدنيا حكم آبائهم . فاذا كان الليـل ، وكانت الغـــارة ، ووقعت الفرصة فى المشركين ، فلا تكفوا من أجل الأطفال ، لأن حكمهم حكم آبائهم من غير أن تتعمدوا قتلهم . ثم أنكر فى الحديث الثانى على السرية قتلهم النساء والصبيان ، لأنهم تعمدوا ذلك لشرك آبائهم ، فقال : « أو ليس خياركم ذرارى المشركين » . يريد فلعل فيهم من يسلم اذا بلغ ويحسن اسلامه .

* * *

٨٢ ـ (قالوا حـديث ينقض بعضـه بعضـا) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سـعد بن معاذ : « لقد اهتز لموته العرش ، ولقد تبادر الى غسله سبعون ألف ملك وما كدت أصل الى جنازته » . ثم رويتم أنه قال : « لو نجا أحد من عذاب القبر لنجـا سعد بن معاذ ، ولقد ضغط ضغطة اختلفت لها أضلاعه » . قالوا : فكيف يتحرك عرش اللـه تعالى لمـوت أحـد ؟ وان كان هذا جائـزا فالأنبياء أولى به . وقد رويتم عن النبى صلى الله عليه وســلم أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . واذا كانت الشمس وكان القمر (كذلك)(٣٦٩) . وهما على ما رويتم ثوران مكوران فى النار ، فكيف بالعرش المجيد ؟ وعلى أن العرش لو تحرك لتحـرك بحركته السموات والأرض . وكيف يتحرك العرش لموت من يعـذبه الله تعالى ، ويضم عليه قبره حتى تختلف فيه أضـــلاعه ؟ وكيـف يعذب من يغسله سبعون ألف ملك ولا يصل النبى صلى الله عليه وسلم الى جنازته لازدحام الملائكة عليها ؟

*(قال أبو محمد) ونحن نقول : انه قد تأول هذا الحديث قوم ، فذهبوا فيه الى أن الاهتزاز من العرش انما هو الحركة ، كما يهتز الرمح ، وكما تهتز الشجرة اذا حركتها الريح . واذا كان التأويل على هذا وقعت الشناعة ، ووجبت الحجة التى احتج بها هؤلاء .

(٣٦٩) سقطت من المطبوعتين .

وقال قوم : العرش ههنا السرير الذى حمل عليه سعد بن معاذ تحرك ، واذا كان التأويل على هذا لم يكن لسعد فى هذا القول فضيلة ، ولم يكن فى الكلام فائدة ، لأن كل سرير فى سرر الموتى لا بد من أن يتحرك ، لتجاذب الناس اياه .

(وبعد) فكيف يجوز أن يكون العرش السرير الذى حمل عليه سعد بن معاذ . وقد روى فى حديث آخر « اهتز عرش الرحمن لموته » ؟ وليس الاهتزاز ما ذهبوا اليه من الحركة ، ولا العرش ما ذهب اليه الآخرون ، بل الاهتزاز الاستبشار والسرور . يقال : ان فلانا ليهتز للمعروف ، أى يستبشر ويسر ، وان فلانا لتأخذه للثناء هزة ، أى ارتياح وطلاقة . ومنه قيل فى المثل : ان فلانا اذا دعى اهتز ، واذا سئل ارتز . والكلام لأبى الأسود الدؤلى . يريد أنه اذا دعى الى طعام يأكله اهتز ، أى ارتاح وسر ، واذا سئل الحاجة ارتز ، أى ثبت على حاله ولم يطلق . فهذا معنى الاهتزاز فى هذا الحديث . وأما العرش فعرش الرحمن جل وعز على ما جاء فى الحديث ، وانما أراد باهتزازه استبشار الملائكة الذين يحملونه ويحفون حوله بروح سعد بن معاذ ، فاقام العرش مقام من يحمله . ويحيط به من الملائكة ، كما قال الله عز وجل : « **فما بكت عليهم السماء والأرض** »(٣٧٠) . يريد ما بكى عليهم أهل السماء ولا أهل الأرض . فاقام السماء والأرض مقام أهلهما . وكما قال : « **واسأل القرية** »(٣٧١) أى سل أهلها . وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى أحد هذا جبل يحبنا ونحبه . يريد يحبنا أهله يعنى الأنصار ، ونحبه أى نحب أهله . كذلك أقام العرش مقام حملته والحافين من حوله . وقد جاء فى الحديث أن الملائكة تستبشر بروح المؤمن ، وأن لكل مؤمن بابا فى السماء يصعد فيه عمله ، وينزل منه رزقه ، ويعرج فيه بروحه اذا مات ثم يرد .

ويدل على هذا التأويل أيضا قول النبى صلى الله عليه وسلم :

---

(٣٧٠) الدخان : ٢٩ (٣٧١) يوسف : ٨٢

« لقد تبادر الى غسله سبعون الف ملك » وهذا التأويل بحمد الله تعالى سهل كانه قال لقد استبشر حملة العرش والملائكة حوله بروح سعد .

* وأما قولهم : كيف يعذب من تبادر الى غسله سبعون الف ملك ؟ فان للموت وللبعث والقيامة زلازل شدادا ، وأهوالا لا يسلم منها نبى ولا ولى . يدلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ بالله من عذاب القبر ، ولو كان يستحيل ما تعوذ منه ، ولكنه خاف ما قضي الله عز وجل من ذلك على جميع عباده وأخفاه عنهم ، فلم يجعل منهم أحدا على أمن ولا طمانينة . ويدلك قول الأنبياء صلوات الله عليهم يوم القيامة : يارب نفسي نفسي . وقول نبينا صلى الله عليه وسلم : « يارب أمتى أمتى » .

* ويدلك قول الله عز وجل : « **وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا** »(٣٧٢) . أعلمنا أنه ليس من أحد الا يرد النار ثم ينجى الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو كان لى طلاع الأرض(٣٧٣) ذهبا لافتديت به من هول المطلع(٣٧٤) وقال ابن عباس فى قول الله عز وجل « **يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ، قالوا لا علم لنا ، انك أنت علام الغيوب** »(*) : تدخلهم دهشة من أهوال يوم القيامة .

* * *

٨٣ - (قالوا حديث يكذبه النظر) قالوا : رويتم عن عبدالله بن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الضب : « لا آكله ولا أنهى عنه ، ولا أحله ولا أحرمه » . وقالوا : اذا كان هو عليه السلام لا يأكل ولا ينهى ولا يحلل ولا يحرم ، فالى من المفزع فى التحليل والتحريم ؟ والأعراب تأكل الضباب وتعجب بها . قال أبو وائل : « ضبة مكون(٣٧٥) أحب الى من دجاجة

---

(٣٧٢) مريم : ٧١

(٣٧٣) طلاع الأرض ذهبا : ملؤها .

(٣٧٤) المطلع : موضع الاطلاع من المكان المرتفع الى المكان المنخفض ، شبه به ما يواجهه من أمور الآخرة .

(*) المائدة : ١٠٩

(٣٧٥) الضبة المكون : التى تجمع بيضها فى بطنها .

سمينة » . وقد أكله خالد بن الوليد معه ، وأكله عمر . ولا يجوز أن يكون هؤلاء أقدموا على الشبهة .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الحديث قد وقع فيه سـهو من بعض النقلة . وكان « لا آكله ولا أنهى عنه » حسب ، فظن أنه لا يحله ولا يحرمه(٣٧٦) ، كما أنه لا ياكله ولا ينهى عنه ، وبين الأمرين فرق ، لأنه لم يتركه من جهة التحريم ، وانما تركه لأنه عافه(٣٧٧) ، وكذلك قال عمر رضي الله عنه حين أتى بضب فوضع يده فى كشيته(٣٧٨) وقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحرمه ، ولكننه قذره(٣٧٩) ويوضح لك هذا أيضا أن وهب بن جرير روى عن شعبة عن توبة العنبرى عن الشعبى عن ابن عمر قال كان ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ياكلون شيئا ، وفيهم سعد بن مالك ، فنادتهم امرأة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم : انه ضب ، فأمسكوا فقال النبى صلى الله عليه ووسلم : « كلوا ، فانه حلال لا باس به ، ولكنه ليس من طعام قومى » . وهذا الحديث يدل على غلط الناقل عن ابن عمر ، لأنه لا يجوز أن يروى الحديثين جميعا وهما متنافيان .

* وأما تركه أكله وهو حلال عنده فليس كل الحلال تطيب النفوس به ، ولا يحسن بالمرء أن يفعله ، فقد أحل الله تعالى لنا الشاء ولم يحرم علينا منها الا الدم المسفوح . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره منها المثانة ، والغدة ، والمصران ، والأنثيين ، والطحال . وقد روى فى الخبر : « ذكاة الجنين ذكاة أمه »(٣٨٠).

---

(٣٧٦) يعنى : أدرج قوله « لا أحله ولا أحرمه » من قوله ، وليس من الحديث فى شيء.

(٣٧٧) عافه : كرهه .

(٣٧٨) الكشية : بضم الكاف : شحمة بطن الضب . أو أصل ذنبه .

(٣٧٩) قذره : استقذره .

(٣٨٠) على هامش المخطوطة (وروى ان ذكاة الجنين ذكاة أمه) من نسخة ثانية .

والنفوس لا تطيب بأكله ، ومن المحرم شيء لم ينزل بتحريمه تنزيل ولا سنة وكل الناس فيه الى فطرهم وماجبلوا عليه ، كلحم الانسان ، ولحم القرد ، ولحوم الحيات ، والأبارص ، والعظاء ، والفأر ، وأشباه ذلك . وليس من هذا شيء الا والنفوس تعافه . وقد أعلمنا الله تبارك وتعالى فى كتابه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم علينا الخبائث وهذه كلها خبيثة فى الفطر .

* وأما ما لا يحسن المرء أن يفعله من الحلال فعدو الكهل فى الطريق من غير أن يحفزه أمر(٣٨١) والخصومة فى مهر الأم ، والقاء الرداء عن المنكبين وغزل القطن على الطريق ، والتحلى بالشيء من حلى المرأة ، والأكل فى الأسواق .

* (قال أبو محمد) حدثنى أبو الخطاب . قال حدثنا أبو عتاب عن محمد بن الفرات عن سعيد بن لقمان عن الرحمن الأنصارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الأكل فى السوق دناءة » . وفى بعض الحديث : « ان الله تعالى يحب معالى الأمور ، ويكره سفسافها(٣٨٢) .

* * *

٨٤ - (قالوا حديث فى التشبيه يكذبه القرآن والاجماع) قالوا : رويتم : « أن الله تبارك وتعالى ينزل الى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل ، فيقول : هل من داع فأستجيب له ، أو مستغفر فأغفر له »، « وينزل عشية عرفة الى أهل عرفة » ، « وينزل فى ليلة النصف من شعبان » . وهذا خلاف لقوله تعالى : **« ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا »**(٣٨٣) . وقوله جل وعز : **« وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله »**(٣٨٤) وقد أجمع الناس على أنه بكل مكان ولا يشغله شأن عن شأن .

---

(٣٨١) يحفزه أمر : يدفعه أمر .
(٣٨٢) السفساف من الأمور : الردىء .
(٣٨٣) المجادلة : ٧ (٣٨٤) الزخرف : ٨٤

* (قال أبو محمد) ونحن نقـــول فى قوله : « **ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا** » انه معهم بالعلم بما هم عليه . كما تقول للرجل وجهته الى بلد شاسع ، ووكلته بأمر من مورك : احـذر التقصير والاغفال لشيء مما تقدمت فيه اليك ، فانى معك . تريد انه لا يخفى على تقصيرك أو جدك للاشراف عليك والبحث عن أمورك . واذا جاز هذا فى المخلوق الذى لا يعلم الغيب ، فهو فى الخالق الذى يعلم الغيب أجوز .

وكذلك (هو بكل مكان) يراد : لا يخفى عليه شيء ممـــا فى الأماكن ، فهو فيها بالعلم بها والاحاطة . وكيف يسوغ لأحد أن يقول : انـه بكـل مكان على الحـلول مـع قوله : « **الرحـمن على العـرش استوى** »(٣٨٥) أى استقر . كما قال : « **فاذا استويت انت ومن معك على الفلك** »(٣٨٦) أى استقررت . ومع قوله تعالى : « **اليه يصـعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**»(٣٨٧) .

وكيف يصعد اليه شيء هو معه ؟ أو يرفع اليه عمل وهو عنده ؟ وكيف تعرج الملائكة والروح اليه يوم القيامة ؟ وتعرج بمعنى تصعد . يقال عرج الى السماء اذا صعد ، والله عز وجل ذو المعارج ، والمعارج الدرج . فما هذه الدرج ؟ والى من تؤدى الملائكة الأعمال(٣٨٨) اذا كان بالمحل الأعلى مثله بالمحل الأدنى ؟ .

ولو أن هؤلاء رجعوا الى فطرهم وما ركبت عليه خلقتهـــم من معرفة الخالق سبحانه لعلموا أن الله تعالى هو العلى ، وهو الأعلى ، وهو بالمكان الرفيع ، وأن القلوب عند الذكر(٣٨٩) تسمو نحـــوه ، والأيدى ترفع بالدعاء اليه ، ومن العلو يرجى الفرج ، ويتوقع النصر، وينزل الرزق ، وهنالك الكرسي والعرش والحجب والملائكة . يقـول

---

(٣٨٥) طه : ٥ — (٣٨٦) المؤمنون : ٢٨

(٣٨٧) فاطر : ١٠

(٣٨٨) فى المطبوعتين (والى من تؤدى الاعمال الملائكة) . وما أثبتناه أوضح .

(٣٨٩) فى المخطوطة (عند الذعر) .

الله تبارك وتعالى : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون . يسبحون الليل والنهار لا يفترون » (٣٩٠) وقال فى الشهداء :« أحياء عند ربهم يرزقون »(٣٩١) وقيل لهم شهداء ، لأنهم يشهدون ملكوت الله تعالى ، واحدهم شهيد ، كما يقال : عليم وعلماء، وكفيل وكفلاء . وقال تعالى : « لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا »(٣٩٢) أى لو أردنا أن نتخذ امرأة وولدا لاتخذنا ذلك عندنا ، لا عندكم ، لأن زوج الرجل وولده يكونان عنده وبحضرته ، لا عند غيره .

والأمم كلها عربيها وعجميها تقول : ان الله تعالى فى السماء ما تركت على فطرها ، ولم تنقل عن ذلك بالتعليم . وفى الحديث ان رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمة أعجمية للعتق فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين الله تعالى ؟ فقالت : فى السماء . قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام : « هى مؤمنة » . وأمره بعتقها هذا أو نحوه . وقال أمية بن أبى الصلت :

مجدوا الله وهو للمجد أهل ربنا فى السماء أمسي كبيرا
بالبناء الأعلى الذى سبق النا س وسوى فوق السماء سريرا
شرجعا(٣٩٣) ما يناله بصر العـ ـين ترى دونه الملائك صورا

وصور جمع أصور ، وهو المائل العنق . وهكذا قيل فى الحديث: ان حملة العرش صور ، وكل من حمل شيئا ثقيلا على كاهله أو على منكبه لم يجد بدا من أن يميل عنقه . وفى الأنجيل الصحيح أن المسيح عليه السلام قال : لا تحلفوا بالسماء فانها كرسي الله تعالى ، وقال للحواريين : ان أنتم غفرتم للناس فان ربكم الذى فى السماء يغفر لكم ظلمكم ، انظروا الى طير السماء فانهن لا يزرعن ولا يحصدن ولا يجمعن فى الأهواء ، وربكم الذى فى السماء هو يرزقهن ، افلستم افضل منهن . ومثل هذا من الشواهد كثير يطول به الكتاب .

---

(٣٩٠) الأنبياء : ١٩ ، ٢٠
(٣٩١) آل عمران : ١٦٩
(٣٩٢) الأنبياء : ١٧
(٣٩٣) الشرجع : الطويل .

* وأما قوله « **وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله** » فليس فى ذلك ما يدل على الحلول بهما ، وانما أراد به أنه اله السماء واله من فيها ، واله الأرض واله من فيها . ومثل هذا من الكلام قولك : هو بخراسان أمير وبمصر أمير . فالامارة تجتمع له فيهما ، وهو حال باحداهما أو بغيرهما(٣٩٤) . وهذا واضح لا يخفى .

فان قيل لنا : كيف النزول منه جل وعز ؟ قلنا : لا نحتم على النزول منه بشيء ، ولكنا نبين كيف النزول منا ، وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ ، والله تعالى أعلم بما أراد . والنزول منا يكون بمعنيين :

(أحدهما) الانتقال عن مكان الى مكان ، كنزولك من الجبل الى الحضيض ، ومن السطح الى الدار .

(والمعنى الآخر) اقبالك على الشيء بالارادة والنية . وكذلك الهبوط والارتقاء والبلوغ والمصير وأشباه هذا من الكلام .

ومثال ذلك : أن يسألك سائل عن محال قوم من الأعراب وهو لا يريد المصير اليهم فتقول له : اذا صرت الى جبل كذا فانزل منه وخذ يمينا ، واذا صرت الى وادى كذا فاهبط فيه ثم خذ شمالا ، واذا صرت الى أرض كذا فاعتل هضبة هناك حتى تشرف عليهم ، وأنت لا تريد فى شيء مما تقوله افعله ببدنك(٣٩٥) ، انما تريد افعله

(٣٩٤) ليس معنى هذا ان الله حال بالسماء . بل هو مجرد شرح لوجهة نظر المؤلف .. يريد : لا يتوهمن أحد من انه فى السماء أن الأرض ومن فيهما دون اله ، بل ان ألوهيته شامله لمن فى السماء ومن فى الأرض جميعا وما بينهما .

(٣٩٥) والدليل على ذلك : ان النزول فى القرآن ليس بمعنى الانتقال حتما . بل هو مشترك المعنى ، محتمل التأويل لذلك . قال تعالى : « **نزل به الروح الأمين على قلبك** » (الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤) . بمعنى للاعلام . ويكون بمعنى القول كما فى قوله تعالى : « **سأنزل مثل ما انزل الله** » (الانعام : ٩٣) . ويكون بمعنى الاقبال على الشيء . وقوله تعالى : « **أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين** » (الفتح : ٤) . هو بمعنى تغيير الحكم والمرتبة . وانظر (مشكل الحديث ص ٢١٨ ، ٢١٩) .

بنيتك وقصدك . وقد يقول القائل : بلغت الى الاحـــرار تشتمهم ، وصرت الى الخلفاء تطعن عليهم ، وجئت الى العلم تزهد فيـه ، ونزلت عن معالى الأخلاق الى الدناءة . وليس يراد فى شيء من هذا انتقال الجسم ، وانما يراد به القصد الى الشيء بالارادة والعـــزم والنية . وكذلك قوله جل وعز :« **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** »(٣٩٦) . لا يريد أنه معهـــم بالحـــلول ولكن بالنصرة والتوفيق والحياطة . وكذلك قوله تعالى : « من تقرب منى ذراعـا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشي أتيته هرولة »(٣٩٧) .

* (قال أبو محمد) وحدثنـــا عن(*) عبد المنعم عن أبيـــه عن وهب بن منبه أن موسي صلى الله عليه وسلم لما نودى من الشجرة اخلع نعليك أسرع الاجابة ، وتابع التلبية ، وما كان ذلك الا استئناسا منه بالصوت ، وسكونا اليه ، وقال : انى أسـمع صـوتك ، وأحس وجسك(٣٩٨) ولا أرى مكانك ، فأين أنت ؟ فقال : أنا فوقك وأمامك وخلفك ومحيط بك وأقرب اليك من نفسك . يريد انى أعلم بك منك بنفسك لأنك اذا نظرت الى ما بين يديك خفى عنك ما وراءك ، واذا سموت بطرفك الى ما فوقك ذهب عنك علم ما تحتك ، وأنا لا تخفى على خافية منك فى جميع أحوالك .

ونحو هذا قول رابعة العابدة : شغلوا قلوبهم عن الله عز وجل بحب الدنيا ، ولو تركوها لجالت فى الملكوت ، ثم رجعت اليهم بطـــرف الفوائد ، ولم ترد أن أبدانهم وقلوبهم تجول فى الســـماء بالحلول

---

(٣٩٦) النحل : ١٢٨ .

(*) كذا بنسختين بعن ، وفى نسخة : وحدثنا عبد المنعم : فليحرر .

(٣٩٧) ويحتمل أن يكون النزول فعلا يظهره الله بأمره ، فيضاف اليه ، كما يقال : ضرب الأمير اللص ، ونادى الأمير فى البلد ، وانما أمر بذلك ، فيضـــاف اليه ، على معنى أنه عن أمره ظهر ، وبامره حصل ، واذا جاز ذلك فى اللغة ، لم ينكر أن يكون لله عز وجل ملائكة يامرهم بالنزول الى السماء الدنيا بهذا النـــداء والدعاء ، فيضاف ذلك الى الله عز وجل على الوجه الذى يقـــال : ضرب الأمير اللص (انظر مشكل الحديث ص ٢٢٠) ونقل ابن فورك عن الأوزاعى فى هـذا الخبر : يفعل مايشاء . وعن مالك : ينزل أمره فى كل شيء ، اما هو جل ذكره فهو دائم لا يزول .

(٣٩٨) الوجس : السمع من صوت أو غيره . والصوت الخفى .

ولكن تجول هناك بالفكرة والقصد والاقبال . وكذلك قول أبى مهدية الأعرابى : اطلعت فى النار فرأيت الشعراء لهم كصيص يعنى التواء وأنشـــد :

* جنادبها صرعى لهن كصيص *

اى التواء — ولو قال قائل فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها البله ، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء » . ان اطلاعــه فيهما كان بالفكر والاقبال كان تأويلا حسنا .

* * *

٨٥ — (قالوا حديث يكذبه النظر) قالوا : رويتم عن حمـاد ابن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن موسي عليه السلام لطم عين ملك الموت فاعوره ، فان كان يجوز على ملك الموت العور ، جاز عليه العمى ، ولعل عيسي ابن مريم عليه السلام قد لطم الاخرى فاعماه ، لأن عيسي عليه السلام كان أشد للموت كراهية من موسي عليه السلام ، وكان يقول : اللهم ان كنت صارفا هذه الكاس عن أحد من الناس فاصرفها عنى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هـــذا الحديث حسن الطريق عند أصحاب الحديث ، واحسب له أصلا فى الأخبار القديمة ، وله تأويل صحيح لا يدفعه النظر . والذى نذهب اليه فيه أن ملائكة الله تعالى روحانيون ، والروحانى منسوب الى روح نسبة الخلقة ، فكأنهم أرواح لا جثث لهم فتلحقها الأبصار ، ولا عيون لها كعيوننا ، ولا أبشـار كابشـارنا ، ولسـنا نعلم كيف هياهم اللـه تعالى ، لأنا لا تعرف من الأشياء الا ما شاهدنا ، والا ما راينا له مثالا .

وكذلك الجن والشياطين والغيــلان هى أرواح ، ولا نعـــلم كيفيتها . وانماننتهى فى صفاتها الى حيث ما وصف الله جـل وعز اوأورسوله صلى الله عليه وسلم ، قال الله جل وعز « **جاعل الملائكة**

رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع »(٣٩٩) ثم قال « **يزيد فى الخلق ما يشاء** » كانه يزيد فى تلك الاجنحة ما يشاء وفى غيرها . وكانت العرب تدعو الملائكة جنا ، لأنهم اجتنوا عن الأبصار كما اجتنت الجن . قال الأعشي يذكر سليمان بن داود عليهما السلام :

وسخر من جن الملائك تسعة
قياما لديه يعملون بلا أجر

وقد جعل الله سبحانه للملائكة من الاستطاعة أن تتمثل فى صور مختلفة ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبى ، وفى صورة أعرابى ، ورآه مرة قد سد بجناحيه ما بين الأفقين . وكذلك جعل للجن أن تتمثل وتتخيل فى صور مختلفة كما جعل للملائكة . قال الله جل وعز « **فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا** »(*) وليس ما تنتقل اليه من هذه الأمثلة على الحقائق انما هى تمثيل وتخييل لتلحقها الأبصار .

وحقائق خلقها أنها أرواح لطيفة تجرى مجرى الدم ، وتصل الى القلوب وتدخل فى الثرى ، وترى ولا ترى . قال الله تعالى فى ابليس « **أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم** »(**) يريد أنا لا نراهم فى حقائق هيآتهم – وقال أيضا « **وقالوا لولا أنزل عليه ملك ، ولو انزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا** »(***) يريد لو أنزلنا ملكا لم تدركه حواسهم لأنها لا تلحق حقائق هيآت الملائكة فكنا نجعله رجلا مثلهم ليروه ويفهموا عنه . وقد ذكر ابن عباس فى قصة الزهرة ان الله تعالى لما أهبط الملكين الى الأرض ليحكما بين أهلها نقلهما الى صور الناس وركب فيهما الشهوة ، لانه لا يجوز أن يقضي بين الناس الا من يرونه ويسمعون كلامه ، والا من شاكلهم وأشبههم . ولما تمثل ملك الموت لموسي عليه السلام وهذا ملك الله ، وهذا نبى الله ، وجاذبه ، لطمه موسي لطمة أذهبت العين التى هى

(٣٩٩) فاطر : ١
(*) مريم : ١٧
(**) الأعراف : ٢٧
(***) الانعام : ٨ ، ٩

تخييل وتمثيل ، وليست حقيقة . وعاد ملك الموت عليه السلام الى حقيقة خلقته الروحانية كما كان . لم ينتقص منه شيء .

* * *

٨٦ - (قالواحديث يكذبه النظر) قالوا : رويتم ان عوجا اقتلع جبلا قدره فرسخ فى فرسخ على قدر عسكر موسي ، فحمله على راسه ليطبقه عليهم ، فصار طوقا فى عنقه حتى مات . وانه كان يخوض البحر فلا يجاوز ركبتيه ، وكان يصيد الحيتان من لججه ويشويها فى عين الشمس ، وأنه لما مات وقع على نيل مصر ، فجسر للناس سنة ، اى صار جسرا لهم يعبرون عليه من جانب الى جانب . وأن طول موسي عليه السلام كان عشرة أذرع ، وطول عصاه عشرة أذرع ، ووثب من الأرض عشرا ليضربه فلم يبلغ عرقوبه . قالوا : وهذا كذب بين لا يخفى على عاقل ولا على جاهل ، وكيف صار فى زمن موسي عليه السلام من خالف أهل الزمان هذه المخالفة ؟ وكيف يجوز أن يكون من ولد آدم من يكون بينه وبين آدم هذا التفاوت ؟ وكيف يطيق آدمى حمل جبل على رأسه قدره فرسخ فى فرسخ ؟

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ان هذا حديث لم يات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عن صحابته ، وانما هو خبر من الأخبار القديمة التى يرويها أهل الكتب ، سمعه قوم منهم على قديم الأيام فتحدثوا به . والحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة :

(منها الزنادقة) واجتيالهم للاسلام ، وتهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة ، كالأحاديث التى قدمنا ذكرها من عرق الخيل ، وعيادة الملائكة ، وقفص الذهب على جمل أورق ، وزغب الصدر ، ونور الذراعين ، مع أشياء كثيرة ليست تخفى على أهل الحديث . منهم ابن أبى العوجاء الزنديق وصالح ابن عبد القدوس الدهرى .

(والوجه الثانى القصاص) على قديم الأيام فانهم كانوا يميلون وجوه العوام اليهم ، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث . ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجيبا خارجا عن فطر العقول ، أو كان رقيقا يحزن القلوب ويستغزر العيون ، فاذا ذكر الجنة قال : فيها الحوراء من مسك أو زعفران وعجيزتها ميل فى ميل ويبوىء الله تعالى وليه قصرا من لؤلؤة بيضاء . فيه سبعون ألف مقصورة ، فى كل مقصورة سبعون ألف قبة ، فى كل قبة سبعون ألف فراش ، على كل فراش سبعون ألف كذا ، فلا يزال فى سبعين ألف كذا وسبعين ألفا كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها ، ويقول لأصغر من فى الجنة منزله عند الله من يعطيه الله تعالى مثل الدنيا كذا وكذا ضعفا . وكلما كان من هذا أكثر كان العجب أكثر ، والقعود عنده أطول ، والأيدى بالعطاء اليه أسرع ، والله تبارك وتعالى يخبرنا فى كتابه بما فى جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصاص وسائر الخلق ، حين وصف الجنة بأن عرضها السموات والأرض يريد سعتها . والعرب تكنى عن السعة بالعرض لأن الشيء اذا اتسع عرض واذا دق واستطال ضاق ـ وتقول : « ضاقت على الأرض العريضة » أى الواسعة ـ « وفى الأرض العريضة مذهب » أى الواسعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمنهزمين يوم أحد : « لقد ذهبتم فيها عريضة » . أى واسعة . وقال الله تعالى « **فذو دعاء عريض** »(٤٠٠) . أى كثير فكيف يكون عرضها السموات والأرض ويعطى الله تعالى أخس من فيها منزلة فيها مثل الدنيا أضعافا ـ ويقول تعالى حين شوقنا اليها « **وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين** »(٤٠١) . وقال حين ذكر المقربين « **على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين . يطوف عليهم ولدان مخلدون . بأكواب وأباريق وكأس من معين . لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون . ولحم طير مما يشتهون . وحور عين . كأمثال اللؤلؤ المكنون** »(٤٠٢) . وقال تعالى فى

---

(٤٠٠) فصلت : ٥١ (٤٠١) الزخرف : ٧١

(٤٠٢) الواقعة : ١٥ ـ ٢٣

اصحاب اليمين « **فى سدر مخضود • وطلح منضود • وظل ممدود • وماء مسكوب • وفاكهة كثيرة • لا مقطوعة ولا ممنوعة** »(٤٠٣) • وقال تعالى: « **يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير** »(*) ومثل هذا كثير فى القرآن العظيم ليس منه شيء الا وهو شبيه بما يناله الناس فى الدنيا ويتنعم به المترفون خلا ما فضل الله تعالى به ما فى الجنة وخلا الخلود •

(ثم يذكر آدم عليه السلام) ويصفه فيقول : كان راسه يبلغ السحاب أو السماء ويحاكها فاعتراه لذلك الصلع ، ولما هبط الى الأرض بكى على الجنة حتى بلغت دموعه البحر ، وجرت فيها السفن (ويذكر داود عليه السلام) فيقول : سجد لله تعالى اربعين ليلة ، وبكى حتى نبت العشب بدموع عينيه ، ثم زفر زفرة هاج له ذلك النبات •

(ويذكر عصا موسي عليه السلام) فيقول : كان نابها كنخلة سحوق وعينها كالبرق الخاطف وعرفها كذا والله تعالى يقول : « **كانها جان** » (٤٠٤) والجان خفيف الحيات وذكرها فى موضع آخر فقال : « **ثعبان مبين** »(٤٠٥) « **فاذا هى ثعبان** »(٤٠٦) (ويذكر عبادا) أتاهم يونس عليه السلام فى جبل لبنان فيخبرهم عن الرجل منهم انه كان يركع ركعة فى سنة ويسجد نحو ذلك ولا ياكل الا فى كذا وكذا من الزمان وقد ذكر الله تبارك وتعالى الذين قبلنا فقال : « **كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا** » (٤٠٧) وقال تعالى : « **وزاده بسطة فى العلم والجسم** »(٤٠٨) وقال تعالى : « **اتبنون بكل ريع آية تعبثون • وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون • واذا بطشتم بطشتم جبارين** »(٤٠٩) وليس فى شيء مما وصف الله تعالى به من قبلنا ما يقارب هذا الافراط وقد نعلم أنهم كانوا أعظم منا أجساما واشد قوة غير أن المقدار فيما بيننا وبينهم مقدار ما جعله الله بين أعمارنا وأعمارهم • فهذا آدم

---

(٤٠٣) الواقعة : ٢٨ ــ ٣٣
(*) الحج : ٢٣ •
(٤٠٤) النمل : ١٠
(٤٠٥) الأعراف : ١٠٧
(٤٠٦) الشعراء : ٣٢
(٤٠٧) التوبة : ٦٩
(٤٠٨) البقرة : ٢٤٧ •
(٤٠٩) الشعراء : ١٢٨ ــ ١٣٠

أبو البشر صلى اللـه عليه وسلم ـ انما عمر ألف سـنة · بذلك تتابعت الأخبار ووجدته فى التوراة ـ وهذا نوح صلى الله عليه وسلم لبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما ثم انتقصت الأعمار بعد نوح عليه السلام الا ما جاءت به الأخبار فى عمر لقمان صاحب النسور فانهم ذكروا أنه عاش أعمار سبعة أنسر وكان مقدار ذلك ألفى سنة وأربع مائة سنة ونيفا وخمسين سنة · وهذا شيء متقادم لم يأت فيه كتاب ولا عن ثقة وليس له اسناد ، وانما هو شيء يحكيه عبيد بن شرية الجرهمى وأشباهه من النساب وكذلك أعمار ملوك اليمن المتقدمين ثم ملوك العجم وقد عمر قوم قربوا من زماننا أعمارا ليس بينها وبين ما صح من عمر آدم ونوح صلى الله عليهما تفاوت شديد كتفاوت هذا الخلق حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعى قال حدثنا أبو عمرو بن العـلاء قال : مـر المستوغر ابن ربيعة فى سوق عكاظ ومعه ابن ابنه خرفا ومستوغر يقوده فقال له قائل : يا هذا أحسن اليه فطالما أحسن اليك قال : ومن هو ؟ قال : أبوك أو جدك · فقال المستوغر : هو الله ابن ابنى · فقال الرجل : تالله ما رأيت كاليوم ولا مستوغر بن ربيعة · قال فأنا مستوغر · قال أبو عمرو : عاش مستوغر ثلثمائة سنة وعشرين سنة ·

* (قال أبو محمد) وقد جعل الله تعالى لنا معتبرا بآثارهم فى الأرض ، وما بنوه من مدنهم وحصونهم ونقبوه فى الجبـال الصم من أبوابهم ، ونحتوه من درجهم ، وليس فى ذلك من التفاوت بيننا وبينهم الا كما بين أعمارنا وأعمارهم وكذلك الخلق ·

ولا أعلمنى سمعت فى التفاوت بأشد من شيء حدثنيه الرياشي عن مسلم بن ابراهيم قال حدثنا نوح بن قيس قال حدثنا عبد الواحد بن نافع قال : ولانى خالد بن عبد الله حفر المنازل(٤١٠) فجاءنى العمال بضرس فوزنته فاذا فيه تسعة أرطال ، ولسنا ندرى أهو ضرس انسان أو ضرس جمل أو فيل · وحدثنى الرياشي قال حدثنا عبـد الله بن مسـلمة عن

---

(٤١٠) فى المطبوعتين (المبارك) ·

انس بن عياض عن زيد بن أسلم قال : وجد فى حجاج(٤١١) رجل من العماليق ضبيع وجراؤها (٤١٢) قال وهذا قد يمكن أن يكون حجاج جمل أو غيره ، فظنه الرائى له أنه حجاج رجل . وعلى أنه لو كان حجاج رجل ما وقع فيه التفاوت ، لأن الحجاج من الانسان اذا خلا واسع ، ثم هو يفضي الى القحف ، ولا ينكر فى قدر أجسام المتقدمين أن يكون فى الحجاج والقحف ما ذكر .

(وأما الوجه الثالث الذى يقع فيه فساد الحديث) فأخبار متقادمة كان الناس فى الجاهلية يروونها ، تشبه أحاديث الخرافة ، كقولهم : ان الضب كان يهوديا عاقا فمسخه الله تعالى ضبا . ولذلك قال الناس : أعق من ضب . ولم تقل العرب : أعق من ضب لهذه العلة ، وانما قالوا ذلك لأنه يأكل حسوله(٤١٣) اذا جاع . قال الشاعر :

أكلت بنيك أكل الضب حتى تركت بنيك ليس لهم عديد

وكقولهم فى الهدهد : ان أمه ماتت فدفنها فى رأسه ، فذلك أنتنت ريحه . وقد ذكر هذا أمية بن أبى الصلت فقال :

غيم وظماء وفضل سحابة أيام كفن واستراد الهدهد
يبغى القرار لأمه ليجنها فبنى عليها فى قفاه يمهد
فيزال يدلج ما مشي بجنازة منها وما اختلف الحديث المسند

وكقولهم فى الديك والغراب : انهما كانا متنادمين ، فلما نفد شرابهما رهن الغراب الديك عند الخمار ومضي ، فلم يرجع اليه ، وبقى الديك عند الخمار حارسا . قال أمية بن أبى الصلت :

بآية قام ينطق كل شيء وخان أمانة الديك الغراب

(٤١١) الحجاج : العظم الذى ينبت عليه الحاجب .
(٤١٢) الجراء جمع جرو . وهو الصغير .
(٤١٣) الحسول جمع حسل . وهو ولد الضب حين يخرج من البيضة .

وكقولهم فى السنور : انها عطسة الأسد ، وفى الخنزير : انه عطسة الفيل ، وفى الاربيانة(٤١٤) انها خياطة كانت تسرق الخيوط فمسخت ، وان الجرى (٤١٥) كان يهوديا فمسخ ٠

وحديث عوج عندنا من هذه الأحاديث والعجب أن عوجا هـذا كان فى زمن موسي صلى الله عليه وسلم عنـدهم ، وله هـذا الطول العجيب ، وفرعون فى زمنه وهو ضده فى القصر على ما ذكر الحسن. حدثنا أبو حاتم أو رجل عنده قال حدثنا أبو زيد الأنصـارى النحوى قال حدثنا عمرو بن عبيد عن الحسن قال : ما كان طول فرعون الا ذراعا وكانت لحيته ذراعا ٠

* * *

٨٧ ـ (قالوا أحاديث متناقضة) قالوا : رويتم عن همام عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى شيئا فليمحه » ٠ ثم رويتم عن ابن جريج عن عطاء عن عبد الله بن عمرو قال : قلت : يا رسول الله ، اقيـد العلم ؟ قال : نعم ٠ قيـل : وما تقييده ؟ قال : كتابته » ورويتم عن حماد بن سلمة عن محمد بن أسحق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله اكتب كل ما أسمع منك ؟ قال : نعم ٠ قلت : فى الرضا والغضب ؟ قال : « نعم ، فانى لا أقول فى ذلك كله الا الحق » ٠ قالوا وهذا تناقض واختلاف ٠

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان فى هذا معنيين :

(أحدهما) أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كانه نهى فى أول الامر عن أن يكتب قوله ، ثم رأى بعد لما علم أن السنين تكثر ، وتفوت الحفظ ، أن تكتب وتقيد ٠

---

(٤١٤) الاربيانة : سمك كالدود صغار ٠
(٤١٥) الجرى : سمك بلا قشر ٠

(والمعنى الآخر) أن يكون خص بهذا عبد الله بن عمرو ، لأنه كان قارئا للكتب المتقدمة ، ويكتب بالسريانية والعربية ، وكان غيره من الصحابة أميين لا يكتب منهم الا الواحد والاثنان ، واذا كتب لم يتقن ، ولم يصب التهجى ، فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون نهاهم ، ولما أمن على عبد الله بن عمرو ذلك أذن له .

* (قال أبو محمد) حدثنا اسحق بن راهويه قال حدثنا وهب ابن جرير عن أبيه عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عمرو بن تغلب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أشراط الساعة أن يفيض المال ، ويظهر القلم ، ويفشو التجار » . قال عمرو : ان كنا لنلتمس فى الحواء(٤١٦) العظيم الكاتب ويبيع الرجل البيع فيقول حتى أستامر تاجر بنى فلان .

* * *

٨٨ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الحجر الأسود من الجنة ، وكان أشد بياضا من الثلج ، حتى سودته خطايا أهل الشرك . ثم رويتم أن ابن الحنفية سئل عن الحجر الأسود فقال : انما هو من بعض هذه الأودية . قالوا : وهذا اختلاف (وبعد) فكيف يجوز أن ينزل الله تعالى حجرا من الجنة ؟ وهل فى الجنة حجارة ؟ وان كانت الخطايا سودته فقد ينبغى أن يبيض لما أسلم الناس ، ويعود الى حالته الأولى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس بمنكر ان يخالف ابن الحنفية ابن عباس ، ويخالف على عمر ، وزيد بن ثابت ابن مسعود فى التفسير وفى الأحكام . وانما المنكر أن يحكوا عن النبى صلى الله عليه وسلم خبرين مختلفين من غير تأويل . فأما اختلافهم فيما بينهم فكثير . فمنهم من يعمل على شيء سمعه ، ومنهم من

---

(٤١٦) الحواء . بكسر الحاء : البيوت المجتمعة على ماء .

يستعمل ظنــه ، ومنهم من يجتهد رأيــه ، ولذلك اختلفوا فى تأويل القرآن ، وفى اكثر الاحكام ، غير أن ابن عباس قال فى الحجر بقول سمعه ، ولا يجوز غير ذلك ، لانه يستحيل أن يقول كان أبيض وهو من الجنة برأى نفسه ، وانما الظان ابن الحنفية ، لانه رآه بمنزلة غيره من قواعد البيت ، فقضي عليه بأنه أخذ من حيث أخذت ٠

والاخبار المقوية لقول ابن عبــاس فى الحجر وأنه من الجنــة كثيرة (منها) أنه يأتى يوم القيامة وله لسان وشــفتان ، يشــهد لمن استلمه بحق ٠ (ومنها) : أنه يمين الله عز وجل فى الأرض ، يصافح بها من شاء من خلقه ٠ وقد تقدم ذكر هذا (ومنها) ما ذكره وهب بن منبه ، فانه قال : كان لؤلؤة بيضاء فسوده المشركون ٠

* وأما قولهم فى الجنة حجارة ؟ فما الذى أنكروه من أن يكون فى الجنة حجارة ؟ وفيها اليــاقوت وهــو حجــر ، والزمرد حجر ، والذهب والفضة من الحجارة ٠ وما الذى أنكروه من تفضيل الله تعالى حجرا حتى لثم واستلم ، والله تعالى يستعبد عباده بما شاء من العمل والقول ، ويفضــل بعض ما خلق على بعض ٠ فليلة القــدر خير من الف شهر ليست فيهــا ليلة القــدر ، والســماء أفضــل من الأرض ، والكرسي أفضل من السماء ، والعرش أفضل من الــكرسي ، والمســجد الحرام أفضل من المسجد الأقصي ، والشام افضل من العراق ٠ وهذا كله مبتدأ بالتفضيل ، لا بعمل عمله ، ولا بطاعة كانت منــه ٠ كذلك الحجر افضل من الركن اليمانى ، والركن اليمانى افضــل من قواعد البيت ، والمسجد افضل من الحرم ، والحرم افضل من بقاع تهامة ٠

* وأما قولهم : ان كانت الخطايا سودته فقد يجب أن يبيض لما أسلم الناس ٠ فمن (٤١٧) الذى أوجب أن يبيض باسلام الناس ؟ ولو شاء الله تعالى لفعل ذلك من غير أن يجب ٠

---

(٤١٧) فى المخطوطة (فما الذى) ٠

(وبعد) فانهم أصحاب قياس وفلسفة ، فكيف ذهب عليهم أن السواد يصبغ ، ولا ينصبغ ، والبياض ينصبغ ولا يصبغ .

* * *

٨٩ ـ (قالوا أحاديث متناقضة) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنا من دد ولا الدد منى » . وأن عبد الله بن عمرو قال له : أكتب كل ما أسمع منك فى الرضا والغضب ؟ فقال : « نعم ، انى لا أقول فى ذلك كله الا الحق » ثم رويتم أنه كان يمزح ، وأنه استدبر رجلا من ورائه فاخذ بعينيه وقال : من يشترى منى هذا العبد ؟ ووقف على وفد الحبشة فنظر اليهم وهم يزفنون(٤١٨) ، وعلى أصحاب الدركلة(٤١٩) وهم يلعبون ، وسابق عائشة رضي الله عنها فسبقها تارة وسبقته أخرى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الله عز وجل بعث رسوله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ، ووضع عنه وعن أمته الاصر والأغلال التى كانت على بنى اسرائيل فى دينهم ، وجعل ذلك نعمة من نعمه التى عددها ، وأوجب الشكر عليها ، وليس من أحد فيه غريزة الا ولها ضد فى غيره ، فمن الناس الحليم ، ومنهم العجول ، ومنهم الجبان ، ومنهم الشجاع ، ومنهم الحيى ، ومنهم الوقاح ، ومنهم الدمث ، ومنهم العبوس . وفى التوراة أن الله تعالى قال : انى حين خلقت آدم ، ركبت جسده من رطب ويابس ، وسخن وبارد ، وذلك لأنى خلقته من تراب وماء ، ثم جعلت فيه نفسا وروحا ، فيبوسة كل جسد خلقته من التراب ، ورطوبته من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، ومن النفس حدته وخفته وشهوته ولهوه ولعبه وضحكه وسفهه وخداعه وعنفه وخرقه ،

---

(٤١٨) يزفنون بكسر الفاء : يرقصون .

(٤١٩) الدركلة . بكسر الدال وسكون الراء وكسر الكاف : ضرب من اللعب حبشي . وقيل : هو الرقص .

ومن الروح حلمه ووقاره وعفافه وحياؤه وفهمه وتكرمه وصدقه وصبره . افما ترى أن اللعب واللهو من غرائز الانسان ، والغرائز لا تملك ، وان ملكها المرء بمغالبة النفس وقمع المتطلع منها لم يلبث الا يسيرا حتى يرجع الى الطبع . وكان يقال : الطبع أملك . وقال الشاعر :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه
يدعه ويغلبه على النفس خيمها(٤٢٠)

وقال آخر :

يا أيها المتحلى غير شيمته ومن خليقته الاقصاد والملق
ارجع الى خلقك المعروف ديدنه ان التخلق يأتى دونه الخلق(٤٢١)

وقال آخر :

كل امرىء راجع يوما لشيمته وان تخلق أخلاقا الى حين

وأنشدنا الرياشي :

لا تصحبن امرأ على حسب انى رأيت الاحساب قد دخلت(٤٢٢)
مالك من أن يقال ان له أبا كريما فى أمة سلفت
بل فاصحبنه على طبائعه فكل نفس تجرى كما طبعت

والله عز وجل يقول : « **ان الانسان خلق هلوعا . اذا مسه الشر جزوعا . واذا مسه الخير منوعا** »(٤٢٣) وقال تعالى : « **خلق**

---

(٤٢٠) سوس نفسه : طبيعتها وسجيتها . والخيم بكسر الخاء كذلك .

(٤٢١) يعنى : التخلق لايقوم مقام الطبع فى الخلق .. فمهما تخلقت عاودك طبعك .

(٤٢٢) دخلت : صارت مدخولة معيبة غير صريحة .

(٤٢٣) المعارج : ١٩ - ٢١

الانسان من عجل » (٤٢٤) . وكان الناس يأتسون برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتدون بهديه وشكله لقول الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » (٤٢٥) فلو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق الطلاقة والهشاشة والدماثة الى القطوب والعبوس والزماتة (٤٢٦) أخذ الناس أنفسهم بذلك على ما فى مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح صلى الله عليه وسلم ليمزحوا ، ووقف على أصحاب الدركلة وهم يلعبون فقال : « خذوا يابنى أرفدة »(٤٢٧) ليعلم اليهود أن فى ديننا فسحة ، يريد ما يكون فى العرسات لاعلان النكاح وفى المآدب لاظهار السرور .

(وأما قوله : « ما أنا من دد ولا الدد منى » . فان الدد : اللهو والباطل ، وكان يمزح ولا يقول الا حقا ، واذا لم يقل فى مزاحه الا حقا لم يكن ذلك المزاح ددا ، ولا باطلا .

قال لعجوز : « ان الجنة لا يدخلها العجز »(٤٢٨) . يريد أنهن يعدن شواب . وقال صلى الله عليه وسلم لأخرى : « زوجك فى عينيه بياض» يريد ما حول الحدقة من بياض العين، فظنت هى أنه البياض الذى يغشي الحدقة . واستدبر رجلا من ورائه وقال : « من يشترى منى العبد » يعنى أنه عبد الله . ودين الله يسر ، ليس فيه بحمد الله ونعمته حرج ، وأفضل العمل أدومه وإن قل .

* (قال أبو محمد) حدثنا الزيادى قال حدثنا عبد العزيز الدراوردى قال حدثنا محمد بن طحلا عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلىالله عليه وسلم :

---

(٤٢٤) الانبياء : ٣٧ (٤٢٥) الاحزاب : ٢١

(٤٢٦) الزماتة : الوقار .

(٤٢٧) أرفدة بكسر الفاء . اسم أبى الاحباش الاقدم ، يعرفون به . وقد تفتح فاؤه .

(٤٢٨) العجز بضمتين : العجائز .

« اكلفوا (٤٢٩) من العمل ما تطيقون ، فان الله لا يمل حتى تملوا ، وان أفضل العمل أدومه وان قل » . وحدثنى محمد بن يحيى القطعى قال حدثنا عمر بن على بن مقدم عن معن الغفارى عن المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين يسر ، ولن يشاد هذا الدين أحد الا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا » . حدثنى محمد بن عبيد قال حدثنا معاوية بن عمرو عن أبى اسحق عن خالد الحذاء عن أبى قلابة عن مسلم بن يسار أن رفقة من الأشعريين كانوا فى سفر فلما قدموا قالوا : يارسول الله ، ما رأينا أحدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من فلان ، يصوم النهار ، فاذا نزلنا قام يصلى حتى نرتحل . قال : « من كان يمهن (٤٣٠) له ويكفيه ، أو يعمل له ؟ قالوا : نحن . قال : كلكم أفضل منه » . وقد درج الصالحون والخيار على أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التبسم والطلاقة والمزاح بالكلام المجانب للقدع (٤٣١) والشتم والكذب ، فكان على رضي الله عنه يكثر الدعابة ، وكان ابن سيرين يضحك حتى يسيل لعابه ، وقال جرير فى الفرزدق :

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا ولو رضيت رمح استه (٤٣٢) لاستقرت

وقال الفرزدق وتمثل به ابن سيرين :

نبئت أن فتاة كنت أخطبها عرقوبها مثل شهر الصوم فى الطول
أسنانها مائة أو زدن واحدة وسائر الخلق منها بعد مبطول

وسأله رجل عن هشام بن حسان فقال : توفى البارحة ، أما شعرت ؟ فجزع الرجل واسترجع ، فلما رأى جزعه قرأ : « **الله يتوفى**

---

(٤٢٩) أمر من كلف . أى تكلفوا .
(٤٣٠) يمهن له : يخدمه .
(٤٣١) القدع : الكف . أى الكلام الذى لا يحسن الكف عنه .
(٤٣٢) عرس الفرزدق : زوجته . رمح استه كناية عن الذكر .

الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها » (٤٣٣) . وكان زيد ابن ثابت من ازمت (٤٣٤) النـاس اذا خـرج ، وأفكههم فى بيته . وقال أبو الدرداء انى لأستجم(٤٣٥) نفسي ببعض الباطل كراهة أن احمل عليها من الحق ما يملها . وكان شريح يمزح فى مجلس الحكم . وكان الشعبى من أفكه الناس . وكان صهيب مزاحا . وكان ابو العالية مزاحا . وكل هـؤلاء اذا مـزح لم يفحش ولم يشـتم ولم يغتب ولـم يكذب ، انما يذم من المزاح ما خالطته هذه الخلال أو بعضها .

* وأما الملاعب فلا بأس بها فى المادب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال » .

* (قال أبو محمد) حدثنا ابو الخطاب قال حدثنا مسـلم بن قتيبة قال حدثنـا شريك عن جابر عن عكرمة قال : ختن ابن عبـاس بنيه ، فارسلنى فدعوت اللعابين ، فلعبوا فاعطاهم أربعة دراهم . وحـدثنى أبو حاتم عن الأصمعى عن ابن أبى الزناد عن أبيـه قال : قلت لخارجة بن زيد : هل كان الغناء يكون فى العرسات ؟ قال : قد كان ذاك ، ولا يحضر بما يحضر به اليوم من السفه . دعانا أخوالنـا بنو نبيط فى مدعاة لهم فشهد المدعاة حسان بن ثابت وابنه عبدالرحمن واذا جاريتان تغنيان :

انظر خليلى بباب جلق هـل   تؤنس دون البلقاء من أحـد

فبكى حسان وهو مكفوف ، وجعل يومى اليهما عبد الرحمن : أن زيدا ، فلا أدرى ماذا يعجبه من أن يبكيا أباه . حدثنا أبو حاتم عن

---

(٤٣٣) الزمر : ٤٢
(٤٣٤) ازمت الناس : أشدهم وقارا .
(٤٣٥) استجم نفسي : أجمعها .

الاصمعى قال : كان طويس(٤٣٦) يتغنى فى عرس فدخل النعمان بن بشير العرس وطويس يقول :

اجـد بعمرة غنيانهـا فتهجـر أم شـاننا شـانهـا

وعمرة أم النعمان فقيل له اسكت اسـكت فقال النعمان : انه لم يقل باسا ، انما قال :

وعمرة من سروات النسا ء تنفح(٤٣٧) بالمسك أردانها

* * *

٩٠ ـ (قالوا أحاديث متناقضة) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله يخب الحيى العيى المتعفف ، وأن الله يبغض البليغ من الرجال » . ثم رويتم أن العباس سأله فقال : ما الجمال؟ فقال : « فى اللسان » وأنه قال : « ان من البيان لسحرا » وقد قـال الله عز وجل : « **خلق الانسان . علمه البيان** »(٤٣٨) . فجعل البيان نعمة من نعمه التى عددها ، وذكر النساء بقـلة البيـان فقـال : « **أو من ينشؤا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين** »(٤٣٩) . فدل على نقص النساء بقلة البيان . وهذه أشياء مختلفة .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا اختلاف بنعمة الله تعالى ولكل شيء منها موضع ، فاذا وضع به زال الاختلاف . أما قوله : « ان الله يحب الحيى العيى المتعفف » ، فانه يريد : السليم الصدر ، القليل الكلام ، القطيع (٤٤٠) عن الحوائج لشـدة الحياء . ويدل على ذلك أنه قال بعقب هذا الكلام : « ويبغض الفاحش السآل الملحف » . وهذا ضد الأول ، والله سبحانه لا يحب عباده على فضل اللد(٤٤١)

---

(٤٣٦) طويس مخنث كان يغنى . يقال : هو أول من غنى فى الاسـلام . وضرب المثل به فى الشؤم فقالوا : أشام من طويس (مجمع الأمثال ٢٥٤)

(٤٣٧) تنفح : تهب .

(٤٣٨) الرحمن : ٣ ، ٤

(٤٣٩) الزخرف : ١٨

(٤٤٠) القطيع : المقطوع .

(٤٤١) اللد : الخصومة .

وطول اللسان ، ولطف الحيلة ، وان كانت فى ذلك منافع ، وفى بعضه زينة . وجاء فى الحديث « أكثر أهل الجنة البله » . يراد الذين سلمت صدورهم للناس ، وغلبت عليهم الغفلة . وانشدنا للنمر بن تولب :

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعنى على أسرارها

وذكر على رضي الله تعالى عنه زمانا فقال : « خير أهل ذلك الزمان كل نومة » . يعنى : الميت الداء ، « أولئك أئمة الهدى ، ومصابيح العلم ، ليسوا بالعجل . المذاييع البذر »(٤٤٢) وقال معاذ بن جبل عن رسول الله صلى عليه وسلم « ان الله يحب الاخفياء الاتقياء الابرياء ، الذين اذا غابوا لم يفتقدوا ، واذا حضروا لم يعرفوا » .

وقال على رضي الله تعالى عنه فى خطبة له : « الا ان لله عبادا كمن رأى أهل الجنة فى الجنة مخلدين ، وأهل النار فى النار معذبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم محزونة ، وأنفسهم عفيفة ، وحوائجهم خفيفة ، صبروا أياما يسيرة ، لعقبى راحة طويلة ، أما الليل فصافون أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، مما يجارون(٤٤٣) الى ربهم ، ربنا ربنا ، أما النهار فحلماء علماء ، بررة أتقياء ، كانهم القداح ، ينظر اليهم الناظر فيقول : مرضي ، وما بالقوم من مرض ، وخولطوا ولقد خالط القوم أمر عظيم » .

وذكر ابن عباس أن الفتى الذى كلم أيوب عليه السلام فى بلائه فقال له : ياأيوب ، أما علمت أن لله عبادا أسكتتهم خشية الله من غير عى بهم ، ولا بكم ، وأنهم لهم النبلاء النطقاء الفصحاء ، العالمون بالله عز وجل وأيامه ، ولكنهم كانوا اذا ذكروا عظمة الله تعالى

---

(٤٤٢) المذاييع جمع مذياع . وهو من يفشي الاسرار ويذيعها .والبذر بضمتين جمع بذور . وهو النمام . يقال : بذرت الكلام كما تبذر الحبوب . أى فرقته . والعجل جمع عجول .

(٤٤٣) يجارون : يدعون ويتضرعون .

تقطعت قلوبهم ، وكلت السنتهم ، وطاشت عقولهم فرقا(٤٤٤) من الله جل وعز ، وهيبة له ٠

فهذه الخلال هى التى يحبها الله عـز وجـل ، وهى المؤدية الى الفوز فى الآخرة ، ولا ينكر مع هذا أن يكون الجمال فى اللسان ، ولا ان تكون المروءة فى البيان ، ولا أنه زينة من زين الدنيا ، وبهاء من بهائها ، ما صحبه الاقتصاد وساسه العقل ، ولم يمل به الاقتدار على القول الى ان يصغر عظيما عند الله تعالى ، أو يعظم صـغيرا ، أو ينصر الشيء وضده كما يفعل من لا دين له ٠

وهذا هو البليغ الذى يبغضه الله عز وجل ، وهو الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسـلم : « أبغضـكم الى الثرثارون(٤٤٥) المتفيهقون المتشدقون » ٠ وان أبغض الناس الى الله تعالى من اتقاه الناس للسانه ، وان من البيان لسحرا ٠ يريد : أن منه ما يقرب البعيد، ويباعد القريب ، ويزين القبيح ، ويعظم الصـغير ، فكأنه سـحر ٠ وما قام مقام السحر أو اشبهه أو ضارعه فهو مكروه ، كما أن السـحر محـرم ٠

* (قال أبو محمد) حدثنى حسين بن الحسن المروزى قال حدثنا عبدالله بن المبارك قال حدثنا معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قال : اذا شئت لقيته أبيض بضا(٤٤٦) ، حديد النظر ، ميت القلب والعمل ، أنت أبصر بـه من نفسـه ، ترى أبدانا ولا قلوب ، وتسمع الصوت ولا أنيس ، أخصب السنة وأجدب قلوبا ٠

* * *

٩١ - (قالوا حديث ينقضه القرآن) قالوا : رويتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انا معشر الأنبياء لا نورث ، ما تركنا صدقة » ٠

---

(٤٤٤) الفرق : الخوف والفزع ٠ (٤٤٥) الثرثار : كثير الكلام ٠
(٤٤٦) البضاضة : رقة اللون وصفاؤه وطراوة الجسد ٠

وهذا خلاف قول الله عز وجل حكاية عن زكريا « **وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا · يرثنى ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضيا · يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا** »(٤٤٧) · وخلاف قوله عـز وجـل « **وورث سليمان داود** »(٤٤٨) · قالوا : وقد طالبت فاطمة رضي اللـه عنها ابا بكر رضي الله عنه بميراث أبيها رسول الله صلى الله وسلم ، فلما لم يعطها اياه حلفت لا تكلمه أبداً وأوصت أن تدفن ليلا لئلا يحضرها ، فدفنت ليلا · واختصم على والعباس رضي الله عنهما الى أبى بكر رضي الله عنه فى ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان قول النبى صلى الله عليه وسلم « انا معشر الانبياء لا نورث » ، ليس مخالفا لقول زكريا عليه السلام : « **فهب لى من لدنك وليا · يرثنى ويرث من آل يعقوب** » ، لأن زكريا عليه السلام لم يرد يرثنى مالى ، فيكون الأمر على ما ذهبوا اليه · وأى مال كان لزكريا عليه السلام يضن به عن عضبته حتى يسأل الله تعالى أن يهب له ولدا يرثه ، لقد جل هذا المال اذن وعظم عنده قدره ، ونافس عليه منافسة أبناء الدنيـا الذين لها يعملون ، وللمال يكدحون ·

وانما كان « زكريا بـن آذن » نجـارا وكان حبـرا ، كذلك قال وهب بن منبه · وكلا هذين الأمرين يدل على أنه لا مال له · وكذلك المشهور عن يحيى وعيسي عليهما السـلام أنـه لم يكن لهما أموال ولا منازل يأويان اليها ، وانما كانا سياحين فى الأرض ·

* ومن الدليل أيضا على أن يحيى لم يرثه مالا أن يحيى عليه السلام دخل بيت المقدس وهو غلام صغير ، فكان يخدم فيه ، ثم اشتد خوفه فساح ، ولزم أطراف الجبال ، وغيران الشعاب(٤٤٩) ·

---

(٤٤٧) مريم : ٥ ـ ٧ (٤٤٨) النمل : ١٦

(٤٤٩) الغيران جمع غار وهو المغارة فى الجبل · والشعب : الجبل ·

* (قال أبو محمد) وبلغنى عن الليث بن سعد عن ابن لهيعة عن أبى قبيل عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : دخل يحيى بن زكريا بيت المقدس وهو ابن ثمانى حجج ، فنظر الى عباد بيت المقدس قد لبسوا من مدارع الشعر وبرانس الصوف ، ونظر الى متهجديهم قد خرقوا التراقى وسلكوا فيها السلاسل ، وشدوها الى حنايا بيت المقدس ، فهاله ذلك ورجع الى أبويه ، فمر بصبيان يلعبون فقالوا : يا يحيى هلم فلنلعب . قال : انى لم أخلق للعب . فذلك قوله تعالى : « **وآتيناه الحكم صبيا** »(*) . فأتى أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر ففعلا ، ثم رجع الى بيت المقدس فكان يخدم فيه نهارا ، ويسبح فيه ليلا ، حتى أتت له خمس عشرة حجة ، وأتاه الخوف ، فساح ولزم أطراف الأرض ، وغيران الشعاب ، وخرج أبواه فى طلبه ، فوجداه حين نزلا من جبال البثنية على بحيرة الأردن ، وقد قعد على شفير البحيرة ، وأنقع قدميه فى الماء ، وقد كاد العطش يذبحه ، وهو يقول : وعزتك لا أذوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكانى منك . فسأله أبواه أن يأكل قرصا من الشعير كان معهما ، ويشرب من ذلك الماء ، ففعل ذلك ، وكفر عن يمينه ، فمدح بالبر ، قال الله تعالى : « **وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا** »(**) . ورده أبواه الى بيت المقدس ، فكان اذا قام فى صلاته بكى ، ويبكى زكريا لبكائه ، حتى يغمى عليه ، فلم يزل كذلك حتى خرقت دموعه لحم خديه فقالت له أمه : يا يحيى لو أذنت لى لاتخذت لك لبدا يوارى هذا الخرق ، قال : أنت وذاك ، فعمدت الى قطعتى لبود فالصقتهما على خديه فكان اذا بكى استنقعت دموعه فى القطعتين ، فتقوم أمه فتعصرهما ، فكان اذا نظر الى دموعه تجرى على ذراعى أمه قال : اللهم هذه دموعى وهذه أمى ، وأنا عبدك وانت الرحمن .

فأى مال على ما تسمع ورثه يحيى ، وأى مال ورثه زكريا ، وانما كان نجارا وحبرا . وقد قال ابن عباس فى رواية أبى صالح عنه فى قوله جل وعز : « **فهب لى من لدنك وليا . يرثنى** » أى يرثنى الحبورة ، وكان حبرا : « **ويرث من آل يعقوب** » أى يرث الملك ، وكان من ولد داود من سبط يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ،

(*) مريم : ١٢ (**) مريم : ١٤

فأجابه الله جل وعز الى وراثة الحبورة ، ولم يجبه الى وراثة الملك . وكان زكريا عليه السلام كره أن يرثه ذلك عصبته ، وأحب أن يهب الله تعالى له ولدا يقوم مقامه ويرثه علمه قال الله جل وعز : **« وزكريا اذ نادى ربـه رب لا تذرنى فردا وأنت خيـر الوارثين . فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه »**(٤٥٠) .

وأما قوله « **وورث سليمان داود** » فانه أراد وراثة الملك والنبوة والعلم ، وكلاهما كان نبيا وملكا . والملك السلطان والحكم والسياسة لا المال . ولو كان أراد وراثة ماله ما كان فى الخبر فائدة ، لأن الناس يعلمون أن الأبناء يرثون الآباء أموالهـم ، ولا يعلمـون أن كل ابن يقوم(٤٥١) مقام أبيه فى العلم والملك والنبوة .

ومن الدليل أيضا على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يورث أنه كان لا يرث بعد أن أوحى الله تعالى اليه ، وانما كانت وراثتـه أبويه قبل الوحى .

❊ (قال أبو محمد) حدثنا زيد بن أخزم الطائى قال حدثنـا عبد الله بن داود أن أم أيمن مما ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمه ، وشقران مما ورثه عن أبيه . وكيف ياكل رسول الله صلى الله عليه وسلم التراث وهو يسـمع الله جـل وعـز يذم قوما فقـال : **« كلا بل لا تكرمون اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين . وتاكلون التراث اكلا لما . وتحبون المال حبا جما »**(❊) .

حدثنا اسحق بن راهويه قال حدثنا وكيع قال حدثنا مسعر عن عبد الرحمن بن الأصبهانى عن مجاهد بن وردان عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى فى ميراث مولى له وقع من نخلة ، فسأل هل ترك ولدا ؟ قالوا : لا . قال: فهل ترى حميما ؟ قالوا : لا . قال : فاعطوه رجلا من أهل قريته . كانه تنزه صلى الله عليه وسلم عن أكل ميراثه ، فآثر به رجلا من أهل قريته .

---

(٤٥٠) الأنبياء : ٨٩ ، ٩٠ (٤٥١) الفجر : ١٧ - ٢٠
(❊) الفجر : ١٧ - ٢٠

* وأما منازعة فاطمة أبا بكر رضي الله عنهما في ميراث النبى صلى الله عليه وسلم فليس بمنكر ، لأنها لم تعلم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وظنت أنها ترثه كما يرث الأولاد آباءهم ، فلما أخبرها بقوله كفت .

وكيف يسوغ لأحد أن يظن بأبى بكر رضي الله عنه أنه منع فاطمة حقها من ميراث أبيها وهو يعطى الأحمر والأسود حقوقهم . وما معناه(٤٥٢) فى دفعها عنه وهو لم يأخذه لنفسه ، ولا لولده ، ولا لأحد من عشيرته ، وانما أجراه مجرى الصدقة ، وكان دفع الحق الى أهله أولى به ، وكيف يركب مثل هذا ويستحله من فاطمة رضي الله عنها وهو يرد الى المسلمين ما بقى فى يديه من أموالهم مذ ولى ؟ وانما أخذه على جهة الأجرة ، فجعل قيامه لهم صدقة عليهم .

وقال لعائشة رضي الله عنها : انظرى يا بنية ، فما زاد فى مال أبى بكر مذ ولى هذا الأمر فرديه على المسلمين ، فوالله ما نلنا من أموالهم الا ما أكلنا فى بطوننا من جريش(٤٥٣) طعامهم ، ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم . فنظرت فاذا بكر وجرد قطيفة لا تساوى خمسة دراهم وحبشية(٤٥٤) . فلما جاء به الرسول الى عمر رضي الله عنه قال : رحم الله أبابكر ، لقد كلف من بعده تعبا . ولو كان ما فعله أبو بكر من هذا الأمر ظلما لفاطمة رضي الله عنها لرده على رضي الله عنه حين ولي على ولدها .

* وأما مخاصمة على والعباس الى أبى بكر رضي الله عنهم فى ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس يصح لى معناه ، وكيف يتخاصمان فى شيء لم يدفع اليهما ، أو يتحاقان شيئا قد منعاه ، وكلاهما لا يخفى عليه أنهما اذا ورثا كان بعد ثمن نسائه لعلىّ من حق فاطمة رضي الله عنها النصف وللعباس رضي الله عنه النصف مع فاطمة ، ففى أى شيء اختصما ؟ وانما كان الوجه فى هذا أن يخاصما

---

(٤٥٢) ما معناه : ما مقصوده .

(٤٥٣) الجريش : الخشن من الطعام .

(٤٥٤) الحبشية : الابل السوداء .

ابا بكر ، وقد اختصما الى عمر رضي الله عنه لما ولاهما القيام بذلك(٤٥٥) والى عثمان بعد ، وهذا تنازع له وجه وسبب ، رحمة الله عليهم أجمعين .

* * *

٩٢ ـ (قالوا احاديث متناقضة) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا رضاع بعد فصال » . وقال : « انظرن ما اخوانكن، فانما الرضاعة من المجاعة » يريد ما رضعه الصبى فعصمه من الجوع . ثم رويتم عن ابن عيينة عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : انى أرى فى وجه أبى حذيفة من دخول سالم على كراهة . فقال : « أرضعيه » . قالت : أرضعه وهو رجل كبير ؟ فضحك ـ ثم قال : « الست أعلم انه رجل كبير » . وقلتم : قال مالك عن الزهرى : ان عائشة رضي الله عنها كانت تفتى بأن الرضاع يحرم بعدم الفصال حتى ماتت . تذهب الى حديث سالم . قالوا : وهذا طريق عندكم مرتضي صحيح لا يجوز أن يرد ولا يدفع .

*(قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الحديث صحيح ، وقد قالت أم سلمة وغيرها من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه كان لسالم خاصة ، غير انهن لم يبين من أى وجه جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لسالم . ونحن مخبرون عن قصة أبى حذيفة وسالم ، والسبب بينهما ان شاء الله .

أما أبو حذيفة فهو ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان من مهاجرة الحبشة فى الهجرتين جميعا . وهناك ولد له محمد ابن أبى حذيفة ، وقيل فى خلافة أبى بكر رضي الله عنه يوم اليمامة ، ولا عقب له . وأما سالم مولى أبى حذيفة فانه بدرى ، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبى بكر ، وكان خيرا فاضلا . ولذلك قال عمر رضي الله عنه عند وفاته : لو كان سالم حيا ما تخالجنى

---

(٤٥٥) اى القيام بالحق الواجب فى فدك وغيرها من مظنة ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان كل منهما يريد أن يقوم به وحده .

فيه الشك » . يريد لقدمته للصلاة بالناس الى أن يتفق أصحاب الشورى على تقديم رجل منهم ثم قدم صهيبا ــ وكان سالم عبدا لامرأة أبى حذيفة من الأنصار ، واختلفوا فى اسمها . فقال بعضهم : هى سلمى من بنى خطمة . وقال آخرون : هى ثبيتة . وكلهم مجمع على أنها أنصارية ، فاعتقته ، فتولى أبا حذيفة وتبناه ، فنسب اليه بالولاء ، واستشهد سالم يوم اليمامة ، فورثته المعتقة له ، لأنه لم يكن له عقب ولا وارث غيرها .

وهذا الذى أخبرت به دليل على تقدم أبى حذيفة وسالم فى الاسلام ، وجلالتهما ولطف محلهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما ذكرت له سهلة بنت سهيل ما تراه فى وجه أبى حذيفة من دخول سالم عليها ، وكان يدخل على مولاته المعتقة له ، ويدخل عليها كما يدخل العبد الناشيء فى منزل سيده ثم يعتق ، فيدخل أيضا بالالف المتقدم والتربية ، وهذا ما لا ينكره الناس من مثل سالم ، وممن هو دون سالم ، لأن الله عز وجل رخص للنساء فى دخول من ملكن عليهن ، ودخول من لا اربة له فى النساء ، كالشيخ الكبير ، والطفل، والخصي ، والمجبوب(٤٥٦) ، والمخنث ، وسوى بينهم فى ذلك وبين ذوى المحارم ، فقال تعالى : « **ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بنى اخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن** » يعنى المسلمات « **أو ما ملكت أيمانهن** » يعنى العبيد « **أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال** »(*) يعنى من يتبع الرجل ويكون فى حاشيته كالأجير والمولى والحليف وأشباه هؤلاء .

وليس يخلو سالم من أن يكون من التابعين غير أولى الاربة فى النساء ، ولعله كان كذلك ، لأنه لم يعقب(٤٥٧) أو يكون بما جعله الله عليه من الورع والديانة والفضل ، وما خصه به ، حتى رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك أهلا لأخوة أبى بكر رضي الله عنه ،

---

(٤٥٦) المجبوب : الذى قطع ذكره وانثياه . والخصي المقطوع الانثيين دون الذكر .

(*) النور : ٣١

(٤٥٧) لا .. ليس عدم العقب دليلا على أنه من غير أولى الاربة فى النساء . فالعقب شيء والاربة شيء . ولا ندرى كيف خفى هذا على الامام ابن قتيبة.

مامونا عنده ، بعيدا من تفقد النساء ، وتتبع محاسنهن بالنظر .

وقد رخص للنساء أن يسفرن عند الحاجة الى معرفتهن للقاضي والشهود وصلحاء الجيران ، ورخص للقواعد من النساء وهن الطاعنات فى السن أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ، وقد كان سلم يدخل عليها ، وترى هى الكراهة فى وجــه أبى حذيفة ، ولولا أن الدخول كان جائزا ما دخل ، ولكان أبو حذيفة ينهاه ، فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحلها عنده ، وما أحب من ائتلافهما ، ونفى الوحشة عنهما ، أن يزيل عن أبى حذيفة هذه الكراهة ، ويطيب نفسه بدخوله ، فقال لها : « أرضعيه » ولم يرد ضعى ثديك فى فيه كما يفعل بالأطفال ، ولكن أراد احلبى له من لبنك شيئا ثم ادفعيه اليه ليشربه .

ليس يجوز غير هذا ، لأنه لا يحل لسالم أن ينظر الى ثديها الى أن يقع الرضاع ، فكيف يبيح له ما لا يحل له ؟ وما لا يؤمن معه من الشهوة ؟

* ومما يدل على هذا التأويل أيضا أنها قالت : يارسول الله ، أرضعه وهو كبير ؟ فضحك وقال : « الست أعلم انه كبير » ؟ وضحكه فى هذا الموضع دليل على أنه تلطف بهذا الرضاع ، لما أراد من الائتلاف ونفى الوحشة ، من غير أن يكون دخول سالم كان حراما ، أو يكون هذا الرضاع أحل شيئا كان محظورا ، أو صار سالم لها به ابنا .

*ومثل هذا من تلطفه صلى الله عليه وسلم ما رواه عبد الواحد ابن زياد عن عاصم الأحول عن الحسن أن رجلا أتاه برجــل قد قتل حميما له فقال له : « أتاخذ الدية ؟ قال : لا . قال أفتعفو ؟ قال : لا . قال : فاذهب فاقتله » . قال فلما جاوز به الرجل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان قتله فهو مثله » . فخبر الرجل بما قال فتركه فولى وهو يجر نسعه(٤٥٨) فى عنقه . ولم يرد أنه مثله فى المآثم

---

(٤٥٨) النسعة : سير عريض تشد به الرحال . وكان قد ربط به القاتل .

واستيجاب النار ان قتله . وكيف يريد هذا وقد أباح الله قتله بالقصاص ، ولكنه كره له أن يقتص ، وأحب له العفو ، فأوهمه أنه ان قتله كان مثله فى الاثم ليعفو عنه ، وكان مراده أنه يقتل نفسا كما قتل الأول نفسا ، فهذا قاتل وذاك قاتل فقد استويا فى قاتل وقاتل الا أن الأول ظالم والآخر مقتص .

* * *

٩٣ - (قالوا حديث يدفعه(٤٥٩) الكتاب وحجة العقل) . قالوا رويتم عن ممحد بن اسحق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : نزلت آية الرجم ورضاع الكبير عشر ، فكانت فى صحيفة تحت سريرى عنده وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توفى وشغلنا به دخلت داجن(٤٦٠) للحى فأكلت تلك الصحيفة . قالوا : وهذا خلاف قول الله تبارك وتعالى : « **وانه لكتاب عزيز . لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه** »(٤٦١) . فكيف يكون عزيزا وقد أكلته شاة ، وأبطلت فرضه ، وأسقطت حجته . وأى أحد يعجز عن ابطاله والشاة تبطله ؟ وكيف قال : « **اليوم أكملت لكم دينكم** »(٤٦٢) وقد أرسل عليه ما يأكله ؟ وكيف عرض الوحى لأكل شاة ولم يأمر باحرازه وصونه ؟ ولم أنزله وهو لا يريد العمل به ؟

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا الذى عجبوا منه كله ليس فيه عجب ، ولا فى شيء مما استفظعوا منه فظاعة ، فان كان العجب من الصحيفة فان الصحف فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى ما كتب فيه القرآن ، لأنهم كانوا يكتبونه فى الجريد والحجارة والخزف وأشباه هذا .

قال زيد بن ثابت : أمرنى أبو بكر رضي الله عنه بجمعه ، فجعلت أتتبعه من الرقاع والعسب واللخاف .. والعسب جمع عسيب النخل . واللخاف حجارة رقاق واحدها لخفة .

---

(٤٥٩) فى المخطوطة (يبطله) .

(٤٦٠) الداجن : ما يستأنس فى البيوت من الشاة والطير ونحوه .

(٤٦١) فصلت : ٤١ ، ٤٢ . (٤٦٢) المائدة : ٣

وقال الزهرى : قبض رسـول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن فى العسب والقضم والكرانيف . والقضم جمـع قضيم وهى الجلود . والكرانيف أصول السعف الغلاظ ، واحدها كرنافة .

وكان القرآن متفرقا عند المسلمين ولم يكن عندهم كتـاب ولا الآت . يدلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب الى ملوك الأرض فى أكارع الأديم .

*وان كان العجب من وضعه تحت السرير فان القوم لم يكونوا ملوكا فتكون لهم الخزائـن والأقفال ، وصناديق الأبنـوس والسـاج ، وكانوا اذا أرادوا احراز شيء أو صونه وضعوه تحت السرير ، ليأمنوا عليه من الوطء وعبث الصبى والبهيمة . وكيف يحرز من لم يكن فى منزله حرز ولا قفل ولا خزانة الا بما يمكنه ويبلغه وجده ، ومع النبوة التقلل والبذاذة(٤٦٣) . كان رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم يرقع ثوبه ، ويخصف نعله ، ويصلح خفه ، ويمهن أهله ، ويأكل بالأرض ، ويقول : « انما أنا عبـد ، آكل كما يأكل العبـد » . وعلى ذلك كانت الأنبياء عليهم السلام .

وكان سليمان عليه السلام وقد اتاه الله من الملك ما لم يؤت أحدا قبله ولا بعده يلبس الصوف ، ويأكل خبـز الشعير ، ويطعم النـاس صنوف الطعام . وكلم الله موسي عليه السلام وعليه مدرعة من شعر أو صوف ، وفى رجليه نعلان من جلد حمار ميت . فقيل له : « اخلع نعليك ، انك بالواد المقدس طوى »(*) . وكان يحيى عليه السلام يحتبل بحبل من ليف . وهذا أكثـر من أن نحصيه ، وأشـهر من أن نطيل الكتاب به .

وان كان العجب من الشاة فان الشاة أفضل الأنعام . وقرات فى

---

(٤٦٣) البذاذة : التواضع فى اللباس والفراش .

(*) طه : ١٢ بلفظ « فاخلع .. » .

مناجاة عزير ربه انه قال : اللهم انك اخترت من الأنعام الضائنة(٤٦٤) ، ومن الطير الحمامة ، ومن النبات الحبلة(٤٦٥) ، ومن البيوت بكة وايلياء ، ومن أيلياء بيت المقدس ٠

*وروى وكيع عن الأسود بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما خلق الله دابة أكرم عليه من النعجة » ٠ فما يعجب من أكل الشاة تلك الصحيفة ، وهذا الفار شر حشرات الأرض يقرض المصاحف ويبول عليها ، وهذا العث يأكلها ، ولو كانت النار احرقت الصحيفة أو ذهب بها المنافقون كان العجب منهم أقل ، والله تعالى يبطل الشيء اذا أراد ابطاله بالضعيف والقوى ، فقد أهلك قوما بالذر ، كما أهلك قوما بالطوفان ، وعذب قوما بالضفادع ، كما عذب آخرين بالحجارة ، وأهلك نمروذ ببعوضة ، وغرق اليمن بفأرة ٠

* وأما قولهم : كيف يكمل الدين وقد أرسل عليه ما أبطله ، فان هذه الآية نزلت عليه صلى الله عليه وسلم يوم حجة الوداع ، حين أعز الله تعالى الاسلام ، وأذل الشرك ، وأخرج المشركين عن مكة ، فلم يحج فى تلك السنة الا مؤمن ، وبهذا أكمل الله تعالى الدين ، وأتم النعمة على المسلمين ، فصار كمال الدين ههنا عزه ٠ وظهوره ، وذل الشرك ودروسه ، لا تكامل الفرائض والسنن ، لأنها لم تزل تنزل الى أنقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وهكذا قال الشعبى فى هذه الآية ٠ ويجوز أن يكون الاكمال للدين برفع النسخ عنه بعد هذا الوقت ٠

* وأما ابطاله اياه فانه يجوز أن يكون انزله قرآنا ، ثم أبطل تلاوته ، وأبقى العمل به ، كما قال عمر رضي الله عنه فى آية الرجم ،

---

(٤٦٤) الضائن : خلاف الماعز من الغنم ٠ والجمع ضان ٠ وهى ضائنة والجمع ضوائن ٠

(٤٦٥) الحبلة بالضم : الكرم ، وثمر السلم والسمر ، أو ثمر العضاة عامة ٠

وكما قال غيره فى أشياء كانت من القرآن قبل أن يجمع بين اللوحين فذهبت ، واذا جاز أن يبطل العمل به وتبقى تلاوته ، جاز أن تبطل تلاوته ويبقى العمل به .

* ويجوز أن يكون أنزله وحيا اليه كما كان تنزل عليه أشياء من أمور الدين ولا يكون ذلك قرآنا ، كتحريم نكاح العمة على بنت أخيها ، والخالة على بنت أختها ، والقطع فى ربع دينار ، ولا قود على والد ولا على سيد ، ولا ميراث لقاتل ، وكقوله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : « انى خلقت عبادى جميعا حنفاء » . وكقوله : يقول الله عز وجل : « من تقرب الى شبرا تقربت منه ذراعا » واشباه هذا وقد قال عليه السلام : « أوتيت الكتاب ومثله معه » . يريد ما كان جبريل عليه السلام يأتيه به من السنن . وقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجم الناس بعده ، وأخذ بذلك الفقهاء .

فأما رضاع الكبير عشرا ، فنراه غلطا من محمد بن اسحق ، ولا نأمن أيضا أن يكون الرجم الذى ذكر أنه فى هذه الصحيفة كان باطلا ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجم ماعز بن مالك وغيره قبل هذا الوقت ، فكيف ينزل عليه مرة أخرى ، ولأن مالك ابن أنس روى هذا الحديث بعينه عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ، ثم نسخن بخمس معلومات يحرمن ، فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن مما يقرأ من القرآن . وقد أخذ بهذا الحديث قوم من الفقهاء منهم الشافعى واسحق ، وجعلوا الخمس حدا بين ما يحرم وما لا يحرم ، كما جعلوا القلتين حدا بين ما ينجس من الماء وما لا ينجس . وألفاظ حديث مالك خلاف ألفاظ حديث محمد بن اسحق ، ومالك أثبت عند أصحاب الحديث من محمد بن اسحق(٤٦٦) .

---

(٤٦٦) محمد بن اسحاق . قال عنه احمد بن حنبل : قال مالك : دجال . وقال الطيالسي : كذاب . وقال النسائى : ليس بالقوى . وقال الدارقطنى : لا يحتج به وانما يعتبر به . وروى القطان عن حسام أنه ذكره فقال : العدو لله =

* (قال أبو محمد) حدثنا أبو حاتم قال حدثنا الأصمعى قال حدثنا معمر قال قال لى أبى : لا تأخذن عن محمد بن اسحق شيئا فانه كذاب . وقد كان يروى عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير وهى امـرأة هشام بن عروة ، فبلغ ذلك هشاما فانكره ، وقال : أهو كان يدخل على امرأتى أم أنا .

وأما قول الله تبارك وتعـالى : **« لا يأتيه الباطـل من بين يديه ولا من خلفه »** (٢٦٧) . **فانه تعالى لم يرد بالباطل أن المصـاحف** لا يصيبها ما يصيب سائر الأعلاق والعروض ، وانما أراد أن الشيطان لا يستطيع أن يدخل فيه ما ليس منه قبل الوحى وبعده .

* * *

٩٤ — (قالوا حديث يبطله القرآن وحجة العقل) قالوا : رويتم أن يوسف عليه السلام أعطى نصـف الحسن ، والله تعـالى يقـول : **« وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين»**(٤٦٨) . ولا يجوز أن يباع من أعطى نصف الحسن بثمن بخس ، وبدراهم تعد من قلتها ، ولا أن يكون المشترى له مع قلة هذا الثمن أيضا زاهـدا فيه . ويقول فى رجوع اخوته اليه مرة بعد مرة انه عرفهـم وهم له منكرون . وكيف ينكر من أعطى نصف الحسن ، ولم يجعـل له فى العالم نظير ؟ وهم كانوا بأن يعرفوه وينكرهم هو أولى .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الناس يذهبون فى نصف الحسن الذى أعطيه يوسف عليه السـلام الى أن اللـه سبحانه أعطاه نصف الحسن وأعطى العباد أجمعين النصف الآخر ، وفرقه بينهم ، وهذا غلط بين لا يخفى على من تدبره اذا فهم ما قلناه .

والذى عندى فى ذلك أن الله تبارك وتعالى جعل للحسن غـاية

= يروى عن امرأتى أين رآها ؟ كذاب قال عبد الله بن أحمد : فحدثت أبى بذلك . فقال : وما تنكر ؟ لعله استأذن عليها . وقال مالك : كذاب . (الضـعفاء لابن الجوزى . من اسمه محمد) .

(٤٦٧) فصلت : ٤٢ . (٤٦٨) يوسف : ٢٠

وحدا ، وجعله لمن شاء من خلقه ، اما للملائكة أو للحور العين ، فجعل ليوسف عليه السلام نصف ذلك الحسن ، ونصف ذلك الكمال . وقد يجوز أن يكون جعل لغيره ثلثه ، ولآخر ربعه ، ولآخر عشره ، ويجوز الا يجعل لآخر منه شيئا . وكذلك لو قال قائل : انه أعطى نصف الشجاعة ، لم يجز ان يكون أعطى نصفها وجعل للخلق كلهم النصف الآخر ، ولو كان هذا هو المعنى لوجب أن يكون الذى أعطى نصف الشجاعة يقاوم العباد جميعا وحده ، ولكن معناه أن للشجاعة حدا يعلمه الله تعالى ويجعله لمن شاء من خلقه ، ويعطى غيره النصف من ذلك ، ويعطى لآخر الثلث ، أو الربع ، أو العشر ، وما أشبه ذلك .

* وأما قولهم كيف يشترونه بثمن بخس ويكونون ايضا فيه من الزاهدين وهو بهذه المنزلة من الحسن ، فان الحسن اذا كان على ما ذهبنا اليه لا يتفاوت التفاوت الذى ظنوه ولكنه يكون مقاربا لما عليه الحسان الوجوه . وقد ذكر وهب بن منبه أن يوسف عليه السلام كان نزع فى الحسن الى سارة ، وهذا شاهد لما تأولناه فى نصف الحسن .

* فان احتجوا بقول الله تعالى : « **فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكئا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن ، فلما راينه اكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم** »(٤٦٩) وقالوا : لم يقطعن أيديهن حين رأينه ، ولم يقلن انه ملك كريم ، الا لتفاوت حسنه وبعده مما عليه حسن الناس .

(قلنا) فى تأويل الآية : انها لما سمعت بقول النسوة ان « **امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه ، قد شغفها حبا ، انا لنراها فى ضلال مبين** »(*) ارادت أن يرينه ليعذرنها فى الفتنة به فاعتدت لهن متكئا أى طعاما وقد قرىء متكا وهو طعام يقطع بالسكين وقيل فى بعض التفسير : انه

---

(٤٦٩) يوسف : ٣١

(*) يوسف : ٣٠

الأترج ، وفى بعضه الزماورد(٤٧٠) وأيا ما كان فانه لا يؤكل حتى يقطع ، وأصل المتك والبتك واحد ، وهو القطع ، والميم تبدل من الباء كثيرا ، وتبدل الباء منها لتقارب المخرجين ، ثم قالت ليوسف « **اخرج عليهن ، فلما رأينه أكبرنه** » أى أعظمن أمره وأجللنه ، ووقع فى قلوبهن مثل الذى وقع فى قلبها من محبته ، فبهتن وتحيرن وأدمن النظر اليه ، حتى حززن أيديهن بتلك السكاكين التى كن يقطعن بها طعامهن ، وقلن : « **ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم** » . ولم يردن بهذا القول انه ليس من البشر على الحقيقة وانه من الملائكة على الحقيقة وانما قلنه على التشبيه كما يقول القائل فى رجل يصفه بالجمال : ما هو الا الشمس ، وما هو الا القمر . وفى آخر يصفه بالشجاعة : ما هو الا الأسد . وكيف يردن أنه ليس من الناس وأنه من الملائكة وهن يردن منه مثل الذى أرادت امرأة العزيز ، ويشرن بحبسه ، والملائكة لاتطأ النساء ، ولاتحبس فى السجون ، وليس بعجيب أن يقطعن أيديهن اذا رأين وجها حسنا رائعا مع المحبة والشهوة وأن يتحيرن ويبهتن فقد يصيب الناس مثل ذلك وأكثر منه .

قال عروة بن حزام :

وانى لتعرونى لذكراك روعة لها بين جلدى والعظام دبيب
وما هو الا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب
وأصرف عن رأيى الذى كنت أرتئى وأنسى الذى عددت حين تغيب(٤٧١)

وقد جن قيس بن الملوح المعروف بالمجنون وذهب عقله وهام مع الوحش وكان لا يفهم شيئا الا أن تذكر ليلى وقال :

أياويح من أمسي تخلس(٤٧٢) عقله فأصبح مذهوبا به كل مذهب

---

(٤٧٠) الزماورد : طعام من اللحم والبيض . وقيل : لقمة القاضي ، ولقمة الخليفة .

(٤٧١) فى المخطوطة :
وأصرف عن دارى التى كنت عارفا ويغرب عنى علمه ويغيب

(٤٧٢) يعنى : اختلس عقله . بالبناء للمجهول .

اذا ذكرت ليـلى عقلت وراجعت روائـع عقـلى من هـوى متشعب

ولما خرج به أبوه الى مكة ليعوذ بالبيت ويستشفى له به سمع بمنى قائلا يقول : ياليلى ، فخر مغشيا عليه فلما افاق قال :

وداع دعا اذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد ومـا يـدرى
دعـا باسـم ليـلى غيرهـا فكانما اطار بليلى طائرا كان فى صدرى

وقد مات بالوجد أقوام منهم عروة بن حزام والنهدى عبدالله بن عجلان ·

* (قال ابو محمد) حدثنى عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب قال حدثنى عمى الاصمعى قال : عبد الله بن عجلان من عشاق العرب المشهورين الذين ماتوا عشقا وقد ذكره الشعراء فقال :

* ان مت من الحب فقد مات ابن عجلان *

* وحدثنـا ابو حاتم قال حدثنـا الاصمعى عن عبد العزيز بن ابى سلمة عن أيوب عن محمد بن سيرين قال قال عبد الله بن عجلان صاحب هند :

الا ان هندا أصبحت منك محرما(٤٧٣)
وأصبحت من أدنى حموتها حمـا(٤٧٤)
واصـبحت كالمغمـود جفـن سـلاحـه
يقلب بالكفين قوسـا وأسهما(٤٧٥)

---

(٤٧٣) المحرم : ذات الرحم من القرابة التى لا يحل التزوج بها · يقال : ذو رحم محرم ·

(٤٧٤) هو يتأسف على انه أصبح من اقرب اقارب زوجها فلن يتاتى له ماكان يتمنى من وصالها ·

(٤٧٥) يريد تاكيد امتناعها عليه وامتناعه عليها بانه اصبح بالنسبة لهـا كالسيف المغمود فى غمده ومن ثم فهو فى حيرة كمن يستعمل السهم مكان السيف·

قال ومد بها صوته ثم خر فمات . وفيما روى نقلة الأخبار أن الحارث بن حلزة اليشكرى قام بقصيدته التى أولها :

* آذنتنـا ببينهـا أسـماء *

بين يدى عمرو بن هند ارتجالا ، وكانت كالخطبة ، فارتزت العنزة(٤٧٦) التى كان يتوكأ ويخطب عليها فى صدره وهو لا يشعر ، وهذا أعجب من قطعهن أيديهن ، والسبب الذى قطعن له أيديهن أوكد من السبب الذى ارتزت له العنزة فى صدر الحارث بن حلزة .

* وأما شراء السيارة له بالثمن البخس وزهدهم فيه مع ذلك ، فانهم اشتروه على الاباق ، وبالبراءة من العيوب ، واستخرجوه من جوف بئر قد ألقاه سادته فيها . بذنوب كانت منه ، وجنايات عظام ادعوها ، وشرطوا عليهم مع ذلك أن يقيدوه ويغلوه ، الى أن يأتوا به مصر . وفى دون هذه الأمور ما يخسس الثمن ، ويزهد المشترى .

وهذه القصة مذكورة فى التوراة .

* وأما قولهم : كيف ينكره اخوته مـع ما أعطى من الحسن ؟ فقد أعلمتك أن الذى أعطيه يوسف عليه السلام وان كان فوق ما اعطيه أحد من الناس ، فليس ببعيد مما عليه الحسن منهم ، وأنه وان كان أعطى نصف الحسن ، فقد أعطى غيره الثلث والربع وما قارب النصف ، وليس يقع فى هذا تفاوت شديد ، وكانوا فارقوه طفلا ، ورأوه كهلا ، ودفعوه أسيرا ضريرا ، وألفوه ملكا كبيرا ، وفى أقل من هذه المـدة واختلاف هذه الأحوال تتغير الحلى ، وتختلف المناظر .

* * *

٩٥ ـ (قالوا حديث يبطله النظر) قالوا : رويتم عن شعبه عن محمد ابن جحادة عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : نهى رسول الله صلى الله

(٤٧٦) ارتزت العنزة . دخلت . والعنزة بين العصا والرمح فى آخره زج كانوا يتكئون عليه حين الخطبة .

عليه وسلم عن كسب الاماء . قالوا وكسب الاماء حلال . ولو أن رجلا آجر أمته أو عبده فعملا لم يكن ما كسبا حراما باجماع الناس ، فكيف ينهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الكسب الذى نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أجر البغايا(٤٧٧) وكان أهل الجاهلية يامرون اماءهم بالبغاء ، ويأخذون أجورهن ، وكان لعبدالله ابن جدعان اماء يساعين(٤٧٨) وهو فى الجاهلية سيد تيم ، فانزل الله عز وجل : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا »(٤٧٩) . ونهى صلى الله عليه وسلم عن كسب الزمارة(٤٨٠) ، وهى الزانية ، يعنى هذه الأمة التى يغتلها(٤٨١) سيدها .

* (قال أبو محمد) حدثنا أبو الخطاب قال حدثنا أبو بحر قال حدثنا هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : ثمن الكلب وأجر الزمارة من السحت .

* * *

٩٦ - (قالوا حديثان متناقضان) قالوا : رويتم عن مالك عن سالم أبى النضر عن ابن جرهد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر عليه وهو كاشف فخذه فقال : « غطها ، فان الفخذ من العورة » . ثم رويتم عن اسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبى حرملة وعن عطاء ابن يسار وأبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا فى بيته كاشفا فخذه ،

---

(٤٧٧) فى المطبوعتين (البغاء) .

(٤٧٨) من المساعاة وهى الزنا ، يقال : ساعت المراة اذا فجرت . وساعاها فلان اذا فجر بها . ومنه حديث (لا مساعاة فى الاسلام) .

(٤٧٩) النور : ٣٣

(٤٨٠) الزمارة : أو الرمازة . فعلى الاول هى : البغى الحسناء الجميلة. وعلى الثانى هى التى تشير بعينها أو حاجبها أو شفتها . والزوانى يفعلن ذلك .

(٤٨١) يغتلها : أى يكفلها أن تأتيه بغلتها من أجرة بغائها .

فاستأذن أبو بكر رضي الله عنه فأذن له وهو كذلك ، ثم استأذن عمر رضي الله عنه فأذن له وهو كذلك ، ثم استأذن عثمان رضي الله عنه فجلس وسوى ثيابه ، فلما خرج قالت له عائشة فى ذلك ، فقال : « الا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة » ؟ قالوا : وهذا خلاف الحديث الأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : أنه ليس ههنا اختلاف ، ولكل واحد من الحديثين موضع ، فاذا وضع بموضعه زال ما توهموه من الاختلاف .

* أما حديث جرهد فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو كاشف فخذه على طريق الناس وبين ملئهم فقال عليه السلام له : وار فخذك ، فانها من العورة فى هذا الموضع ، ولم يقل : فانها عورة ، لأن العورة غيرها . والعورة صنفان : احداهما فرج الرجل والمرأة والبر منهما ، وهذا هو عين العورة ، والذى يجب عليهما أن يستراه فى كل وقت ، وكل موضع ، وعلى كل حال .

* والعورة الأخرى مادانهما من الفخذ ومن مراق البطن(٤٨٢) ، وسمى ذلك عورة لاحاطته بالعورة ، ودنوه منهما . وهذه العورة هى التى يجوز للرجل أن يبديها فى الحمام ، وفى المواضع الخالية ، وفى منزله ، وعند نسائه ، ولا يحسن به أن يظهرها بين الناس ، وفى جماعاتهم وأسواقهم ، وليس كل شيء حل للرجل يحسن به أن يظهره فى المجامع ، فان الاكل على الطريق وفى السوق حلال وهو قبيح ، ووطء الرجل أمته حلال ، ولا يجوز ذلك بحيث تراه الناس والعيون . وكانوا يكرهون الوجس ، وهو أن يطأ الرجل أهله بحيث تحس أهله الأخرى الحركة وتسمع الصوت .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته خاليا فاظهر فخذه

(٤٨٢) مراق البطن : ما لان منه ورق .

لنسائه ثم دخل عليه من يأنس به فلم يستره ، فلما صاروا ثلاثة كره باجتماعهم ما كرهه لجرهد من ابدائه لفخذه بين عوام الناس واستتر منهم *

* * *

٩٧ - (قالوا حديث يبطله الاجماع والكتاب) قالوا : رويتم عن الحجاج الصواف عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن حجاج بن عمرو الأنصارى انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من كسر أو عرج فقد حل ، وعليه حجة أخرى » . قال فحدثت ابن عباس وأبا هريرة بذلك فقالا : صدق . (قالوا) والناس على خلاف هذا ، لأنه قال الله تعالى : « **وأتموا الحج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله** »(٤٨٣) . فلم يجعل له أن يحل دون أن يصل الهدى وينحر عنه .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا فى الرجل من أهل مكة يهل بالحج منها ، ويطوف ويسعى ، ثم يكسر أو يعرج أو يمرض ، فلا يستطيع حضور المواقف ، أنه يحل فى وقته ، وعليه حج قابل والهدى ، وكذلك الرجل يقدم مكة معتمرا فى أشهر الحج ، ويقضي عمرته ، ثم يهل بالحج من مكة ، ويكسر أو يصيبه أمر لا يقدر معه على أن يحضر مع الناس المواقف ، انه يحل وعليه حج قابل والهدى .

والذين أمرهم الله تعالى اذا أحصروا بما استيسر من الهدى ، والا يحلقوا رؤوسهم حتى يبلغ الهدى محله ، هم الذين أحصروا قبل أن يدخلوا مكة . وحكم أولئك خلاف حكم أهل مكة ، والمهلين بالحج منها ، لأن حكم الذى كسر فى الطريق أو عرج فلم يقدر علي السفر أو مرض وقد أهل بالحج الا يحل الا بالبيت ، وعليه أن يحج فى السنة الثانية ،

---

(٤٨٣) البقرة : ١٩٦

والذى كسر بمكة من اهلها أو من المتمتعين مقيم بمكة ، وعند البيت ، فيحل وعليه الحج من قابل .

* * *

٩٨ — (قالوا حديث يبطله حجة العقل) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : « كل بيمينك ، فان الشيطان ياكل بشماله » . قالوا والشيطان روحانى كالملائكة ، فكيف ياكل ويشرب ، وكيف يكون له يد يتناول بها ؟

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان الله جل وعز لم يخلق شيئا الا جعل له ضدا ، كالنور والظلمة ، والبياض والسواد ، والطاعة والمعصية ، والخير والشر ، والتمام والنقصان ، واليمين والشمال ، والعدل والظلم ، وكل ما كان من الخير والتمام والعدل والنور فهو منسوب اليه جل وعز ، لانه أحبه وأمر به . وكل ما كان من الشر والنقص والظلام فهو منسوب الى الشيطان ، لانه الداعى الى ذلك ، والمسول له . وقد جعل الله تعالى فى اليمين الكمال والتمام ، وجعلها للاكل والشرب والسلام . والبطش ، وجعل فى الشمال الضعف والنقص ، وجعلها للاستنجاء والاستنثار واماطة الاقذار ، وجعل طريق الجنة ذات اليمين ، وأهل الجنة أصحاب اليمين ، وطريق النار ذات الشمال ، وأهل النار أصحاب الشمال ، وجعل اليمن من اليمين ، والشؤم من اليد الشؤمى ، وهى الشمال . وقالوا : فلان ميمون ومشئوم ، وانما ذلك من اليمين والشمال .

وليس يخلو الشيطان فى اكله بشماله من أحد معنيين : اما أن يكون ياكل على حقيقة ، ويكون ذلك الاكل تشمما واسترواحا لا مضغا وبلعا ، فقد روى ذلك فى بعض الحديث ، وروى أن طعامها الرمة وهى العظام ، وشرابها الجدف(٤٨٤) وهو الرغوة والزبد ، وليس ينال من

---

(٤٨٤) الجدف بالتحريك : نبات باليمن لا يحتاج آكله معه الى شرب ماء . وقال ابن قتيبة فى غريب الحديث : هو من الجدف ، اى القطع ، يعنى ما يرمى به عن الشراب من الزبد أو الرغوة أو القذى ، كانه قطع من الشراب فرمى به .

ذلك الا الروائح ، فتقوم لها مقام المضغ والبلع لذوى الجثث ، ويكون استرواحه من جهة شماله ، وتكون بذلك مشاركته من لم يسم الله على طعامه ، أو لم يغسل يده ، أو وضع طعاما مكشوفا ، فتذهب بركة الطعام وخيره · وأما مشاركته فى الأموال فبالانفاق فى الحرام ، وفى الأولاد فبالزنا ·

او يكون ياكل بشماله على المجاز ، يراد أن اكل الانسان بشماله ارادة الشيطان له وتسويله ، فيقال لمن أكل بشماله : هو ياكل اكل الشيطان ، لا يراد أن الشيطان ياكل ، وانما يراد انه ياكل الاكل الذى يحبه الشيطان ، كما قيل فى الحمرة انها زينة الشيطان ، لا يراد أن الشيطان يلبس الحمرة ويتزين بها ، وانما يراد أنها الزينة التى يخيل بها الشيطان · وكذلك روى فى الاقتعاط ، وهو أن يلبس العمامة ولا يتلحى بها(٤٨٥) أنها عمة الشيطان ، لا يراد بذلك أن الشيطان يعتم ، وانما يراد أنها العمة التى يحبها الشيطان ، ويدعو اليها ·

* وكذلك نقول فى قوله للمستحاضة انها ركضة الشيطان ، والركضة الدفعة ، انه لا يخلو من أحد معنيين اما أن يكون الشيطان يدفع ذلك العرق فيسيل منه دم الاستحاضة ، ليفسد على المرأة صلاتها بنقض طهورها ، وليس بعجيب أن يقدر على اخراج ذلك الدم بدفعته من يجرى من ابن آدم مجرى الدم ، أو تكون تلك الدفعة من الطبيعة فنسبت الى الشيطان ، لأنها من الأمور التى تفسد الصلاة ، كما نسب اليه الأكل بالشمال والعمة على الرأس ، دون التلحى والحمرة ·

* (قال ابو محمد) حدثنى زياد بن يحيى قال حدثنا بشر بن المفضل عن يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحمرة من زينة الشيطان » · والشيطان يحب الحمرة ولهذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصفر للرجال ـ قال ابراهيم : انى

---

(٤٨٥) يتلحى بها : يديرها تحت لحيته ويعيدها الى رأسه ·

لابس المعصفر وانا أعلم انه زينة الشيطان ، واتختم الحديد وأنا أعلم انه حلية أهل النار ، وجعل الحديد حلية أهل النار ، وأهل النار لا يتحلون بالحلى ، وانما أراد أن لهم مكان الحلية السلاسل والاغلال والقيود ، فالحديد حليتهم ، وكان ابراهيم يفعل ذلك يريد به اخفاء نفسه وستر عمله (٤٨٦) ٠

* * *

٩٩ ـ (قالوا حديثان مختلفان) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتوكل من اكتوى واسترقى » ٠ ثم رويتم أنه كوى أسعد بن زرارة ، وقال : « ان كان فى شيء مما تداوون به خير ففى بزغة (٤٨٧) حجام ، أو لذعة بنار » ٠ قالوا وهذا خلاف الأول ٠

* (قال ابو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا خلاف ، ولكل واحد موضع ، فاذا وضع به زال الاختلاف ٠ والكى جنسان ٠

(أحدهما) كى الصحيح لئـلا يعتل ، كما يفعل كثير من أمم العجم ، فانهم يكوون ولدانهم وشبانهم من غير علة بهم ، يرون أن ذلك الكى يحفظ لهم الصحة ويدفع عنهم الأسقام ٠

(قال أبو محمد) ورأيت بخراسان رجـلا من أطبـاء الترك معظما عندهم يعالج بالكى ، واخبرنى وترجم ذلك عنه مترجمه أنه يشفى بالكى من الحمى والبرسام والصفار والسل (٤٨٨) والفالج ، وغير ذلك من الأدواء العظام ، وأنه يعمد الى العليل فيشده بالقمط شدا شديدا حتى يضطر العلة الى موضع من الجسـد ، ثم يضـع المكوى على ذلك

---

(٤٨٦) يجوز أن يستر الانسان عمله الصالح ، ويخفى صلاحه بارتكاب المباح أو المكروه تنزيها ، والذى يضع الانسان موضع العامة ، ولا يضعه موضع الخاصة من العلماء الصالحين العاملين ، حفظا لنيته وارادته الله بالعمل ٠٠ الا اذا خرج هذا التستر الى حد الشهرة ، كما يفعل جهلة الصوفية فى لباس الشـهرة الذى يلبسونه ، ليعلنوا انهم خرجوا من الدنيا وفروا الى الله ٠ فهذا حرام ٠

(٤٨٧) بزغة حجام : شرطة بالمبزغ وهو المشرط ٠

(٤٨٨) والبرسام : داء يؤدى الى الهذيان ٠ والصفار : دود البطن ٠ والسل داء معروف فى الرئة هو « التدرن الرئوى » ٠

الموضع فيلذعه به ، وأنه أيضا يكوى الصحيح لئلا يسقم فتطول صحته ـ وكان مع هذا يدعى أشياء من استنزال المطر ، وإنشاء السحاب فى غير وقته ، واثارة الريح ، مع أكاذيب كثيرة ، وحماقات ظاهرة بينة ، وأصحابه يؤمنون بذلك ، ويشهدون له على صدق ما يقول . وقد امتحناه فى بعض ما ادعى فلم يرجع منه الى قليل ولا كثير .

وكانت العرب تذهب هذا المذهب فى جاهليتها ، وتفعل شبيها بذلك فى الابل اذا وقعت النقبة فيها وهو جرب ، أو العر(٤٨٩) وهو قروح ، تكون فى وجوهها ومشافرها ، فتعمد الى بعير منهـا صحيح فتكويه ليبرأ منها ما به العر أو النقبة وقـد ذكـر ذلك النابغة فى قوله للنعمـان :

فحملتنى ذنب امـرىء وتركتـه
كذى العـر يكوى غيره وهو راتـع

وهذا هو الأمـــر الذى أبطله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه : « لم يتوكل من اكتوى » لأنه ظن أن اكتواءه وافزاعه الطبيعة بالنار وهو صحيح ، يدفع عنه قدر الله تعالى ، ولو توكل عليه ، وعلم الا منجى من قضائه ، لم يتعالج وهو صحيح ، ولم يكو موضعا لا علة به ليبرأ العليل .

*وأما الجنس الآخر فكى الجرح اذا نغل(٤٩٠) ، واذا سال دمه فلم ينقطع ، وكى العضو اذا قطع ، أو حسمه(٤٩١) ، وكى عروق من سقى بطنه وبدنه . قال ابن أحمر ـ يذكر تعالجه حين شفى :

شربت الشكاعى والتددت ألدة
واقبلت أفواه العـروق المكاويا

---

(٤٨٩) العر . بضم العين وفتحها : الجرب ، أو قروح فى أعنـاق الابل يتمعط منها الوبر .

(٤٩٠) نغل الجرح : فسد .

(٤٩١) الكى بالنار . والحسم بالزيت المغلى .

وهذا هو الكى الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم : ان فيه الشفاء . وكوى أسعد بن زرارة لعلة كان يجدها فى عنقه ، وليس هذا بمنزلة الأمر الأول . ولا يقال لمن يعالج عند نزول العلة به لم يتوكل ، فقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالتعالج ، وقال : « لكل داء دواء » لا على أن الدواء شاف لا محالة ، وانما يشرب على رجاء العافية من الله تعالى به ، اذ كان قد جعل لكل شيء سببا .

ومثل هذا الرزق ، قد تضمنه الله عز وجل لعباده ، اذ يقول : « **وما من دابة فى الأرض الا على الله رزقها** »(*) . ثم أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلبه ، وبالاكتساب والاحتراف ، وقال الله تعالى : « **أنفقوا من طيبات ما كسبتم** »(**) .

ومثله توقى المهالك ، مع العلم بأن التوقى لا يدفع ما قدره الله جل وعز ، وحفظ المال فى الخزائن وبالأقفال ، مع العلم بأنه لا ضيعة على ما حفظه الله سبحانه ، ولا حفظ لما أتلفه الله تعالى.

ومثل هذا كثير مما يجب علينا ألا ننظر فيه الى المغيب عنا ، ونستعمل فيه الحزم . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اعقل وتوكل » وقال لرجل سمعه يقول حسبى الله : « أبلى عذرا(٤٩٢) ، فاذا اعجزك أمر فقل حسبى الله » .

* ومما يشبه الكى فى خالتيه الترياق(٤٩٣) ، قال رسول الله

(*) هود : ٦

(**) البقرة :٢٦٧ وفى المطبوعة « كلوا ...) خطأ .

(٤٩٢) فى القاموس أبلاه عذرا اداه اليه فقبله اهـ وفى النهاية وفى حديث بر الوالدين ابل الله تعالى عذرا فى برها أى أعطه وأبلغ العذر فيها اليه . المعنى: أحسن فيما بينك وبين الله تعالى ببرك اياها اهـ وعلى قياس هذا يقال هنا المعنى ان هذا القائل اعطى العذر من نفسه وأحسن فيما بينه وبين ربه .

(٤٩٣) الترياق بالكسر دواء مركب اخترعه ماغنيس وتممه اندروماخس =

صلى الله عليه وسلم : « ما أبالى مـا أتيت ان أنا شربت ترياقا ، أو تعلقت تميمة ، أو قلت الشعر من نفسي » . وكانت العرب تسمع بالترياق الأكبر ، وأنه يكون فى خزائن ملوك فارس والروم ، وأنه من أنفع الأدوية وأصلحها لعظام الأدواء فقضت عليه بأنه شفاء لا محالة ، فكنوا به عن كل نفع ، وقضوا بأنه يدفع المنية حينا ، ويزيد فى العمر ، ويقى العاهات . قال الشاعر يصف خمرا (٤٩٤) :

سقتنى بصهباء درياقة متى مـا تلين عظامى تلن

فكنى عن الشفاء بالدرياق ، كأنه قال : سقتنى بخمر شفاء من كل داء ، كأنها درياق ، وشبه المتشببون ريق النساء بالدرياق ، يريدون أنه شفاء من الوجد كالدرياق .

* ومما يدل على هذا أنه قرن شرب الدرياق بتعليق التمائم ، والتمائم خرز رقط . كانت الجاهلية تجعلها فى العنق والعضد تسترقى بها ، وتظن انها تدفع عن المرء العاهات ، وتمد العمر ، قال الشاعر :

اذا مات لم تفلح مزينة بعده فنوطى عليه يا مزين التمائما

يقول علقى عليه هذا الخرز لتقيه المنية — وقال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمـامة حكمـة وعراف نجد(٤٩٥) ان هما شفيانى

=

القديم بزيادة لحوم الافاعى فيه وبها كمل الغرض وهو مسميه بهذا لأنه نافع من لدغ الهوام السبعية وهى باليونانية ترياء نافع من الأدوية المشروبة السمية وهى باليونانية قاءا ممدودة ثم خفف وعرب وهو طفل الى ستة اشهر ثم مترعرع الى عشر سنين فى البلاد الحارة وعشرين فى غيرها ثم يقف عشرا فيها وعشرين فى غيرها ثم يموت ويصير كبعض المعاجين

(٤٩٤) قال فى القـاموس الدرياق والدرياقة بكسرهما ويفتحـان الترياق والخمر .

(٤٩٥) كذا فى نسخة وفى نسختين وعراف حجر .

فمـا تركا من رقيـة يعلمانهـا ولا سـلوة الا بهـا سـقيانى
فقالا شـفاك الله والله ما لنـا بمـا حملت منـك الضـلوع يدان

والسلوة حصاة كانوا يقولون : ان العاشق اذا سـقى الماء الذى تكون فيه سلا وذهب عنه ما هو به . فهذا هو الترياق الذى كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نوى فيه هذه النية ، وذهب به هذا المذهب. فأما من شربه وهو عنده بمنزلة غيره من الدواء ، يؤمل نفعه ، ويخاف ضره ، ويستشفى الله تعالى به ، فلا بأس عليه اذا لم يكن فى الترياق لحوم الحيات ، فان ابن سيرين كان يكرهه اذا كانت فيه الحمة ، يعنى السم الذى يكون فى لحومها .

ومما يشبه ذلك الرقى ، يكره منها ما كان بغير اللسان العربى ، وبغير أسماء الله تعالى وذكره(*) وكلامه فى كتبه ، وأن يعتقد أنها نافعة لا محالة ، واياها أراد بقوله : « ما توكل من استرقى » . ولا يكره ما كان من التعوذ بالقرآن ، وبأسماء الله جل وعز ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من صحابته رقى قوما بالقرآن وأخـذ على ذلك أجرا : « من أخذ أجرا برقية باطل(٤٩٦) فقـد أخـذت برقية حق » .

* * *

١٠٠ – (قالوا حديثان متناقضان فى شرب الماء) قالوا : رويتم عن ابن المبارك عن معمر عن قتادة عن أنس قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشرب الرجل قائما . قلت : فالأكل قال : الأكل أشد منه . ثم رويتم عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشرب وهـو قائم . وهـذا نقض لذاك

(*) ومثل هذا كثير فى دعوات تسخير الجن كما يدعون ، وفيما وضعه جهلة المتصوفة من أدعية ادخلوا فيها أسماء غريبة ليست بعربية ، وقالوا عنها انها أسماء لله تعالى أو لبعض ملائكته ، وكلاهما خطأ .

(٤٩٦ كذا بنسختين ومثلهما فى النهاية وفى نسخة برقية باطلة .

✻ (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس ههنا تناقض ، لأنه فى الحديث الأول نهى أن يشرب الرجل أو يأكل ماشيا ، يريد أن يكون شربه وأكله على طمأنينة ، وألا يشرب اذا كان مستعجلا فى سفر أو حاجة وهو يمشي ، فيناله من ذلك شرق أو تعقد من الماء فى صدره ، والعرب تقول : قم فى حاجتنا ، لا يريدون أن يقوم حسب ، وانما يريدون : امش فى حاجتنا ، اسع فى حاجتنا . ومن ذلك قول الأعشي :

يقوم على الوغم(٤٩٧) فى قومه فيعفو اذا شاء أو ينتقم

يريد بقوله « يقوم على الوغم » انه يطالب بالذحل ، ويسعى فى ذلك حتى يدركه ، ولم يرد انه يقوم من غير أن يمشي — ومنه قول الله جل وعز : « **ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما** »(✻) يريد ما دمت مواظبا عليه بالاختلاف والاقتضاء والمطالبة . ولم يرد القيام وحده .

وفى الحديث الثانى « كان يشرب وهو قائم » — يراد غير ماش ولا ساع — ولا بأس بذلك لأنه يكون على طمأنينة فهو بمنزلة القاعد .

✻ ✻ ✻

١٠١ — (قالوا حديثان متناقضان فيما ينجس من الماء) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال فى غير حديث : « الماء لا ينجسه شيء » . ثم رويتم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجسا »(✻✻) ، وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين حمل النجس — وهذا خلاف الحديث الأول .

✻ (قال أبو محمد) ونحن نقول : انه ليس بخلاف للأول ، وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الماء لا ينجسه شيء على الأغلب

---

(٤٩٧) الوغم له جملة معان ذكرها فى القاموس والمناسب منها هنا الترة وهى الذحل : وهو الثأر كما فيه . (✻) آل عمران : ٧٥

(✻✻) كذا فى نسختين وفى نسخة خبثا وهى المشهورة فى لفظ الحديث .

والاكثر ، لان الاغلب على الآبار والغدران(*) أن يكثر ماؤهـــا ، فاخرج الكلام مخرج الخصوص ، وهذا كما يقول : السيل لا يرده شيء، ومنه ما يرده الجدار ، وانما يريد الكثير منه لا القليل ، وكما يقول : النار لا يقوم لها شيء ، ولا يريد بذلك نار المصباح الذى يطفئه النفخ ، ولا الشرارة ، وانما يريد نار الحريق . ثم بين لنا بعد هذا بالقلتين مقدار ما تقوى عليه (٤٩٨) النجاسة من الماء الكثير الذى لا ينجسه شيء .

* * *

١٠٢ — (قالوا حديثان فى الحج متناقضان) قالوا : رويتم عن اسماعيل ابن علية عن أيوب قال قال لى عبد الله بن أبى مليكة حدثنى القاسم عن عائشة رضي الله عنها انهـــا قالت : « أهللت بحج » قال عبد الله وحدثنى عروة أنها قالت « أهللت بعمرة » .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان لهذين الحديثين مخرجا ، ان لم يكن وقع فيه غلط من القاسم أو عروة . وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم قدموا مكة وقد لبوا بالحج ، فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطوفوا ويسعوا ، ثم يحلوا ويجعلوها عمرة ، فحل القوم وتمتعوا ، وقال النبى صلى الله عليه وســـلم : « لولا أن معى الهدى لحللت » . وكان أبو ذر يقول : ان هذا من فسخ الحج لهم خاصة . واليه ذهب كثير من الفقهاء ، فيجوز أن تكون عائشة رضي الله عنها أهلت أولا بالحج ، فقالت للقاسم : انى أهللت بالحج ، ثم فســـختة وجعلته عمرة ، وقالت لعروة : انى أهللت بعمرة . وهى صـادقة فى الامرين ، لأن الحج الذى أهلت به صار عمرة ، بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

(*) بضم الغين المعجمة جمع غدير وهو النهر .

(٤٩٨) كذا بالاصول كلها ولعل الصواب ما لا تقوى عليه النجاسة بالنفى تأمل ..

١٠٣ – (قالوا حديث يبطله حجة العقل) قالوا : رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كادت العين تسبق القدر » . ودخل عليه بابنى جعفر بن أبى طالب رضي الله عنهما وهما ضارعان(٤٩٩) فقال: « ما لى أراهما ضارعين ؟ قالوا : تسرع اليهما العين . فقال : « استرقوا لهما » وقد نهى فى غير حديث عن الرقى . قالوا : وكيف تعمل العين من بعد حتى تعل وتسقم ؟ هذا لا يقوم فى وهم ، ولا يصح على نظر .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول : ان هذا قائم فى الوهم صحيح فى النظر من جهة الديانة ، ومن جهة الفلسفة التى يرتضون بهـا ، ويردون الأمور اليها . والناس يختلفون فى طبائعهم ، فمنهم من تضر عينه اذا أصاب بها ، ومنهم من لا تضر عينه ، ومنهم من يعض فتكون عضته كعضة الكلب الكلب(٥٠٠) فى المضرة ، أو كنهشة الأفعى لا يسلم جريحها ، ومنهم من تلسعه العقرب فلا تؤذيه . وتموت العقرب . وقد جىء الى المتوكل بأسود(٥٠١) من بعض البوادى يأكل الأفاعى وهى أحياء ، ويتلقاها بالنهش من جهة رؤوسها ، ويأكل ابن عرس وهو حى ويتلقاه بالأكل من جهة رأسه ، وأتى بآخر يأكل الجمـر كمـا يأكله الظليم (٥٠٢) فلا يمضه(٥٠٣) ولا يحرقه – وفقراء الأعـراب الذين يبعدون عن الريف يأكلون الحيات ، وكل ما دب ودرج من الحشرات ، ومنهم من يأكل الأبارص ، ولحمها أقتل من الأفاعى والبيش(٥٠٤) وأنشد أبو زيد :

---

(٤٩٩) قال فى النهاية فى شرح هذا الحديث الضارع النحيف الضـاوى الجسم يقال ضرع يضرع فهو ضارع وضرع بالتحريك .

(٥٠٠) الكلب الكلب : هو المصاب بداء الكلب بفتح اللام ، وهو داء كالجنون يصيبه فيعض الناس ، فينتقل اليهم مرضه .

(٥٠١) الأسود هنا : الرجل الأسود . وقد فسرها مصحح البيروتية : بالحية العظيمة ، وهو خطأ لا يقتضيه السياق هنا .

(٥٠٢) الظليم : ذكر النعام . (٥٠٣) يمضه : يحرقه .

(٥٠٤) فى المطبوعتين : والتنين . أما البيش فهو نبت فيه سم قتـال . وترياقه فارة البيش تتغذى به ، والسمانى تتغذى به ولا تموت أيضا .

واللــه لــو كنت لهــذا خالصــا لكنت عبــدا يأكل الأبارصــا

فاخبرك أن العبيد يأكلونها ٠ فما الذى ينكر من أن يكون فى الناس ذو طبيعة فى نفسه ذات سم وضرر فاذا نظر بعينه فاعجبه ما يراه فصل من عينه فى الهواء شيء من تلك الطبيعة أو ذلك السم حتى يصل الى المرئى(٥٠٥) فيعله ٠

وقد زعم صاحب المنطق أن رجلا ضرب حية بعصا فمات الضارب ، وأن من الأفاعى مــا ينظــر الى الانســان فيموت الانســان بنظــره ، وما يصوت فيموت السامع بصوته ٠ فهذا قول أهل الفلسفة ، وقد حدثنا مع هذا عن النضر بن شميل عن أبى حيرة أنه قال : الأبتر من الحيات خفيف أزرق مقطوع الذنب ، يفر من كل أحد ، ولا يراه أحد الا مات ، ولا تنظر اليه حامل الا ألقت ما فى بطنها ، وهو الشيطان من الحيات ٠ وهذا قول يوافق ما قاله صاحب المنطق ٠

أفما تعلم أن هذه الحية اذا قتلت من بعد فانما تقتل بسم فصل من عينها فى الهواء حتى أصاب من رآته ؟ وكذلك القاتلة بصوتها تقتل بسم فصل من صوتها فاذا دخل السمع قتل ؟ وقد ذكر الأصمعى مثــل هذا بعينه فى الذى يعتان (٥٠٦) ٠

* وبلغنى عنه أنه قال : رأيت رجلا عيونا فدعى عليه فعور ، وكان يقول اذا رأيت الشيء يعجبنى وجدت حرارة تخرج من عينى ٠ ومما يشبه هــذا القــول أن المرأة الطامث(٥٠٧) تدنو من اناء اللبن لتسوطه(٥٠٨) وهى منظفة الكف والثوب فيفسد اللبن ، وهذا معروف مشهور ، وليس ذلك الا لشيء فصل عنها حتى وصل الى اللبن ، وقد

---

(٥٠٥) فى المخطوطة (الى المرء) ٠
(٥٠٦) الذى يعتان : الذى يصيب بالعين ٠
(٥٠٧) المرأة الطامث : الحائض ٠
(٥٠٨) لتسوطه : لتخلطه وتضربه بيدها ٠

تدخل البستان فتضر بكثير من الغروس فيه من غير أن تمسها ، وقد يفسد العجين اذا قطع فى البيت الذى فيـــه البطيخ ـ وناقف(٥٠٩) الحنظل تدمع عيناه ، وكذلك موخف (٥١٠) الخردل وقاطع البصل .

وقد ينظر الانسان الى العين المحمرة فتدمع عينــه ، وربمـــا احمرت ، وليس ذلك الا لشيء وصل فى الهواء اليها من العين العليلة ، وقد يتثاءب الرجل فيتثاءب غيره ، والعرب تقول : أسرع من عدوى الثؤباء(٥١١) . وما أكثر ما يختدع الراقون بالتثاؤب ، فانهم اذا رقوا عليلا تثاءبوا ، فتثاءب العليـــل بتثاؤبهم ، وأكثروا وأكثر(٥١٢) ، فيوهمون العليل أن ذلك فعل الرقية ، وأنه تحليل منها للعلة . وقد يكون فى الدار جماعة من الصبيان ويجدر أحدهم ، فيجدر الباقون ، وليس ذلك الا لشيء فصل من العليل فى الهواء الى من كان مثله ، ممن لم يجدر قط ، وليس هو من العدوى فى شيء ، انما هو سم ينفذ من واحد الى آخر وهذا من أمر العين صحيح(٥١٣) .

* وأما ما يدعيه قوم من الأعراب أن العائن منهم يقتل من أراد ، ويسقم من أراد بعينه ، وأن الرجل منهم كان يقف على مخرفة النعم ـ وهو طريقها ـ الى الماء فيصيب ما أراد من تلك الابل بعينه حتى يقتله ، فهذا ليس بصحيح .

وقد قال الفراء فى قول الله سبحانه : « **وأن يكاد الذين كفـروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر** »(*) . أراد : يعتانونك ، أى يصيبونك بعيونهم ، كما يعتان الرجل الابل اذا صدرت عن الماء ، وليس هو

---

(٥٠٩) ناقف الحنظل : من يشقه عن حبه .
(٥١٠) موخف الخردل : ضاربه حتى يلتزج .
(٥١١) الثؤباء : بتشديد الثاء وضمها وفتح الهمزة : التثاؤب .
(٥١٢) يعنى : أكثروا التثاؤب وأكثر العليل كذلك .
(٥١٣) أما هذه الأخيرة فقد اثبت العلم الحديث انها من العدوى .
(*) القلم : ٥١

عندنا على ما تأول — وانما أراد أنهم ينظرون اليك بالعداوة والبغضاء نظرا يكاد يزلقك من شدته حتى تسقط . ويدلك على ذلك قول الشاعر :

يتقارضون(٥١٤) اذا التقوا فى موطن   نظرا يزيل مواطىء الأقدام

أى يكاد يزيلها عن مواطئها من شدته وصلابته ، وهذا نظر العدو المبغض . تقول الناس نظر الى شزرا(٥١٥) ونظر الى محدقا(٥١٦) وأريته لمحا باصرا — ونحوه قول الله تعالى : « **ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت** »(*) لأن المغشي عليه عند الموت يشخص بصره ولا يطرف(٥١٧) . يقول الله جل وعز : « **فاذا برق البصر** »(**) فى قراءة من قرأه بفتح الراء ، يريد بريقه .

ولو كان ما ادعاه الأعراب من ذلك صحيحا لأمكنهم قتل من أرادوا قتله واسقام من أرادوا اسقامه ولم يجعل الله سبحانه هذا لأحد على أحد .

وأحسب أن العين اذا خاف أن يصيب الآخر بعينه اذا أعجبه أردفها التبريك والدعاء كما قال النبى صلى الله عليه وسلم : « اذا أعجب أحدكم أخوه فليبرك عليه » وانما يصح من العين أن يكون العائن يصيب بعينه اذا تعجب من شيء أو استحسنه فيكون الفعل لنفسه بعينه ، ولذلك سموا العين نفسا لأنها تفعل بالنفس — وجاء فى الحديث : « لا رقية الا من عين أو حمة(٥١٨) أو نملة أو نفس » فالنفس العين — والحمة الحيات والعقارب وأشباهها من ذوات السموم ، والنملة قروح تخرج فى الجنب ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم للشفاء : « علمى

---

(٥١٤) يريد : ينظر بعضهم الى بعض نظر الحسد والحقد حتى يكاد يصرعه بنظره .

(٥١٥) نظر الشزر : أى النظر بمؤخر العين نظر غضب .

(٥١٦) التحديق : تشديد النظر .

(*) محمد : ٢٠   (**) القيامة : ٧

(٥١٧) أى لا يتحرك بصره .

(٥١٨) الحمة : السم ، أو ابرة الزنبور والعقرب التى يضرب بها .

حفصة رقية النملة والنفس والعين » . وقال ابن عباس فى الكلاب : انها من الحن(٥١٩) وهى ضعفة الجن فاذا غشـــيتكم عند (٥٢٠) طعامكم فالقوا لها ، فان لها أنفسا » يريد أن لها عيونا تضر بنظرها الى من يطعم بحضرتها .

* * *

١٠٤ ـ (قالوا حديثان فى البيوع متناقضان) قالوا : رويتم عن حماد عن قتادة عن الحسن عن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة . ثم رويتم عن محمد بن اسـحق عن يزيـد ابن أبى حبيب عن مسلم بن جبير عن أبى سفيان عن عمرو بن خريش عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يجهز جيشا ، فنفدت ابل الصدقة ، فأمره أن يأخذ البعير بالبعيرين الى ابل الصدقة . قالوا وهذا خلاف الأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول انه ليس بين الحديثين اختلاف بحمد الله تعالى لأن الحديث الأول نهى عن بيع الحيوان بالحيوان نسيئة وليس يجوز أن يشترى شيئا ليس عند البائع لنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وهو بيع المواصفة ـ واذا أنت بعت حيوانا بحيوان نسيئة فقد دفعت ثمنا لشيء ليس هو عند صاحبك فلم يجز ذلك ـ والحديث الثانى « أمرنى أن آخذ البعير بالبعيرين الى ابل الصدقة » يريد سلفا وقد مضت السنة فى السلف بأن يدفع الورق أو الذهب أو الحيوان سلفا فى طعام أو تمر أو حيوان على صفة معلومة والى وقت محدود وليس ذلك عند المستسلف فى الوقت الذى دفعت اليه الثمن وعليه أن يأتيك به عند محل الأجل فصار حكم السلف خلاف حكم البيع اذ كان البيع لا يجـوز فيه أن تشترى ما ليس عند صاحبك فى وقت المبايعة وكان السلف يجوز فيه أن تسلف فيما ليس عند صاحبك فى وقت الاستسلاف ـ ولما نفدت الابل امـره النبى صلى الله عليه وسلم أن يستسلف البعيـر البـازل

(٥١٩) بكسر الحاء المهملة كما تقدم ضبطه .

(٥٢٠) فى نسختين : « على » بدل عند .

والعظيم(٥٢١) والقوى من الابل بالبعيرين من ابل الصدقة الحقائق والجذاع التى لا تصلح للغزو ولا للسفر - وربما كان الواحد من الابل البوازل الشداد خيرا من اثنين وثلاثة واربعة من ابل الصدقة .

* * *

١٠٥ - (قالوا حديثان فى الحيض متناقضان) قالوا : رويتم عن جرير عن الشيبانى عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا فى فوح(٥٢٢) حيضنا أن ناتزر ثم يباشرنا وأيكم يملك اربه كما كان رسول الله صلى عليه وسلم يملكه - ثم رويتم عن عبد العزيز بن محمد عن أبى اليمان عن أم ذرة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت اذا حضت نزلت عن المثال(٥٢٣) الى الحصير فلم نقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ندن منه حتى نطهر . قالوا وهذا خلاف الأول .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ان الحديث الأول هو الصحيح - وقد رواه شعبة عن منصور عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها - قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر احدانا اذا كانت حائضة أن تتزر ثم يضاجعها - وهذه الطريق خلاف أبى اليمان عن أم ذرة عن عائشة رضي الله عنها - ولا يجوز على عائشة رضي الله عنها أن تقول كنت أباشره فى الحيض مرة ثم تقول مرة أخرى كنت لا اباشره فى الحيض وانزل عن الفراش الى الحصير فلا أقربه حتى أطهر لأن أحد الخبرين يكون كذبا والكاذب لا يكذب نفسه فكيف يظن ذلك بالصادق الطيب الطاهر - وليس فى مباشرة الحائض اذا ائتزرت وكف(٥٢٤) ولا نقص ولا مخالفة لسنة(*) ولا كتاب وانما يكره هذا من الحائض وأشباهه من المعاطاة المجوس .

* * *

---

(٥٢١) فى نسخة العظيم القوى من غير واو فيهما .
(٥٢٢) بالحاء المهملة اى أوله ومعظمه .
(٥٢٣) اى الفراش .   (٥٢٤) بفتحتين اى عيب أو إثم
(*) فى نسخة لكتاب الله ولا سنته .

١٠٦ ـ (قالوا حديث تبطله حجة العقل) قالوا : رويتم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت » ، قالوا كيف تكون الرؤيا على رجل طائر وكيف تتأخر عما تبشر به أو تنذر منه بتأخر العبارة لها وتقع اذا عبرت وهـــذا يدل على انها ان لم تعبر لم تقع .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ان هذا الكلام خرج مخرج كلام العرب وهم يقولون للشيء اذا لم يستقر هو على رجل طائر وبين مخاليب طائر وعلى قرن ظبى ـ يريدون انه لا يطمئن ولا يقف ـ قال رجل فى الحجاج بن يوسف :

كأن فؤادى بين أظفـــار طـــائر ... من الخوف فى جو السماء محلق(٥٢٥)
حذار امـرىء قـد كنت أعلم انه ... متى ما يعد من نفسه الشر يصدق

وقال المرار يذكر فلاة تنزو من مخافتها قلوب الادلاء :

كـــان قـــلوب أدلائهـــا (٥٢٦) معلقـــة بقـــرون الظبـــاء

يريد انها تنزو وتجب(٥٢٧) فكانها معلقة بقرون الظبـــاء لأن الظباء لا تستقر وما كان على قرونها فهو كذلك . وقال امرؤ القيس :

ولا مثل يوم فى قدار (٥٢٨) ظللته ... كانى وأصحابى على قرن أعفرا (٥٢٩)

يريد انا لا نستقر ولا نطمئن فكأنا على قرن ظبى وكذلك الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر ـ يراد انها تجول فى الهواء حتى تعبر فاذا

(٥٢٥) بكسر اللام من تحليق الطائر وهو كما فى القاموس ارتفـــاعه فى طيرانه .

(٥٢٦) جمع دليل . (٥٢٧) من وجب وجبة : سقط .

(٥٢٨) فى القاموس قدار كسحاب موضع قال شارحه نقلا عن الصاغانى فى التكملة وروى ابن حبيب وابو حاتم فى قداران ظلته قال وقداران موضع .

(٥٢٩) قوله على قرن أعفرا انشده شارح القاموس فى موضعين بقلة عندرا قال وعندر مثال سندر : جبل فترك صرفه على نية البقعة .

عبرت وقعت – ولم يرد أن كل من عبرها من الناس وقعت كما عبر ، وانما أراد بذلك العالم بها المصيب الموفق وكيف يكون الجاهل المخطىء فى عبارتها لها عابرا وهو لم يصب ولم يقارب وانما يكون عابرا لها اذا أصاب يقول الله عز وجل « **ان كنتم للرؤيا تعبرون** »(*) يريد ان كنتم تعلمون عبارتها ولا أراد أن كل رؤيا تعبر وتتأول لأن أكثرها أضغاث أحلام – فمنها ما يكون عن غلبة الطبيعة . ومنها ما يكون عن حديث النفس . ومنها ما يكون من الشيطان – وانما تكون الصحيحة التى يأتى بها الملك ملك الرؤيا عن نسخة أم الكتاب فى الحين بعد الحين .

(قال أبو محمد) حدثنى يزيد بن عمرو بن البراء قال حدثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفى قال حدثنا قرة بن خالد قال سمعت محمد بن سيرين يحدث عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الرؤيا ثلاثة فرؤيا بشرى من الله تعالى ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها الانسان نفسه فيراها فى النوم » . وحدثنى سهل بن محمد قال حدثنا الاصمعى عن أبى المقدام أو قرة بن خالد قال : كنت أحضر ابن سيرين يسئل عن الرؤيا فكنت أحزره(٥٣٠) يعبر من كل أربعين واحدة أو قال أحزوه(٥٣١) وهذه الصحيحة هى التى تجول حتى يعبرها العالم القياس الحافظ للأصول الموفق للصواب فاذا عبرها وقعت كما عبر .

* * *

١٠٧ – (قالوا حديث يكذبه(٥٣٢) النظر) قالوا : رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا » فجعلتم الله تعالى يمل اذا ملوا – والله تعالى لا يمل على كل حال ولا يكل .

(*) يوسف : ٤٣

(٥٣٠) بضم الزاى وكسرها اى اقدره كما فى القاموس والمصباح .

(٥٣١) اى اقدره . (٥٣٢) فى نسخة يبطله .

* (قال أبو محمد) ونحن نقول ان التاويل لو كان على ما ذهبوا اليه كان عظيما من الخطأ فاحشا ولكنه أراد فان الله سبحانه لا يمـل اذا مللتم ، ومثال هذا قولك فى الكلام : هذا الفرس لا يفتر حتى تفتر الخيل لا تريد بذلك انه يفتر اذا فترت ولو كان هذا المراد ما كان له فضل عليها لأنه يفتر معها فأية فضيلة له وانما تريد أنه لا يفتر اذا فترت ، وكذلك تقول فى الرجل البليغ فى كلامه والمكثار الغزير : فلان لا ينقطع حتى تنقطع خصومه . تريد انه لا يقطع اذا انقطعوا ولو أردت أنه ينقطع اذا انقطعوا لم يكن له فى هذا القول فضل على غيره ولا وجبت به مدحة ، وقد جاء مثل هذا بعينه فى الشعر المنسوب الى ابن أخت تأبط شرا ويقال انه لخلف الأحمر :

صليت منى هذيل بخرق(٥٣٣) لا يمـــل الشر حتى يمـــلوا

لم يرد انه يمل الشر اذا ملوه ، ولو أراد ذلك ما كان فيه مدح له لأنه بمنزلتهم ، وانما أراد أنهم يملون الشر وهو لا يمله .

(تم الكتاب بحمد الله وعونه)

---

(٥٣٣) يقال صلى بالنار وصليها صلى من باب تعب وجد حرها - والخرق بالكسر الشجاع - يقول ان هذيلا قاست الشدائد من شجاع قريب منـه ذى جاش وثبات على القتال لا يسامه حتى يجد السأمة من أعدائه فيكف عن قتالهـــم رأفه بهم . نسأله تعالى الرأفة بنا انه رؤوف رحيم .

قائمـة مراجـع التحقيق

١ ـ القرآن الكريم
٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم
٣ ـ صحيح البخارى
٤ ـ صحيح مسلم
٥ ـ سنن الترمذى
٦ ـ سنن ابن ماجة
٧ ـ المجروحون لابن حبان
٨ ـ المغنى فى الضعفاء للذهبى
٩ ـ الكامل لابن عدى
١٠ ـ سنن أبى داوود
١١ـ الضعفاء للبخارى
١٢ـ التاريخ الكبير للبخارى
١٣ـ لسان الميزان لابن حجر
١٤ـ ميزان الاعتدال للذهبى
١٥ـ الطبقات الكبرى لابن سعد
١٦ـ الضعفاء لابن الجوزى (مخطوط)
١٧ـ عيون الأثر لابن سيد الناس
١٨ـ مشكل الآثار للطحاوى
١٩ـ مشكل الحديث لابن فورك
٢٠ـ النهاية فى غريب الحديث لابن الاثير
٢١ـ لسان العرب لابن منظور
٢٢ـ تاج العروس للزبيدى
٢٣ـ الفصل لابن حزم
٢٤ـ الفرق بين الفرق للبغدادى
٢٥ـ أساس التقديس للرازى

٢٦- الكفاية للخطيب البغدادى
٢٧- السنة للدكتور مصطفى السباعى
٢٨- منهاج الفوارق للقاضي عياض (مخطوط)
٢٩- الرعاية لحقوق الله للمحاسبى
٣٠- الرفع والتكميل لعبد الحى اللكنوى
٣١- حجة الله البالغة للدهلوى
٣٢- تانيب الخطيب للشيخ محمد زاهر الكوثرى

محتويات الكتاب

الصفحة

بعض مؤلفات المحقق

تحقيقا :

١ ـ الرعاية لحقوق الله للمحاسبى دار الكتب الاسلامية ـ القاهرة

٢ ـ اعجاز البيان فى تأويل أم القرآن لصدر الدين القونوى
دار الكتب الاسلامية ـ القاهرة

٣ ـ أعمال القلوب والجوارح للمحاسبى عالم الكتب ـ القاهرة

٤ ـ الوصـــايا للمحاسبى صبيح ـ القاهرة

٥ ـ التـــوبة للمحاسبى دار الاعتصام ـ القاهرة

٦ ـ أسرار التكرار فى القرآن للكرمانى دار الاعتصام ـ القاهرة

٧ ـ أسرار ترتيب القرآن للسيوطى دار الاعتصام ـ القاهرة

٨ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر للخلال
دار الاعتصام ـ القاهرة

٩ ـ تفسير أبى السعود العمادى المكتبة الحديثة بالرياض

١٠ ـ القصد والرجوع الى الله للمحاسبى
دار التراث العربى ـ القاهرة

١١ ـ أسرار أركان الاسلام للشعرانى دار التراث العربى ـ القاهرة

١٢ ـ أحكام النساء للامام أحمد بن حنبل
دار التراث العربى ـ القاهرة

١٣ ـ طريق الهداية لابن القيم دار التراث العربى ـ القاهرة

١٤ ـ روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب
دار الفكر العربى ـ القاهرة

١٥ ـ خلاصة الأحكام للامام النووى دار الكتب الاسلامية ـ القاهرة

١٦ ـ آداب النفوس للمحاسبى مؤسسة المصرى للكتاب ـ القاهرة

١٧ ـ قصص الأنبياء للامام أبى الفداء اسماعيل بن كثير
دار الكتب الاسلامية ـ القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٣١٨٥ لسنة ١٩٨٢

مطبعة حســـان

٢٤١ (أ) شارع الجيش ــ القاهرة ت : ٨٣٣٥٤٠

هـذا الكتـاب

● واجه « الامام ابن قتيبة الدينورى » هجوم فصائل أعداء السنة من الخوارج والمرجئة والرافضة والقدرية والقائلين بالبداء والمعتزلة ..

● أبرز المؤلف فى - هذا الكتاب - أصحاب الكلام وأصحاب الرأى ، واتخذ من المعتزلة أساسا لاصحاب الكلام، وللحنفية أساسا لأصحاب الرأى.. فأفاض فى سرد فضائح المعتزلة وافتراءاتهم على الصحابة وتكذيبهم لهم ، واستهزائهم بهم ..

● كما دافع عن ابن مسعود وأبى هريرة وأبى بكر وعمر وعلى - رضي الله عنهم - ضد افتراءات المعترلة الذين شوهوا صورة أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم .. ورد على كل ما أوردوه من اتهامات فردية وجماعية لأهل الحديث وللصحابة وللتابعين ..

● وقف المؤلف - عند - ما اعترض عليه أصحاب الكلام - من نصوص الحديث التى يوهم ظاهرها الاختلاف والتعارض أو يوهم القول بالتشبيه والتجسيم .. فافرد له - هذا الكتاب - وأفاض من القول حتى أوفى على المراد من نصرة الحديث النبوى وتبرئته من التعارض والاختلاف ..

● وقد لجأ - المؤلف - الى اللغـة والعـرف العربى فى التعبير ، يستلهمه الحكم الفاصل فى قضايا هذا الكتاب ، ويورد من الشعر أعذبه يستشهد به على استعمالات اللغة ، فجاء - هذا الكتاب - جامعا بين عقل العالم وذوق الأديب .. فائقا فى بابه . وبحكم ثقافة المؤلف اللغوية الواسعة فقد احتشد كتابه - هذا - بحشد هائل من الفاظ اللغة العربية مما يعطيه بعدا ثالثا : هو أنه موسوعة ثقافية لغوية الى جانب الثقافة الحديثية والأدبية.

● والكتاب شامل لأحاديث الصفات المتشابهة .. وللأحاديث التى ظن الناس فيها التعارض والتناقض ، ومن هنا يتفوق على غيره من الكتب فى أنه تعرض للأحاديث المتعارضة فى الظاهر ..

● وقد بذل الأستاذ المحقق - وهو غنى عن التعريف - فى سبيل اخراج هذا الكتاب القيم - فى ثوبه الجديد - جهدا ملحوظا .. ونسأل الله أن يجزيه خيرا بقدر ما أنفق من جهد وبذل من وقت ..

● وبعد .. فقد رأت دار الكتب الاسلامية - أن هذا الكتاب الذ تقدمه للقراء اليوم .. هو خير ماتقـدمه للقـراء الأعزاء فى عصرنا و ارتفعت الأصوات الناشزة بتلك النغمة البغيضة - نغمة الاكتفاء بالقرآن دو السنة - والتشكيك فى السنة حتى اضطرب الناس وظنوا بالسنة الظنون ، ويسرنا أن نتقدم للقارىء المسلم العزيز بهذا العمل الجليل .. فى صور الجديدة .. سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يجعلنا دائما عند حسن ظ عملائنا الكرام .. ومحلا لثقتهم التى نعتز بها دائما ..

الناشر

